حنفى المحلاوى

السادات بين هيكل و موسى





مكتبة الدار العربية للكتاب

الســـــــادات

بين

هيكـــل

و

موســى

حنفى المحلاوى

السادات

بين

هيكل

و

موسى

الناشر

مكتبة الدار العربية للكتاب

الناشــر : **مكتبة الــدار العربية للكتاب**

شارع الطيران ـ الحى السابع ـ مدينة نصر

تليفون : ٢٦٣٩٨٥١ ـ فاكس : ٣٩٠٩٦١٨

ص . ب : ٢٠٢٢ ـ القاهرة

رقم الإيداع : ٨١٤٢/ ٩٣

الترقيم الدولى : 2 - 06 - 5366 - 977

طبـع : **عربية للطباعة والنشر**

العنوان : ٧ ـ ١٠ شارع السلام ـ أرض اللواء ـ المهندسين

تليفون : ٣٠٣١٠٤٣ ـ ٣٠٣٦٠٩٨

الطبعة الأولى : ١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٤ م

الطبعة الثانية : شعبان ١٤١٧ هـ ـ يناير ١٩٩٧ م .

تصميم الغلاف : عمرو فهمى

بدلاً من الإهداء ....

.. هيكل رجل صحفى .. ورجل ذكى .. ورجل استطاع أن يصوغ فكرنا وفكر عبد الناصر بأسلوبه .

والسادات كان يرى فى هيكل أنه لايمكن أن يكون صديقاً له أو مخلصاً .. لأنه ببساطة شاف السادات وهو صغير .. بينما هيكل كان كبيراً .

لقد كان السادات يعتقد أن هيكل لايمكن أن يخلص له مثلما أخلص لعبد الناصر الذى اصطفاه وفضله على العالمين .

أنيس منصور

●● ولا تعليق ...

.. وبعد أن قلبنا الأوراق !!

على مدى الثلاث سنوات التى قضاها كتابنا « السادات بين هيكل وموسى » . . فى الأسواق متجولاً فوق أرفف المكتبات سواء فى مصر أو فى العالم العربى حتى وجد استقراره المطلوب مؤخراً داخل عقول وقلوب الأصدقاء من عشاق القراءة والاطلاع . . أقول على مدى هذه السنوات الثلاث التى استغرقتها طبعته الأولى فى الأسواق حتى نفدت . . حدثت ردود فعل عديدة بعضها اتسم بالسخونة . . والبعض الآخر كادت البرودة أن تصيبه فى مقتل .

ولقد رأينا من الضرورى أن ننقل إليكم بعض هذه الردود بما لها وما عليها . . لأنها وفق تصورنا كانت المؤشر الحقيقى لاهتمام القارىء العربى والمصرى بقضايا وطنه . . خاصة وأن موضوع الكتاب يتحدث عن ثلاث شخصيات مصرية معاصرة . . ساهمت إسهامات فعالة وفاعلة فى حياتنا السياسية والصحفية . . خلال الأربعين عاماً الماضية ولا تزال آثار هذه الإسهامات بومضاتها موجودة حتى هذه اللحظة .

ولسنا فى حاجة إلى أن نعيد التذكير بأن أبطال هذه الأوراق التى

يضمها كتاب « السادات بين هيكل وموسى » والتى عشنا معها لشهور طويلة ما بين البحث والإعداد والتحصيل . . هم :

● الرئيس السادات بطل الحرب والسلام ـ وصاحب قرار العبور العظيم يوم ٦ أكتوبر عام ١٩٧٣ . .

● الكاتب الصحفى محمد حسنين هيكل . . الذى تمكن وعلى مدى سنوات ارتبطت بقيام ثورة يوليو عام ١٩٥٢ وما بعدها من أن يفرض نفسه وقلمه وفكره على الساحة السياسية والصحفية المصرية والعربية والعالمية ، الأمر الذى جعله أيضا يعيش خلال الفترة نفسها داخل عقل وقلب الرئيس جمال عبد الناصر .

● وأخيرًا الكاتب الصحفى موسى صبرى . . صاحب الرصيد المتميز فى العمل الصحفى . . وفى كتابة المقال السياسى . حتى أصبح من المنافسين الأقوياء فى هذا المجال لهيكل نفسه . وأيضا صاحب الحظوة والمقام الرفيع لدى الرئيس السادات .

كما أننا لسنا فى حاجة كذلك إلى إعادة التذكير بأعمال هؤلاء الأبطال الثلاثة وقد أفردنا لتلك الأعمال المتميزة عشرات الصفحات من هذا الكتاب .

***

وحين نعود للحديث عن ردود الفعل التى صاحبت صدور هذا الكتاب . . والتى بدت خافتة الصوت ثم سرعان ما تردد صداها فى كل أرجاء المكتبات الخاصة والعامة . . نذكر تلك الواقعة التى ارتبطت بنشر

فصلين منه . . بمجرد صدوره في حلقات وذلك في مجلة « أخبار الأدب» والتي تصدرها دار أخبار اليوم الصحفية . .

وعلى قدر ما أسعدت هذا الحلقات العديد من القراء ، إذ وجدت صدى طيبًا بداخلهم . فقد أثارت الكثير من هؤلاء خاصة المتشيعين لمعسكر الأستاذ هيكل والذين وقعوا في غرام أيام عبد الناصر دون التفريق بين ما كان فيها من سلبيات أو إيجابيات ! . . والذين وقفوا في خندق المعارضة لكل ما كان يقدم عليه الرئيس السادات ! .

ولقد حكى لنا أحد الذين عاصروا نشر هذه الحلقات منذ سنتين أو أكثر . . أن الأستاذ هيكل قد أبدى استياءه من نشر هذه الحلقات في المجلة المعنية . . وأنه لذلك وجه عتابًا مريرًا للمسئول عن نشرها ، مما تسبب في قطيعة غير متوقعة ، ولولا تدخل الوسطاء . . لاستمرت هذه القطيعة حتى الآن !!

وكما علمت . . فإن أكثر ما أغضب الأستاذ هيكل من موضوع هذا الكتاب هو أنني قد وضعته جنبا إلى جنب مع كل من السادات وموسى صبري !! . وهو بذلك يرى أنه متفوق عليهما من حيث العمل والموقع والإنجازات ! .

ولقد تجلت نظرة الأستاذ هيكل فيما ساقه من اعتراضات خاصة بالنسبة للرئيس السادات . . فيما قاله لنا في إحدى المقابلات القليلة : أن الرئيس السادات أخبره يوم أن قرر أن يترك مؤسسة الأهرام . . أن مصر كلها الآن تقرأ لكاتب واحد . . وهذا مالا يجب أن يكون » !! فما

كان من الأستاذ هيكل إلا أن رد عليه بقوله : « إن ذلك يكون من الخير . . أكثر مما هو حادث الآن . إذ يكتب كل الصحفيون فى مصر . . لشخص واحد . . هو السادات » !! .

ولم يسلم موسى صبرى نفسه من ردود الأفعال هذه . رغم أنه كان وقت صدور الكتاب فى طبعته الأولى قد رحل عن عالمنا . . بعد صراع غير طويل مع المرض . وكان مصدر هذه الردود بعض أنصار معسكره من الذين عايشوه واقتربوا منه ـ ولكن يبدو أن صراعاتهم معه أثناء توليه مسئولية تحرير وإدارة أخبار اليوم جعلتهم من بعد رحيله يوجهون إليه انتقادات فى تصورنا لا تنقص أبداً من مقداره وموقعه سواء داخل الساحة الصحفية أو السياسية .

ولا ننسى أن نذكر فى هذا السياق ما قاله لنا الكاتب الكبير الأستاذ سعيد سنبل ـ حين قدمنا إليه هذا الكتاب ـ تلك العبارة التى صورت لنا ما نعيشه من واقع أدق تصوير . لقد قال لنا هذا المفكر . . « إن التاريخ لا يكتب إلا فى عصر الأقوياء » . . والعبارة بليغة وتحمل من الدلالات والمعانى مالا يكفى تفسيرها عشرات الصفحات .

حنفى المحلاوى

حدائق القبة ـ القاهرة

يونيه ١٩٩٦

وقبل أن نقلّب الأوراق

. . لو أن الكاتب الصحفى موسى صبرى . . كان لا يزال حيًّا يعيش بيننا . . لجاء حديث هذه الأوراق أكثر مصداقية .

. . ولو أن السياسى البارع محمد أنور السادات كان حيًّا كذلك . . لإزدادت المصداقية أكثر وأكثر وأكثر . .

. . أما الكاتب الصحفى محمد حسنين هيكل فما زال يعيش بيننا نجمًا صحفيًّا لامعًا وتدوى كلماته فى الآفاق فى مصر وفى خارجها ، بصرف النظر عن اتفاق البعض معه أو اختلافهم .

ورغم شعورنا بأهمية إتمام لقاء معه باعتبار كلماته سوف تثرى هذا الحديث وربما تضيف إليه الكثير من المصداقية ، إلا أننا لم نلجأ لإتمام مثل هذا اللقاء ، وإن كنا قد فكرنا فيه .

والسبب الذى دعانا إلى ذلك هو تحقيق نوع من العدالة فيما نكتب . . لأنه ما دام السادات وموسى قد رحلا عنّا ، وما دام حديث هذه

الأوراق يخص الثلاثة معًا . . فقد رأينا من غير الملائم أن نخص هيكل وحده بلقاء منفرد دون الآخرين .

وسبب آخر جعلنا نعزف عن عدم مقابلة الأستاذ هيكل .

هذا السبب يعرفه أكثر منا المؤرخون وكتاب السير الذاتية ، الذين يرون أن من أهم شروط تقديم مثل هذه الدراسات عن الشخصيات التاريخية التى ترتبط ارتباطًا قويًا بأحداث واحدة ، لابد من أن يكون هناك نوع من المساواة فى التناول وفى المعالجة وأيضًا فى مصدر المعلومات .

لهذا وذاك آثرنا أن يكون حديث هذه الأوراق من خلال مئات الصفحات سواء الصفراء منها أو البيضاء أو الخضراء . . وهذا القرار كان يعنى بالنسبة لنا عبئًا أكبر ومسئولية أخطر . . لأنه عادة ما تفيد المقابلات الشخصية فى تحديد رؤية الكاتب وتحدد له معالم الطريق . . بجانب ذلك . . فهى توفر عليه الجهد والوقت . . لأنها تقدم له المعلومة فوق طبق من ذهب ! وطبعًا العكس هو الصحيح .

ورغم ضخامة هذه المهمة إلا أننى رحبت بحملها وحدى ، واتجهت بكل كيانى مع أوراقى وقلمى إلى المكتبات العامة والخاصة وإلى أرفف الأرشيف . . أبحث فى كل ورقة عن كل ما يتعلق بالرجال الثلاثة سواء من قريب أو من بعيد ، حتى ولو كانت كلمة فى سطر ، أو سطرًا داخل كتاب !!

ولا شك أننى قد واجهت العديد من الصعوبات . . خاصة فى

العثور على الأوراق التى تشعر من كلمات مؤلفها بالصدق وعدم التحيز . . وما نعنيه هنا بكلمة عدم « التحيز » هامة وخطيرة . . لأنه ما أكثر الكتب التى يتم تداولها داخل الساحة الثقافية المصرية والعربية وحتى الأجنبية . . دون أن يكون لها رصيد وافر من الحيدة والتجرد من الهوى . . وربما لهؤلاء بعض العذر . . نظرًا لارتباط أغلبهم بعصور بعينها أو بشخصيات بعينها ! !

لقد حاولنا خلال فصول هذا الكتاب أن نجمع أكبر قدر من المعلومات الصحيحة والصادقة فيما يخص هؤلاء الثلاثة : السادات وهيكل وموسى صبرى .

وإننا لا نبغى من وراء ذلك سوى تقديم كلمة صادقة من أحد شباب هذا الجيل الذى عاش وعاصر الرجال الثلاثة . . واقترب كثيرًا من بعضهم بقدر ما ابتعد عن الآخرين . . كما نبغى أن نقدم نفس الكلمة بكل حروفها إلى جيل الشيوخ الذى قال كلمته دون أن يناقشه أحد من شبابنا ، إما لبعد المسافات بيننا . . وإما لارتفاع مكانتهم ، وازدياد العزلة . .

وأخيرًا نود أن تكون هذه الكلمة إلى التاريخ الذى لا يعرف سوى الحق ، حتى ولو أرادوا به غير ذلك !

إن الكتاب الذى نقدم من خلال أوراقه هذه الكلمات قسمناه إلى ستة فصول :

*** الفصل الأول : خصوصية الاختيار ..**

وقد حاولنا من خلال كلماته أن نبين لماذا وقع الاختيار على كل من السادات وهيكل وموسى دون غيرهم من السياسيين أو الصحفيين أو العسكريين . واعتبرناه مدخلاً طبيعيًا للحديث عن هؤلاء الفرسان الذين سوف نستضيفهم معنا طوال رحلتنا عبر هذه الأوراق .

*** الفصل الثاني : من القرية إلى القصر ..**

وفيه تحدثنا عن رحلة السادات منذ طفولته وحتى دخوله قصر عابدين لحلف اليمين حين تم اختياره رئيسًا لمصر خلفًا لعبد الناصر . . والحقيقة أن هذا التناول لم يقتصر على كلمات التاريخ فقط . . بل حاولنا أن نربط بين الثلاثة فى ذات التواريخ حيث الميلاد والنشأة والتعليم والكفاح . . بل أكثر من ذلك حاولنا أن نوضح أماكن هؤلاء الثلاثة على خريطة الحياة العامة والحياة السياسية منذ أن تمكنوا من أن يخطوا خطواتهم الأولى فى هذا الاتجاه . . وبنجاح .

*** الفصل الثالث : والفرق أربعمائة يوم فقط !**

وقد خصصنا حديث أوراقه لكل من هيكل وموسى صبرى من حيث النشأة والميلاد والتعليم والصحافة والسياسة .

وحاولنا كذلك أن نعقد بعض المقارنات فيما يخص حياتهم العامة والخاصة . . تمامًا مثلما فعلنا من قبل وفى الفصل السابق مع السادات

. . وكان الهدف من ذلك هو تقديم صورة حية . . لكل من الفرسان الثلاثة . . حتى يتمكن الناس من تقبل الحكم عليهم وعلى أعمالهم خلال الفصول القادمة .

*** الفصل الرابع : الصحافة قبل السياسة أحيانًا .**

فى هذا الفصل . . ألقينا الضوء ـ وربما يكون لنا السبق فى ذلك ـ على حياة هؤلاء الثلاثة داخل بلاط صاحبة الجلالة . . وأيضًا داخل الحياة السياسية . وحاولنا عمل ربط قوى بين الأحداث التى عاشوها سويًا داخل المجالين (الصحافة والسياسة) . ولسوف يجد القارىء من خلال هذا الربط نوعًا جديدًا من المعالجة للقضايا السياسية والصحفية التى ارتبطت بهؤلاء الثلاثة .

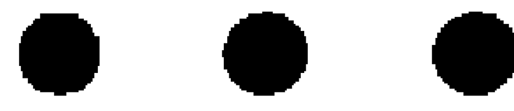
*** الفصل الخامس : وأين كانوا ليلة الثورة ؟!**

لا شك أن غيرنا وهو يتتبع نفس مسيرتنا عبر هذه الأوراق كان سوف يتساءل مثلنا بالضبط . . مثل هذا السؤال الذى اتخذناه عنوانًا للفصل الخامس .

وقد حاولنا من خلال أوراقه أن نقدم صورة حية لموقع الفرسان الثلاثة ليلة هذا الحدث . . بما يخدم موضوع كتابنا . . وكان سبيلنا إلى ذلك الشهادة التى سجلها كل منهم فى أوراقه الخاصة دون تدخل منا . . حيث شعرنا بأن كلماتهم هذه هى أصدق ما كتب عن أحداث ليلة الثورة وما سبقها أو لحقها من أحداث .

* **الفصل السادس : الخلافات .. الجذور والنتائج .**

وكان علينا قبل أن نفترق أن نقول كلمتنا وكلمة التاريخ فى هذا الخلاف الهائل الذى وقع بين الفرسان الثلاثة : السادات وهيكل وموسى . . ولم نتوقف عند قول الخلاف . . بل ألقينا الضوء المبهر على جذور هذا الخلاف وأيضًا على نتائجه . .



وفى النهاية وقبل أن نقلّب الأوراق .. كى تبدأ معنا رحلة شاقة ولكنها ممتعة عبر هذه الأوراق ، نود أن نكون قد وفقنا فى البداية كما نرجو التوفيق فى الختام .

حنفى المحلاوى

الفصل الأول

خصوصية الاختيار

هناك انطباع عام يفرض نفسه بقوة على المهتمين بالحياة السياسية والصحفية فى مصر . أن كلاًّ من السادات وهيكل وموسى صبرى قد لعب أدوارًا تاريخية متميزة فى الفترة التى تلت أعوام ١٩٥٢ . . وامتدت قرابة ثلاثين عامًا . . وكان من الممكن أن تمتد لأكثر من هذه الفترة لولا رحيل اثنين من هؤلاء الفرسان . . السادات الذى توفى عام ١٩٨١ . . وموسى صبرى الذى مات عام ١٩٩٢ . . بل لن نغالى حين نقول إن الأدوار التى لعبها هؤلاء الثلاثة كل فى مجاله ـ ربما قد بدأت قبل هذا التاريخ بقليل ـ ولكن سرعان ما تبلورت أعمالهم داخل حياتنا السياسية والصحفية بعد فترة الخمسينيات من هذا القرن . . وبالبحث والتنقيب عن أهم الأدوار التى لعبها كل منهم اتضح أنهم قد التقوا جميعًا فى مواقف كثيرة أثرت بالسلب أو بالإيجاب فى تاريخ مصر الحديث .

وحين نلقى بعض الأضواء على موقع كل منهم على خريطة حياتنا . . لا نعنى بالضرورة أننا لا نعرف هذه المواقع بالضبط . . بل نحاول أن

نعيد إلى الأذهان سطورًا عن كل منهم تكون دليلنا نحو حديث طويل يستغرق فصول كل هذا الكتاب ، إذ أنه من المعروف سلفًا أن عشرات الكتب تم تأليفها عن كل منهم . . سواء باللغة العربية أو باللغات الأجنبية . . ولا نقول كتبًا بعينها . . كما جاءت سيرهم بين السطور أو داخل بعض الفصول . . ولعل أكثر هؤلاء الذين لم يدخلوا مباشرة إلى المؤلفات وتلك الكتب هو الكاتب الصحفى الراحل موسى صبرى - رغم دوره الذى لا ينكر فى حياتنا السياسية وكذلك الحياة الصحفية التى ترك فيها بصمات خاصة داخل مؤسسة أخبار اليوم .

وأما أكثرهم تميزًا فى مجال حديث الكتب والأوراق الصحفية عربيًّا وأجنبيًّا فهو الرئيس أنور السادات . . لمجموعة من الأسباب بعضها معروف وبعضها سوف نعرفه أكثر من خلال تتبع واع لسطور هذا الكتاب . .

والشخصية الثالثة التى تكمل حلقة المناقشة من خلال هذه الأوراق . . هو الكاتب الصحفى محمد حسنين هيكل . . الذى أجمع خصومه قبل مؤيديه على أنه أهم ظاهرة صحفية فى عالمنا السياسى والصحفى المصرى خلال الأربعين عامًا الماضية . . بل ولا يزال . وبطبيعة الحال كانت له أيضًا خصوصيته التى فرضت علينا اختياره ضمن هذه الرحلة التى نحاول أن نقف من خلالها . . على العوالم الشخصية لكل من هؤلاء الثلاثة (السادات وهيكل وموسى صبرى) .

ولا شك أن هذا الاختيار . . له أسبابه التى سوف نناقشها فى حينها

من خلال هذه الأوراق . . وهى التى أملت علينا أن نضع هؤلاء الثلاثة فى ورقة واحدة ، أو فى كتاب واحد . . رغم أنه وطوال الثلاثين عامًا الماضية لم تخل الساحة الثقافية فى مصر أو فى خارجها من موضوع فى مجلة أو فصل فى كتاب . . أو أوراق فى مذكرات قد تتناول هذا أو ذاك . . بل إن هناك كتبًا بعينها حاول أصحابها الجمع بين هيكل وعبد الناصر . . باعتبار العلاقة المتميزة التى نشأت بينهما منذ مطلع الخمسينات وحتى رحيل الأخير . . سواء ما قيل فيها كان صوابًا أو خطأ . . المهم أنها محاولة قد جرت من أجل الربط بين عالمى السياسة والصحافة الذى يرى العديد من الخبراء والمتخصصين أن لا فرق بين العالمين ، وإن وجدت فروق فهى تتعلق بطبيعة المهنة وأسرارها .

ولسوف نلقى بعض الأضواء على خصوصية هذه العلاقة لارتباطها بموضوع كتابنا هذا .

وهناك كذلك كتبًا حاول مؤلفوها الحديث عن العلاقة المتميزة التى صارت لموسى صبرى فى فترة حكم الرئيس السادات ، الأمر الذى جعل البعض يتصور أنه كان بمثابة عملية إحلال . . أو تجديد اجتاحت الحياة الصحفية كى تتواءم مع الحياة السياسية الجديدة التى طلت برأسها منذ اختيار السادات رئيسًا لمصر عام ١٩٧١ وفور رحيل جمال عبد الناصر . . ومما أكد هذا الإحساس لدى البعض أن موسى صبرى قد جعل من نفسه وقلمه البوق الذى يتحدث من خلاله السادات حتى

أمام الميكروفون . . وأثناء الاجتماعات السياسية . . بل أكثر من ذلك . . فقد لوحظ أن موسى صبرى كان يتبارى دائمًا فى كل ما يكتب من أجل تقديم الرئيس السادات فى أحسن صورة .

ولم يقتصر جهد موسى صبرى على الصحيفة التى عينه فيها السادات مسئولاً عنها . . بل تعدى ذلك إلى تأليف كتب بعينها عن السادات وبطولاته وأهم أعماله وإنجازاته . والحقيقة التى لا يمكن إغفالها أن موسى صبرى فى كل ما كان يكتبه . . كان معبرًا بصدق عن قطاع عريض من الناس سواء فى مصر أو فى خارجها . . ولا شك أن الأسباب معروفة وكلها ترتبط بالتجاوزات التى وقعت أيام عبد الناصر . . ولعل أهم ما يأتى فى مقدمتها مشكلة الحراسات التى فرضت بالقوة على بعض فئات الشعب المصرى . . والتى حين جاء السادات سارع برفعها عن هؤلاء .

بجانب ذلك وما سوف نعرفه أكثر هو أن موسى صبرى قد نجح نجاحًا مبهرًا فى تأصيل علاقته بالرئيس السادات ، وقد ساعده فى ذلك العلاقة القديمة التى كانت بينهما منذ عام ١٩٤٦ والتى نشأت فى سجن الزيتون !

كما أن هناك نوعية أخرى من الكتب التى تناولت هؤلاء الثلاثة من قريب أو من بعيد . . وقد . . حاول أصحابها الربط فيما بين هيكل والسادات . وربما كانت ردًا على تلك العلاقة التى شعروا بها بين الأخير

وبين موسى صبرى . . والتى استغرقت كل فترة حكم الرئيس السادات . . أى أكثر من عشر سنوات . . بل امتدت لعشر سنوات أخرى . . وهى كل المدة التى بقى فيها موسى صبرى على قيد الحياة بعد وفاة صديقه الرئيس السادات .

وهذه النوعية من الكتب كان صاحبها أحد الفرسان الثلاثة . ضيوف هذه الأوراق . وهو محمد حسنين هيكل الذى أخذ يكتب الكتب والمقالات للدفاع عن صديقه الراحل جمال عبد الناصر . .

وبطبيعة الحال كان لابد أن يأتى بالحديث عن السادات من قريب أو بعيد . . وربما له فى ذلك العديد من الأعذار . . فالسادات كان ضمن قائمة الضباط الأحرار الذين قاموا بثورة يوليو . . وهو الرجل الثانى الذى ظل ملازمًا لجمال عبد الناصر قبيل وفاته . . إذ اختاره قبل رحيله بعدة أشهر قليلة نائبًا لرئيس الجمهورية . ثم توليه رئاسة مصر بعد انتخابه فى هذه الفترة . . أما العذر الكبير الذى يحسبه البعض لهيكل فى تناوله لجمال عبد الناصر بخلاف خصوبة العلاقة بينهما التى دامت لأكثر من ثلاثين عامًا . تلك الحملة الساخنة التى بدأت فى عهد السادات للتشهير بعبد الناصر وفترة حكمه .

ولقد لعب الصحفيون الدور الأكبر فى هذه الحملة . . بدءًا من مصطفى أمين ثم جلال الحمامصى وأخيرًا موسى صبرى .

وبالنسبة لهيكل وكتبه فإنه لم يقتصر على تخصيص كل أوراقها

للحديث عن عبد الناصر والدفاع عن عصره . . بل امتد به الأمر لتأليف كتب يهاجم فيها الرئيس السادات بعنف وقسوة . . وقد تمثل ذلك فى كتابه « خريف الغضب » الذى كان السبب الرئيسى نحو لجوء هيكل للكتابة . عن تجربته فى اعتقالات سبتمبر عام ١٩٨١ .

وهذا الكتاب كان القاسم المشترك لكل الكتب والموضوعات التى صدرت ابتداء من عام ١٩٨٣ والتى تناولت حياة كل من عبد الناصر والسادات . . بل وهيكل وموسى صبرى أيضًا والقائمة طويلة . . ولا حصر لها الآن .

والشىء الملفت للنظر فى نوعية الكتب التى صدرت وتناولت حياة هؤلاء الثلاثة . . هو . . أن أغلب الكتب التى ألفها موسى صبرى تحدث من خلالها عن خصوصية علاقته بالسادات . ولم يتبرع أحد بتأليف هذه النوعية . . بعكس حسنين هيكل الذى صدرت له بعض الكتب والتى حدثنا من خلالها عن خصوصية علاقته بعبد الناصر . اللهم وكما ذكرنا بعض الموضوعات أو بعض فصول من كتب تحدثت بشكل عام عن أوضاع الصحافة والسياسة أيام الرئيس السادات . . وأغلبها يحمل ذمًّا وهجومًا على السادات شخصيًّا وعلى صاحبه موسى صبرى .

* * *

والحديث عن خصوصية الاختيار . . والأسباب التى دفعتنا إليه تفرض نفسها بقوة . . لأن البعض منا كثيرًا ما يتساءل أو لسوف

يتساءل . . إن لم يكن قد بدأ السؤال بالفعل . . عن الدوافع التى جعلتنا نجمع هؤلاء الثلاثة فى كتاب واحد . . ولم يقع اختيارنا على اثنين من هؤلاء فقط. مثلما فعل غيرنا . . كأن نخصص هذه الأوراق لحديث يتناول علاقة السادات بهيكل مثلاً . . أو علاقة السادات بموسى صبرى أو على الأقل كتاباً يتناول علاقة موسى صبرى بحسنين هيكل . . باعتبار أن كلا منهما ينتمى إلى مهنة واحدة وهى الصحافة . . وكان بينهما العديد من ألوان العداوات . . التى كان دائماً يسميها موسى صبرى فى حياته «خصومات» وليست «عداوات» .

وإذا ما حاولنا أن نربط بين المعارك التى نشبت بين هيكل وبين موسى صبرى ودارت رحاها على صفحات الجرائد فى مصر وفى خارجها . . نجد أن العامل المشترك الأكبر فى تلك المعارك العلاقة الحميمة بين موسى صبرى والسادات . . وسبب آخر ربما كان أكثر أهمية من هذه العلاقة وهو الذى تمثل فى اختلاف موسى صبرى كصحفى وكسياسى مع نظام حكم عبد الناصر . . ذلك النظام الذى كان يؤيده بقوة محمد حسنين هيكل ! بل أكثر من ذلك كان أحد دعاة هذا النظام فى الداخل والخارج .

إن طبيعة هذا الخلاف الذى نشأ مبكرًا بين موسى صبرى الصحفى فى دار أخبار اليوم ورئيس تحرير مجلة الجيل وبين جمال عبد الناصر الذى أصبح كشخص يمثل نظامًا جديدًا . . قد وضع العديد من العراقيل

أمام حياة موسى صبرى داخل بلاط صاحبة الجلالة . . وأيضًا تحت قبة مجلس الشعب (الأمة سابقًا) .

فعلى الرغم من تأكيد موسى صبرى على القول بأنه كان من غلاة المتحمسين لثورة ٢٣ يوليو . . إلا أن الثورة على حد قوله : « قد وضعتنى فى خندق الخصوم » (١) . وهو يحدثنا من خلال مذكراته عن طبيعة هذه الخصومة التى بدأت أساسًا فى مجال السياسة . . ولم تبدأ فى المجال الذى كان يعمل به آنذاك كصحفى فى دار أخبار اليوم . ففى عام ١٩٥٧ دخل الانتخابات البرلمانية ضد مجدى حسنين أحد نجوم الثورة آنذاك . وقد وُضع موسى صبرى من هذا التاريخ فى القائمة السوداء بلا مبرر ، لأنه كان ضد الفساد ولم يكن ضد الثورة . . هذه الخصومة المبكرة بينه وبين الثورة تسببت له فى العديد من المشاكل امتدت إلى حياته المهنية فى عالم الصحافة . . فقد تم وقفه عن العمل ثم عُزل من رياسة تحرير جريدة الأخبار أكثر من مرة .

حدث ذلك لموسى صبرى فى الوقت الذى كان فيه غريمه محمد حسنين هيكل من أقرب الصحفيين المصريين إلى عقل وقلب جمال عبد الناصر !!

هذه العلاقة التى ساعدت هيكل كثيرًا على السيطرة على مقاليد

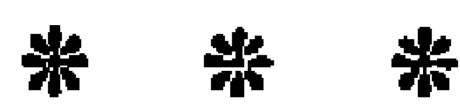
---

(١) ٥٠ عامًا فى قطار الصحافة ـ موسى صبرى (ص ٣٩) .

العمل الصحفى داخل بلاط صاحبة الجلالة . . بل وعلى بعض مقاليد العمل السياسى الذى لم يكن يعلم به إلا سواه ورفيقه عبد الناصر .

ومهما اختلف المراقبون والخصوم فى تحديد البداية الحقيقية لهذه العلاقة التى دامت أكثر من عشرين عامًا بين الاثنين هيكل وعبد الناصر . . إلا أن هناك حقيقة واحدة لم يختلف عليها هؤلاء المراقبون وهى أن هيكل وعبد الناصر كانا شخصًا واحدًا فى جسدين ! وبطبيعة الحال . . لو لم يكن هيكل على قدر كبير من الذكاء والدهاء لما تمكن من الفوز بعقل هذا الصعيدى العنيد ! وهو ما فشل فيه موسى صبرى الذى كان أقرب الناس لفهم عقلية عبد الناصر بحكم انتمائهما سويًّا من حيث المولد والنشأة إلى إقليم الصعيد !

ولابد لنا أن نتساءل عن موقف السادات فى هذا الصراع الذى كان يدور آنذاك أمام عينيه بحكم كونه عضوًا فى مجلس قيادة الثورة . . إلى جانب أنه كان يعرف موسى صبرى قبل ثورة يوليو . . مثلما عرف هيكل عبد الناصر فى نفس التوقيت تقريبًا أو ربما بعده بسنوات قليلة .



تقول سطور التاريخ المكتوبة فى صفحات المؤرخين أو المهتمين بجمع المواد الحيوية عن هذه الفترة . . إن معرفة موسى صبرى المبكرة بالضابط المفصول أنور السادات والذى التقى به لأول مرة فى معتقل الزيتون لم تشفع له أو تساعده فى صراعه المبكر مع هيكل . . لسببين : أحدهما

يعترف به موسى صبرى نفسه . . حيث أكد أنه لم يحاول الاتصال بالضابط أنور السادات منذ عرف أنه أحد أعضاء مجلس قيادة الثورة .

أما السبب الثانى : فإن الظروف نفسها لم تساعد السادات كثيرًا كى يلعب دورًا بارزًا فى السنوات الأولى للثورة . حيث اقتصر دوره منذ مطلع اليوم الثالث والعشرين من يوليو عام ١٩٥٢ على تلاوة البيان الأول للثورة وتوصيل قرار مجلس قيادة الثورة إلى على ماهر باشا بالاسكندرية من أجل تشكيل وزارة جديدة . . ثم قيامه بمهمة أخرى حيث كان الملك فاروق يقضى كالعادة شهور الصيف فى الاسكندرية فذهب إليه بعد يومين من قيام الثورة يحمل معه نص الإنذار الذى وجهه الجيش إلى الملك بالتنازل عن العرش . وقد استمر السادات لفترات طويلة بعيدًا عن مجريات الأحداث المؤثرة فى أحوال مصر . . ففى عام ١٩٥٣ قرر مجلس قيادة الثورة ضرورة أن يتحمل بعض أعضائه مسؤوليات عملية فى السلطة ، وفضلاً عن « محمد نجيب » الذى أصبح رئيسًا مؤقتًا للجمهورية ورئيسًا للوزراء » . . فإن جمال عبد الناصر أصبح نائبًا لرئيس الوزراء ووزيرًا للداخلية . . كما أن « عبد اللطيف البغدادى » أصبح وزيرًا للحربية ، كما أصبح جمال سالم مسؤولاً عن الإصلاح الزراعى وخالد محيى الدين عضوًا فى مجلس الإنتاج والخدمات . ولم يعهد بأى منصب رسمى فى ذلك الوقت إلى « أنور السادات »[٢] .

(٢) خريف الغضب ـ محمد حسنين هيكل (ص ٣ ـ ٨) .

وفى المقابل . . كانت علاقات هيكل تزداد وبقوة وتتجه ناحية العقل المدبر داخل مجلس قيادة الثورة وهو جمال عبد الناصر .

ولنا أن نتصور شكل الصراع الذى اشتد بين موسى صبرى وهيكل فى هذا الوقت المبكر . . حيث لعبت الظروف دورها المعاند ضد الأول . . وأخذت بيد الثانى كثيراً إلى الأمام . . وقد شاءت الظروف أن تبدأ أولى حلقات هذا الصراع على أرض دار أخبار اليوم ، إذا كانت المكان المشترك الذى بدأ منه الاثنان عملهما الصحفى . رغم أن حسنين هيكل قد بدأ أول خطواته داخل أخبار اليوم قبل موسى صبرى بسنوات قليلة .

فقد كان رئيسًا لتحرير مجلة آخر ساعة . . وكان موسى صبرى فى ذات الوقت نائبًا لرئيس تحرير الأخبار ورئيسًا لمجلة « الجيل » . ذلك كان الوضع الرسمى للاثنين داخل بلاط صاحبة الجلالة ليلة وقوع ثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ .

ويبدو أن موسى صبرى كان ينتظر ويتحين كل الفرص من أجل أن ينتقم من عبد الناصر فى صورة هيكل ! أو العكس . فقد ظل طوال الفترة التى امتدت من عام ١٩٥٧ حين كشرت له الثورة عن أنيابها ووضعته فى مصاف الخصوم . . وحتى رحيل عبد الناصر عام ١٩٧٠ ـ يعد العدة من أجل استعادة ما فاته على أرض المعركة داخل بلاط صاحبة الجلالة بينه وبين هيكل . . فقد تم له ذلك حين جاء زميل المعتقل أنور السادات وتولى رئاسة مصر بعد رحيل عبد الناصر . .

والشيء الذى يثير الدهشة أن هيكل نفسه كان أحد رجال عبد الناصر الذين أيدوا اختيار السادات فى هذا المنصب . . بل إن هيكل وكما تقول سطور التاريخ قد وقف مع السادات فى خندق واحد من أجل تأكيد هذا الاختيار فور رحيل عبد الناصر وابتداء من ليلة الثامن والعشرين من سبتمبر عام ١٩٧٠ . الأمر الذى عرض هيكل لخصومات ساخنة مع بقية فريق عبد الناصر . . ووصلت إلى ذروتها حين طلبوا تقديمه للمحاكمة !!

ودليلنا على ما ذكرناه بخصوص تحيّن موسى صبرى للفرص من أجل أن يرد لهيكل بعض المتاعب التى واجهها مع رجال الثورة ، أنه بدأ منذ بداية ١٩٧١ يكتب المقالات التى أخذ يهاجم فيها بقوة محمد حسنين هيكل . . وقد اختار فى ذلك أسلوبًا ذكيًا . . مكنه منه هيكل نفسه ، حين تدخل فى مجريات الحياة السياسية المصرية متصورًا أنه يمكن أن يمارس نفس دوره الذى كان له منذ عدة أشهر قبل رحيل عبد الناصر . ولم يكن هيكل يتخيل أبدًا أن كل شيء مآله إلى التغيير . وأن طبيعة السادات كرجل سياسى تميز بالمكر والخبرة . . تختلف اختلافًا حادًا عن طبيعة عبد الناصر . هذه الطبيعة لم تكن تسمح إلا بوجود رجل سياسى واحد فقط يفكر ويدبر وينفذ بعيدًا عن محمد حسنين هيكل .

ولعلنا نؤكد أنه لولا الحظ الذى مكن السادات من الفوز بمنصب رئيس مصر فى هذه الفترة لظل محمد حسنين هيكل على جبروته وقوته فى

عالمى السياسة والصحافة . ولظل موسى صبرى يعانى من متاعب المهنة ومتاعب الصراع حتى وافته المنية .

ولا شك أن الرئيس السادات قد فهم بعقله المجرب وخبرته الطويلة . . بل وبقربه من عالمى الصحافة والسياسة ، طبيعة الصراع الذى كان بين هيكل وبين موسى . . والذى شاهده مبكرًا وعرف أسراره بحكم عمله الصحفى . . وبحكم تواجده المستمر فى الفترة الأخيرة بجوار عبد الناصر . . لذلك قرر أن يستغل هذا الصراع لصالح تأكيد سياسته وقراراته داخل مصر وخارجها . . ولم يجد خير رسول لهذه المهام سوى موسى صبرى . . لأنه كان يعلم مسبقًا بطبيعة العلاقة بين هيكل وعبد الناصر . . الأمر الذى جعل هناك نوعًا من المستحيلات من أجل تطويع هيكل وقلمه للوقوف بجانبه . . وقد حاول السادات نفسه فى بداية أيام حكمه أن يجس نبض هيكل . . كى يعرف إمكانية وقوفه معه أو ضده . فكان ما كان . . من السادات ضد هيكل . .

أضف إلى ذلك أن السادات فى بداية حكمه كان يعرف العديد من الصحفيين المصريين الأكثر كفاءة من موسى صبرى على الأقل فى مسألة التمرس السياسى والقدرة على إظهار النفوذ فى بلاط صاحبة الجلالة .

فبجانب الكاتب الصحفى مصطفى أمين الذى كان آنذاك يقضى عقوبة السجن بتهمة التخابر مع دولةأجنبية . . والذى اعتقله جمال عبد الناصر . . وكان له خصومات وعداءات شديدة مع هيكل منذ بداية

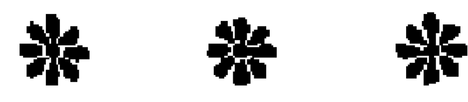
دخول الأخير بلاط صاحبة الجلالة فى دار أخبار اليوم . . كان هناك أيضًا الكاتب الصحفى المرموق جلال الدين الحمامصى . . زميل السادات فى معتقل الزيتون . . وكذلك على أمين وأحمد بهاء الدين واحسان عبد القدوس وأحمد الصاوى وآخرون . . ولكن أغلب هؤلاء لم يكن يتوفر فيهم شرط العداوة مع هيكل سوى مصطفى أمين الذى كان مسجونًا فى ذات الوقت . . ولم يكن فى استطاعة السادات أن يخرجه من سجنه كى يواصل صراعاته مع هيكل . . لأنه كان من الصعب خاصة فى بداية أيام حكمه . . أن يخالف أحكام القانون .

اذن لم يكن أمام السادات من زمرة الصحفيين الذين عايشوا الأحداث السياسية عن قرب واختلفوا مع عبد الناصر ورجاله إلا موسى صبرى . .

أضف إلى ذات السبب . . أن السادات له العديد من المواقف المحمودة التى تحسب له داخل نفس موسى صبرى حتى أيام المحن التى كان يمر بها داخل بلاط صاحبة الجلالة . .

ويكفى السادات موقفه الأخير حين تمسك بضرورة أن يعود موسى صبرى إلى مؤسسة أخبار اليوم رئيسًا لتحرير الأخبار قبيل وفاة عبد الناصر . . بعد أن كان قد نقل منها مطرودًا إلى دار التحرير وجريدة الجمهورية . . بعد مقال موسى صبرى الساخن عن قضية الذهب التى

اتُّهم فيها المشير عامر . . وتم تداولها بعد أحداث هزيمة يونيو عام ١٩٦٧ .



وهناك سبب آخر يحتم علينا خصوصية الاختيار الذى ضم كلاًّ من السادات وهيكل وموسى صبرى فى أوراق واحدة . . هذا السبب يتعلق بالصفات المشتركة لكل منهم . . مع اختلافات واضحة تتعلق بالبداية والمؤهل . . ومكان الميلاد وأسلوب التربية داخل الأسرة . . وأيضًا رصيد كل منهم فى حلقات الكفاح الوطنى المصرى قبل أحداث ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ .

ولعلنا نعيد ونكرر أن هناك غير هيكل وموسى من الصحفيين الذين أعطوا لمصر الكثير والكثير من عرقهم وكفاحهم سواء داخل الحياة السياسية أو فوق بلاط صاحبة الجلالة . . وبطبيعة الحال فإن المقام هنا لا يحتم علينا ذكرهم أو ذكر أعمالهم لأن هذه الأوراق قد خصصناها للحديث عن الفرسان الثلاثة السادات وهيكل وموسى بحكم وجود أسباب مشتركة بينهم ، تناولنا بعضها . . ونحاول إلقاء الضوء على البعض الآخر .

فإذا بدأنا مشوار الأحاديث بالسادات نجد أنه مواطن مصرى فلاح من إحدى قرى محافظة المنوفية بوسط دلتا مصر . . ولد يوم ٢٥ ديسمبر عام ١٩١٨ . . والتحق بالكلية الحربية ثم تخرج منها بعد تسعة أشهر

وحصل على رتبة ملازم ثان عام ١٩٣٨ . وتدرج فى الرتب العسكرية حتى حصل على رتبة اليوزباشى . . وفى الأربعينات . . مارس هواية القلم وهو سجين رهن التحقيق القضائى عندما اتهم فى قضية اغتيال أمين عثمان عام ١٩٤٦ . . وقد استمر حبيسًا بين سجن الأجانب وسجن مصر ٣٧ شهرًا . إلى أن حكم ببراءته . . وبعد الإفراج عنه عمل صحفيًّا محترفًا فى دار الهلال . . التى نشر بها مذكراته فى السجن . . كما كان يحرر بابًا أسبوعيًّا يشكل « مجلة » قائمة بذاتها .

ولما قامت الثورة وتم إنشاء دار التحرير التى أصدرت صحيفة الجمهورية تعبيرًا عن الثورة ، كان أنور السادات هو رئيس مجلس الإدارة . . وكان يكتب مقالاً سياسيًّا قصيرًا فى الصفحة الأولى . . وأصدر ٤ مؤلفات تحوى بعضًا من سيرته الشخصية وبعض فصول من قصة الثورة(٣) .

معنى ذلك أن السادات كان بجانب بدايته العسكرية وحبه للحياة الوطنية والدفاع عن قضايا مصر السياسية كانت له اهتمامات صحفية . . تحولت من مجرد كونها هواية إلى ممارسة واحتراف . . وكما سبق وذكرنا فإن البداية كانت فى سجن مصر عام ١٩٤٦ . . رغم أنها كانت بداية وتجربة محدودة بالمقاييس المتعارف عليها فى العمل الصحفى إلا أن أهميتها تعكس هذا الاهتمام المبكر للضابط المفصول أنور السادات بالصحافة .

---

(٣) السادات الحقيقة الأسطورة ـ موسى صبرى ص ٣١٥ .

الأمر الذى جعله يتمسك بهذه الحرفة ويقدم على العمل بها بقوة . . وقد نجح فى ذلك نجاحًا مبهرًا . . اتضح فى دخوله مؤسسة صحفية كبيرة وعريقة مثل دار الهلال وخاصة فى مجلة المصور التى عمل بها عام ١٩٤٨ . . ويقول الدكتور كرم شلبى أن التحاق السادات بالعمل الصحفى لم يكن عملاً عشوائيًّا ألقى طريقه بمحض الصدفة أو مارسه دون استعداد . . بل وما كانت دار مثل « الهلال » لتوافق على أن تلحقه بها صحفيًّا يكتب فى إحدى مجلاتها دون تأكد القائمين عليها من أنه قادر على هذا العمل .

أما فيما يتعلق بالحديث عن هيكل . . فقد ولد فى القاهرة فى حى باب الشعرية فى ٢٣ سبتمبر ١٩٢٣ . وتقول الأوراق الرسمية المحفوظة فى لجنة تاريخ ثورة يوليو أنه درس السكرتارية الأمريكية بالقاهرة وحصل على دبلوم فيها .

أما عن بداية حياته الصحفية فهناك خلاف كبير بين بعض المتخصصين فى تحديد هذه البداية . . وعلى أية حال فسوف نعود إلى هذه الاختلافات والحديث عنها فى الفصول القادمة . . المهم أن هناك شبه اتفاق على أنه قد بدأ حياته الصحفية محررًا بالإجيبشيان جازيت بالقاهرة . . وكانت آنذاك كبرى الصحف الأجنبية فى مصر . . كما كان يمتلكها اليهود . . وقد برز اسمه فى بداية حياته الصحفية فى العديد من التحقيقات الصحفية الميدانية عن « خُط الصعيد » تلك التى كتبها عام

١٩٤٢ . . واستمر بالإجيبشيان جازيت حتى عام ١٩٤٤ . . حيث انتقل إلى دار أخبار اليوم للعمل بها عام ١٩٤٦ . . بعد أن انتقل إليها مع الأستاذ التابعى .

وتسجل بيانات لجنة التاريخ : أن هيكل عين رئيسًا لتحرير صحيفة الأخبار واشترك مع رؤساء التحرير فى العدد الصادر فى ٤ أبريل عام ١٩٥٦ .

وكان من قبل رئيسًا لتحرير مجلة آخر ساعة وعمره ٢٦ عامًا . . ثم عين رئيسًا لتحرير الأهرام فى أغسطس ١٩٥٧ بعد أن حل محل محمد الصاوى محمد وعزيز ميزرا . . وكان عمره آنذاك ٣٤ عامًا(٤) .

وبشكل عام لا يستطيع أحد من المتخصصين أو الخبراء أو المراقبين أن ينكر الدور الريادى الذى لعبه هيكل فى الصحافة المصرية الحديثة . . وهو يعد بحق ظاهرة تستحق المزيد من الدراسات . . حيث حاول منذ هذه البداية المبكرة أن يغير من المفهوم الذى كان سائدًا آنذاك عن الصحافة المصرية التى ارتبطت بدايتها بمجىء الشوام إلى مصر فى مطلع القرن التاسع عشر .

لقد كانت الصحافة فى ذلك الوقت مجرد أخبار يجمعها المندوبون من الوزارات أو مقالات يكتبها بعض الكتاب . . أو تعليقات على الأحداث يكتبها بعض محترفى السياسة من رجال الأحزاب التى كانت تعبر عـن

---

(٤) هيكل وعبد الناصر ـ فاروق فهمى ص (١٤ ـ ١٥) .

أحزابهم أو تصدر عنها . . لقد كان هيكل يرى أنه يجب أن ينتقل الصحفى إلى مكان الخبر وإلى مكان الحوادث ليرى ويدرس ويجمع المعلومات ثم يكتبها بأسلوبه . لذا نراه قد بدأ حياته داخل بلاط صاحبة الجلالة محررًا للحوادث . . واستطاع عندما ظهرت جرائم « الخُط » وعصابته المشهورة فى الصعيد أن يذهب إلى مكان جرائم هذه العصابة . .

وبجانب هذا العمل الصحفى الذى تميز بالنبوغ فى حياة هيكل فقد بدأ يزاول السياسة كصحفى . . ولم يزاول الصحافة كسياسة (٥) .

ولعل أبرز ما حققه هيكل فى حياته الصحفية أولاً ثم السياسية فيما بعد . . نجاحه المبهر فى إقامة مؤسسة صحفية مصرية عريقة . . تحمل فى جنباتها روائع التاريخ المصرى العريق . . واستطاع هيكل بحرفية مطلقة أن يحولها من دار خاسرة مهملة إلى دار صحفية عريقة . . وتمكن من خلال نشاطه الريادى أن ينقل تبعية هذه الدار من الشوام إلى المصريين . . إنها دار الأهرام الصحفية .

أما فى مجال السياسة فيكفيه أنه أصبح على مدى عشرين عامًا الرجل الأول فى حياة جمال عبد الناصر .

ويأتى الدور بالحديث عن موسى صبرى . . مولده ونشأته وحياته الصحفية ثم إلقاء الضوء على بعض ملامح هذه الحياة التى تشابهت فى كثير من تفاصيلها مع حياة الآخرين . . السادات وهيكل . .

---

(٥) نجوم الصحافة ـ ص ٢١ .

ولسوف نلاحظ هذا التشابه ليس من خلال كلماتنا القادمة عبر هذا الفصل فقط . . بل سيكون ذلك واضحًا أكثر من خلال أوراق الفصول القادمة .

ولد موسى صبرى فى مدينة المنيا بصعيد مصر فى ٢ أكتوبر عام ١٩٢٤ . . وقضى فيها مع أسرته الخمس سنوات الأولى من حياته . . ثم انتقل إلى مدينة أسيوط إذا التحق هناك بالمدرسة الابتدائية . . ومن بعدها ارتحل إلى مدينة سوهاج وهناك حصل على شهادة إتمام الثانوية . . ثم انتقل إلى مدينة القاهرة ودخل كلية الحقوق حيث درس القانون وتخرج منها عام ١٩٤٣ . . ولم يبلغ عمره آنذاك تسعة عشر عامًا . . وبذلك وكما تقول أوراق هذه الأيام . . أن موسى صبرى فى ذلك الوقت كان أصغر خريج جامعى فى مصر كلها . . هذه الصفة لم تكن صفة حميدة فى حد ذاتها على الأقل بالنسبة له . . لأنها كانت عقبة فى طريق التحاقه بالعمل فى مهنة المحاماة . . ورغم حبه الشديد للقانون فقد كان يحب الرسم . . وقد أخذت هذه الهواية تطارده حتى وهو فى بلاط صاحبة الجلالة . . إذ فرضت عليه أن يعمل أولاً فى مجال الإخراج الصحفى .

وكان موسى صبرى شأنه شأن كل مصرى يشارك فى أحداث بلاده السياسية والوطنية . . والدليل على ذلك . . اعتقاله وهو فى هذه السن المبكرة وفور تخرجه من الجامعة عام ١٩٤٣ .

ولقد بدأت رحلة موسى صبرى فى قطار الصحافة مع أوائل

الأربعينات من هذا القرن . . حيث عمل أولاً فى مجلة صغيرة كانت محدودة الانتشار اسمها « بلادى » أصدرها الحزب السعدى . . ثم انتقل للعمل فى جريدة « الزمان » المسائية عام ١٩٤٧ تحت رئاسة الصحفى الكبير جلال الدين الحمامصى .

ثم انتقل إلى دار أخبار اليوم وعمل فيها سنوات طويلة قبل انتقاله فى بداية الستينيات إلى جريدة الجمهورية رئيسًا للتحرير .

ولعلنا نعرف جميعًا أن نهاية المطاف الصحفى بالنسبة لموسى صبرى كان فى دار أخبار اليوم التى بدأ فيها منذ الخمسينات بداية قوية حتى وصل إلى منصب نائب رئيس التحرير ورئيس تحرير مجلة الجيل التى أغلقت فيما بعد . . وظل بها يعمل صحفيًا وإداريًا حتى وافته المنية .

وقبل أن نختم هذا الحديث . . عن نقاط التشابه بين الفرسان الثلاثة، لابد أن يستوقفنا شىء ما لاحظناه وقد فرض نفسه بقوة خلال هذا الحيز . . ألا وهو لعبة الأرقام فى حياة كل منهم . . وعلاقة هذه الأرقام فى تأكيد معنى هذا التشابه الواضح . . فإذا اخترنا مثلاً تاريخ ميلاد كل منهم . . سوف نلاحظ أن الفرق بين كل من هيكل وموسى صبرى لا يتعدى عامًا واحدًا . أما السادات وهو أكبرهم سنًا يبلغ هذا الفارق ٥ سنوات لأنه ولد عام ١٩١٨ حيث ولد حسنين هيكل عام ١٩٢٣ وموسى عام ١٩٢٤ . . ولا شك أن هذا السن المتقارب قد لعب دورًا مهمًا داخل حلبة الصراع بين هؤلاء الثلاثة . . والذى ظهر مبكرًا فى

بلاط صاحبة الجلالة وإن لم يلاحظه أحد . . لأن كلاً منهم كان يحاول إثبات ذاته داخل هذا الميدان الجديد .

لقد كانت البداية واحدة . . وكذلك التوقيت . . والتفاصيل تقول ذلك وأكثر . . فالسادات رغم أنه قد بدأ حياته العملية رجلاً عسكريًا حين حصل على رتبة الملازم ثان عام ١٩٣٨ . . وظل بالخدمة العسكرية حتى وصل إلى رتبة اليوزباشى ثم تركها رغمًا منه عام ١٩٤٦ .

إلا أنه كان يملك فى داخله إمكانات العمل الصحفى باحتراف وتفرغ ، ظهر جليًا حين نجح فى الاختبار الذى أجرى له داخل دار الهلال . . وبالتالى تحول إلى صحفى محترف يكتب فى مجلة المصور . . ولقد ظلت هذه الحرفية ملازمة له حتى بعد أن شارك الضباط الأحرار فى الثورة وكان أغلب زملائه من هؤلاء الضباط على علم بمهارته فى بلاط صاحبة الجلالة . . لذا أسندوا إليه الإشراف على أولى الإصدارات الرسمية التى قررتها الثورة . . وهى دار التحرير وصحيفة الجمهورية .

أما حسنين هيكل فقد بدأ هو الآخر أولى خطواته داخل بلاط صاحبة الجلالة فى نفس العام الذى التحق فيه السادات صحفيًا فى دار الهلال . . حيث اشتغل هيكل عام ١٩٤٦ فى دار أخبار اليوم صحفيًا محترفًا . . رغم أنه كان قبل هذا التاريخ يعمل محررًا مبتدئًا فى جريدة «الإجيبشيان جازيت » التى كانت تصدر باللغة الانجليزية . . ابتداءً من عام ١٩٤٢ . . وإذا كانت الظروف لم تساعد السادات كى يستمر فى

بلاط صاحبة الجلالة . . حيث عاد مرة أخرى إلى سلك العسكرية ابتداء من عام ١٩٥٠ . . فإن نفس الظروف هى التى ساعدت استمرار هيكل فى مهنة الصحافة . . فبعد انتقاله إلى دار أخبار اليوم . . ظهرت مواهبه الصحفية خاصة فى التحقيقات الصحفية الخارجية وتغطية الأحداث السياسية والعسكرية الساخنة خاصة أثناء حرب فلسطين عام ١٩٤٨ حيث ارتبط اسمه فى هذه الفترة بسلسلة من المقالات والتحقيقات التى كتبها أثناء الحرب . هذه المواهب قد دفعته إلى الأمام لتولى العديد من المناصب الصحفية داخل دار أخبار اليوم ـ فتم تعيينه رئيسًا لتحرير مجلة آخر ساعة فى يونيو عام ١٩٥٢ . . ثم رئيسًا لتحرير جريدة الأخبار اليومية مع غيره من رؤساء التحرير فى أبريل عام ١٩٥٦ (٦) .

ولم ينقطع هيكل عن الاتصال بدار أخبار اليوم إلا بعد تعيينه رئيسًا لتحرير الأهرام اعتبارًا من العدد ٢٥٨٠٢ للسنة الثالثة والثمانين من عمرها ، والصادر فى أول أغسطس عام ١٩٥٧ . . ولهذا الانتقال قصة سوف نعود إليها فى حينها (٧) . ثم عاد إليها من جديد فى الستينيات حيث جمع بين العمل فى جريدة الأهرام ودار أخبار اليوم تحت مسمى « هيئة الصحافة العربية » والتى ضمت أيضًا دار المعارف .

وهيكل يعترف بقلمه عن أهمية دار أخبار اليوم فى حياته الصحفية حيث قال :

---

(٦) هيكل والأخلاق الصحفية ـ اللواء حسين الذيب ص ١٧ .

(٧) المصدر السابق .

« وكانت السنوات العشر التى قضيتها فى أخبار اليوم (١٩٤٦ ـ ١٩٥٦) سنوات خصبة وفيها وضعت الأساس لأى شيء يمكن أن أصل إليه مهنيًّا . . وفيها عرفنى الناس وقرأوا لى ، وفيها وصلت بالفعل إلى مكان الرجل الثالث بعد صاحبيها . ثم أن علاقات إنسانية واصلة إلى الأعماق ربطتنى بكثير من هؤلاء الذين جمعتنى وإياهم فرصة العمل فى أخبار اليوم ، خصوصًا الأستاذ ـ كامل الشناوى وبصاحبى أخبار اليوم الأستاذين مصطفى وعلى أمين » (٨) .

وبالرجوع إلى بداية التحاق موسى صبرى بعالم صاحبة الجلالة نجد أن عام ١٩٤٦ يمثل بالنسبة له تاريخًا خاصًّا فى هذا الاتجاه . . فعلى الرغم من أنه بدأ صحفيًّا مبتدئًا هو الآخر عام ١٩٤٤ فى مجلة « بلادى » التى كان يصدرها الحزب السعدى آنذاك . . إلا أنه بدأ يحترف الصحافة كمهنة فى عام ١٩٤٦ فى جريدة « الزمان المسائية » التى أصدرها « إدجار جلاد » برئاسة تحرير جلال الدين الحمامصى الذى قرر فى ذلك الوقت أن تكون أسرة التحرير من خريجى الجامعة .

وكان من الممكن أن يكون رئيسًا للتحرير فى ذلك الوقت . . حين عرض عليه صاحب جريدة « الزمان » أن يبقى معه بعد ما استقال منها جلال الدين الحمامصى . . إلا أن موسى صبرى قد رفض ذلك . . وفضل العمل فى جريدة الأهرام فاتفق مع الأستاذ كامل الشناوى على الانتقال

(٨) بين الصحافة والسياسة ـ محمد حسنين هيكل (ص ٦٦)

إلى الأهرام فعلاً لولا تدخل جلال الدين الحمامصى فى الوقت المناسب الذى اتصل به كى يبلغه بأنه سيعمل فى أخبار اليوم . . وبالفعل حدد له موعدًا لهذا الغرض مع مصطفى أمين صاحب الدار . . الذى وافق على تعيينه بمبلغ ٤٥ جنيهًا محررًا برلمانيًا لأخبار اليوم وآخر ساعة . ومنذ يناير ١٩٥٠ ظل موسى صبرى بأخبار اليوم حتى غادرها إلى جوار ربه فى عام ١٩٩٢ .

وإذا كان هناك نوع من التوحد والتشابه فى مجال العمل داخل صاحبة الجلالة لكل هؤلاء الفرسان الثلاثة فقد اكتشفنا كذلك أن هذا التوحيد وهذا التشابه . . قد امتد إلى العمل السياسى أيضًا . . وقد نشأ مع بدايات اهتمام كل من السادات وهيكل وموسى صبرى بشئون مصر السياسية منذ فجر شبابهم وبالضبط ابتداء من عام ١٩٤٣ .

وحين نلجأ إلى تفصيل هذه الخصوصية التى يشترك فيها الثلاثة ـ نجد أنه بالنسبة للضابط محمد أنور السادات فقد بدأت اهتماماته السياسية تتفتح منذ أن تعرف على الشيخ « حسن البنا » . . وضابط سلاح الطيران « حسن عزت » . . وكان محور هذه الاهتمامات منصبًا فى الأساس على مقاومة الاحتلال الانجليزى ، والوقوف فى وجه الملك والحاشية التى تسهل بقاء هذه القوات . . ثم العداء السافر للأحزاب التى كانت فى الساحة السياسية آنذاك ثم الاشتراك فى الجمعيات السرية من أجل تحقيق الأهداف السياسية المطلوبة .

ولا شك أن هذه الاهتمامات السياسية المبكرة للسادات قد قادته مرتين إلى السجن : الأولى حين اعتقل عام ١٩٤٢ بتهمة التورط مع الألمان الذين ضبطتهم قوات الاحتلال البريطانى فى قضية تجسس . . والثانية عام ١٩٤٦ حين اتهم فى محاولة اغتيال « أمين عثمان » . . وقد ظل السادات يحترف العمل السياسى حتى بعد عودته إلى الجيش مرة أخرى بعدما فصل منه . . ووصل إلى قمة هذا الاحتراف بانضمامه إلى تنظيم الضباط الأحرار الذى لا يزال توقيت الانضمام إليه مسار خلاف بين المؤرخين على الرغم من ذكر السادات تفاصيل هذا الانضمام فى مذكراته التى صدرت بعنوان « البحث عن الذات » .

ومما يلفت النظر حين التمعن فى تفاصيل حياة السادات داخل المعترك السياسى . . نجد أنه كان على خصام شديد مع الأحزاب السياسية التى كانت تمارس نشاطها داخل المجتمع المصرى . . وخاصة حزب الوفد . . للدرجة التى جعلته يتورط فى محاولة اغتيال زعيم الحزب وكان آنذاك الرئيس مصطفى النحاس . . رغم أن السادات على حد قول الكاتب الايطالى « دينوفريسكوبالرى » (٩) قد قال فيما بعد عن هذا الحادث أن الأمر قد التبس على البعض ، وأن ما حدث كان قصة فكاهية ، وليست مأساة كما صورها الناس . فقد قام أحد الأعضاء فى الحركة بقذف النحاس باشا بفردة حذاء ، بينما كان خارجًا من أحد المساجد فأصاب

---

(٩) ديتوفريسكوبالرى ـ ترجمة موسى بدوى ـ الناشر دار المعارف .

أحد المتعاونين مع رئيس الوزراء وتصور الحاضرون للوهلة الأولى أن تلك كانت قنبلة![10] .

ولسوف نكتشف كذلك أن الخصومة مع الأحزاب السياسية التى كانت تمارس نشاطها وفقًا للأصول الديمقراطية التى كانت سائدة قبل عام ١٩٥٢ كانت السمة المميزة للنشاط السياسى لكل من هيكل وموسى صبرى وليس السادات وحده .

فقد بدأ هيكل أولى خطواته داخل الحياة السياسية منذ أن عمل صحفيًّا تحت التمرين فى جريدة « الإجيبشيان جازت » عام ١٩٤٣ ثم تمكنت خطواته داخل هذه الحياة بعد نجاحه الصحفى المبهر فى تغطية أحداث حرب فلسطين عام ١٩٤٨ . . وهو يعبر عن هذه المكانة بقوله : « وأهم من ذلك كله أن أبواب السياسة المصرية تفتحت أمامى على مصراعيها وكان ساسة مصر وقتها قد تعودوا على مجموعات من الصحفيين يقفون على أبواب دور الرئاسات والوزارات يسألون الداخلين والخارجين عن الأخبار »[11] . ليس هذا فقط بل إن هيكل فى مطلع عام ١٩٥٢ . . قد وجد نفسه فى وسط لعبة السياسة حين كُلف نجيب الهلالى باشا فى مارس عام ١٩٥٢ بتولى رئاسة الوزارة . . عندئذ سأله نجيب الهلالى فيمن يصلحون معه لتولى المناصب الوزارية .

---

(١٠) السادات يتحدى ص ٣٨ .

(١١) بين الصحافة والسياسة ـ المصدر السابق ص ٤١ .

ورغم أن هيكل قد عبر فى بعض كتاباته عن ميله لحزب الوفد . إلا أنه يؤكد أن هذا الميل كان بحكم عمله الصحفى فى مجلة آخر ساعة التى كانت مجلة وفدية . . معنى ذلك أنه كان لا يثق فى أحزاب هذه الأيام وقد اتخذ من عدم الثقة هذه وسيلة يتقرب بها إلى أفكار جمال عبد الناصر كما يروى هيكل نفسه حين قابله للمرة الثانية فى منزل الرئيس محمد نجيب فى منتصف عام ١٩٥٢ . . ولن ندخل فى تفاصيل مناقشة صحة ما أورده هيكل عن هذه الواقعة واعتراض بعض المراقبين والمؤرخين عليها . وربما نعود إليها بتفصيل أكثر فيما بعد .

أما بالنسبة لموسى صبرى . . فلسوف نلاحظ أيضًا أن البداية داخل عالم السياسة تكاد تكون متشابهة إلى حد بعيد . . من حيث اتخاذ القضايا الوطنية سبيلاً للجهاد . . الذى كانت له صور عديدة منها الاشتراك فى المظاهرات الشعبية تعبيرًا عن الاحتجاج ضد الاحتلال الانجليزى الذى كان جاسمًا على صدر مصر . . أو المشاركة فى تنفيذ بعض عمليات الاغتيال السياسى أو اتخاذ مواقف علنية ضد أحزاب هذه الأيام .

وترجع البدايات السياسية لموسى صبرى إلى عام ١٩٤٣ . . حين اشترك لأول مرة مع بقية زملاء الجامعة فى مظاهرة وهو فى السنة الثانية فى كلية الحقوق . . وكانت المظاهرة احتجاجًا كما يقول موسى صبرى نفسه ضد حكومة الوفد التى أقالت عميد كلية الحقوق الدكتور على بدوى(١٢)

---

(١٢) السادات ـ الحقيقة والأسطورة . المصدر السابق ص ١٧٦ .

ثم استمر بعد ذلك موسى صبرى فى ذات الطريق . . واستطاع تطوير نشاطه السياسى من مجرد الاشتراك فى المظاهرات ضد حزب الوفد إلى تأييد خصوم الوفد والترويج لأفكارهم مثلما حدث مع « الكتاب الأسود » الذى أصدره مكرم عبيد . وقد أدى به هذا الموقف إلى معتقل الزيتون الذى التقى فيه بصديقه الصحفى الكبير جلال الدين الحمامصى وكذلك الضابط أنور السادات .

ولا شك أن موسى صبرى حين فكر فى تغيير مصير حياته العملية وقرر أن يهجر القانون والنيابة العامة إلى عالم الصحافة ، كان قد اختار الدخول بثقله فى معترك الحياة السياسية المصرية التى كانت سائدة فى ذلك الوقت مناضلاً بالقلم . . ابتداءً من عمله فى مجلة « الزمان المسائية» . . ثم انتقاله فيما بعد إلى دار أخبار اليوم محرراً برلمانيًا . . وما تلا ذلك من كفاحه فى عالم الصحافة إذ لم ينفصل فى يوم من الأيام عن الحياة السياسية حتى فى الأوقات التى كان يهتم فيها بالفن وأخبار الموضة ! .

وقد بلغت ذروة اشتغاله بالسياسة حين قرر ترشيح نفسه فى مجلس الأمة عام ١٩٥٧ . . وهو أول مجلس تشريعى وافقت على قيامه حكومة الثورة بعد عام ١٩٥٢ .

وهناك ملحوظة لابد من تسجيلها هنا فيما يتعلق بتشابه الاهتمامات السياسية للفرسان الثلاثة . . وهى أن خلافات كل من السادات وهيكل وموسى مع الأحزاب السياسية قبل الثورة . . وخاصة حزب الوفد . .

كانت كامنة فى داخل نفوسهم . . وكانوا جميعًا ينتظرون الفرصة تلو الفرصة من أجل إظهار هذا العداء السافر لهذا الحزب بالذات . . خاصة فى الفترة التى أعقبت ٢٣ يوليو ١٩٥٢ . . فالسادات حين تم اختياره رئيسًا لمصر خلفًا لعبد الناصر . . وبعد أن استقرت له الأمور فى الشارع السياسى وفكر فى إحياء الحركة الحزبية لإثراء الحياة السياسية المصرية من جديد . . وحين سمح بتكوين أحزاب . . وضع العديد من العراقيل أمام عودة حزب الوفد تحت أى مسمى . . بل وصل به الأمر إلى إيداع رئيس حزب الوفد الجديد فى السجن . . ضمن اعتقالات سبتمبر . . وكان فؤاد سراج الدين قد قضى من قبل عقوبة السجن أيام حكم عبد الناصر !! مع اختلاف الأسباب . .

أما حسنين هيكل فرغم أن عداءه لحزب الوفد لم يكن صريحًا بالدرجة المطلوبة . . إلا أن هذا العداء ظل مستترًا خلف كل الأعمال التى وافق على القيام بها بعض رجال الثورة من تجاوزات شملت كل الرعيل السياسى الأول من الذين كانوا داخل الأحزاب السياسية . . وأيضًا مع حزب الوفد ! .

وبالنسبة لموسى صبرى . . فقد ظل هو الآخر يكتم هذا العداء الدفين لحزب الوفد طويلاً . . حتى أخذ الضوء الأخضر من الرئيس السادات . . ومن ثم بدأ هجومًا عنيفًا على الحزب وقياداته . . هذا الهجوم وهذا العداء ظل ساريًا بقوة حتى بعد رجوع حزب الوفد إلى الحياة السياسية . . بعد رحيل الرئيس السادات . وظهر ذلك جليًا فى المعارك

الصحفية التى شهدتها صفحات جريدتى الأخبار والوفد حتى قرب وفاة موسى صبرى .

* * *

أما عن آخر الأسباب التى جعلتنا نركز على هذا الاختيار الذى شمل هؤلاء الثلاثة وارتبط بخصوصية هذا الاختيار . . فهو أن كلاً من السادات وهيكل وموسى صبرى لم يستطع أن ينفذ إلى الحياة العامة ويترك على أرضها بصمات واضحة خاصة به إلا باقتراب كل منهم من شخصية ساعدتها الظروف من أجل أن يلعب دورًا كبيرًا فى حياة المجتمع المصرى ! . وغالبًا ما تكون شخصية واحدة أو اثنتين على الأكثر.

بالنسبة للرئيس السادات . . هناك شخصيتان هامتان لعبتا دورًا بارزًا فى بلورة نشاطه السياسى . . وساعدتاهُ كثيرًا على إتمام دوره الذى رسمه منذ بداية حياته عندما خرج من قريته ميت أبو الكوم لأول مرة . . والشخصيتان المقصودتان هما . . الطيار حسن عزت ، والضابط جمال عبد الناصر . . فقد ساعد حسن عزت الضابط المفصول أنور السادات على الانخراط فى الجمعيات السرية والاتصال ببعض الضباط الذين كانوا مهتمين آنذاك بقضايا مصر السياسية والعسكرية مثل عزيز المصرى وآخرين . كما كان لعبد الناصر الفضل الأكبر فى تلك الأدوار التاريخية التى لعبها السادات وساهم بجهده فى تغير شكل الخريطة السياسية

المصرية والعربية . . خاصة فى الفترة التى أعقبت انتصار مصر عام ١٩٧٣ فى حربها مع إسرائيل .

هذا الفضل يتضح بشكل مباشر فى اختيار عبد الناصر للسادات نائبًا له فى رئاسة مصر قبل رحيله بعدة أشهر . . الأمر الذى مكنه من تولى رئاسة مصر من بعده . . وعمومًا لن ندخل كثيرًا فى تفاصيل علاقة السادات بعبد الناصر منذ سنوات ما قبل الثورة . . لأنه سوف يجرنا لقضية ما زالت مطروحة بين المؤرخين حول التوقيت الصحيح لانضمام السادات لتنظيم الضباط الأحرار .

وحين نتحدث عن هيكل وعلاقته بالآخرين . . وفضل بعض الشخصيات المصرية على تواجده فى الساحة الصحفية والسياسية ، نجد أن الذى يأتى فى مقدمة هؤلاء . . هو الكاتب الصحفى الكبير محمد التابعى صاحب مجلة آخر ساعة . . لأنه الشخصية التى أتاحت الفرصة لهيكل كى ينتقل من جريدة « الإجيبشيان جازيت » إلى دار أخبار اليوم ومجلة آخر ساعة ، ومن ثم إلى عالم الشهرة فى بلاط صاحبة الجلالة .

أما الشخصية الثانية فى حياة هيكل . . فهو جمال عبد الناصر الذى اتخذ هيكل صديقًا ورفيقًا ومخططًا ومهيمنًا على مصير العاملين فى بلاط صاحبة الجلالة . . وقبل كل شىء . . رئيسًا لتحرير جريدة الأهرام . وكاتب مقالات « بصراحة » .

ولن نتعب كثيرًا فى البحث عن أهم هذه الشخصيات التى لعبت الدور الرئيسى فى حياة موسى صبرى فلن نغالى حين نقول : إن جلال الدين الحمامصى يقف فى مقدمة هؤلاء . . لسببين أولهما . . أنه يعتبر السبب الحقيقى وراء دخول موسى صبرى إلى بلاط صاحبة الجلالة . . وأيضًا فى دخوله إلى عالم الشهرة من باب أخبار اليوم .

أما الشخصية الثانية فلا جدال أنها شخصية السادات . . الذى مكن موسى من تأكيد وجوده داخل عالم الصحافة . . وكثيرًا ما كان يجره إليه فى الحياة السياسية ، وخاصة فى الفترة التى أعقبت انتصارات أكتوبر عام ١٩٧٣ وما تلاها من أحداث سياسية ارتبطت بزيارة السادات للقدس وانسحاب إسرائيل من معظم الأراضى المصرية التى احتلتها عام ١٩٦٧ فى مقابل عقد اتفاقية سلام أطلق عليها (اتفاقية كامب ديفيد) .

الفصل الثانى

من القرية إلى القصر

ربما لن تجد شخصية سياسية مصرية تفخر بانتمائها للقرية مثل السادات . . الذى يعتبره الكثير من المؤرخين من الحكام المصريين القلائل الذين جعلوا القرية وأهلها نصب أعينهم . . وقد عمل السادات كل ما فى وسعه حين أتاه الله الحكم من أجل رفع مستوى قريته، ومحاولة تعويضها عما لحقها من إهمال وجهل ومرض . . هذا الإهمال الذى عانى منه كثيرًا أثناء إقامته فى قريته فى ميت أبو الكوم فى كنف جدته « أم محمـد » .

ولقد وصل به الوفاء حدًّا لم يصل إليه غيره من الرؤساء السابقين فيما يتعلق برفع مستوى مسقط رأسه . إذ خصص إيراد كتابه « البحث عن الذات » لهذا الشأن ، كما تبرع بجزء كبير من نصيبه فى جائزة نوبل للسلام التى حصل عليها مناصفة مع مناحم بيجن رئيس وزراء إسرائيل الأسبق .

وكل الذين اقتربوا من السادات سواء قبل توليه حكم مصر أو بعدها شعروا بمدى تأثير حبه للقرية على كل سلوكياته الخاصة والعامة .

وقد شعرنا نحن بهذا التأثير أيضًا . . من كثرة ترديده لكلمات نقلها حرفيًّا من لهجة القرية التى عاش بها . . فى كل أحاديثه الصحفية ، وفى كل خطبه حتى السياسية منها .

والشىء الملفت للأنظار أن علاقة السادات بقريته « ميت أبو الكوم» . . قد بدت هامشية للغاية . . حيث لم يمكث بها وكما يعترف فى مذكراته سوى سبع سنوات فقط . . قضاها هناك ، منذ مولده فى عام ١٩١٨ وحتى عام ١٩٢٥ حين انتقل للإقامة فى القاهرة بعد عودة والده من السودان .

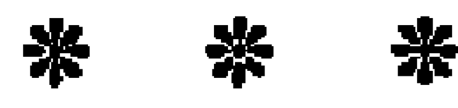
وهذه الفترة المبكرة من حياته التى قضاها هناك فى قريته ظل خلالها على ارتباط وثيق بجدته « أم محمد » . . التى تولت تربيته فى غيبة أبيه حيث كان هناك مع القوات البريطانية المرابطة بالسودان . . وقد وصف السادات هذه السيدة بقوله : « كانت شخصية فى غاية القوة بالإضافة إلى الحكمة . . حكمة الفطرة والتجربة والحياة . . وطوال فترة إقامتى بالقرية كانت هى رأس العائلة »(١٣) .

ورغم أن الفترة التى ارتبط فيها السادات بقريته كانت قصيرة . . إلا أنها تركت بصمات واضحة على كل حياته . . وظل على وفائه لها طويلاً . . وهذا ما يفسر لنا . . كثرة تردده على القرية حتى بعد أن انتقل إلى العيش بالقاهرة، الأمر الذى جعله دائمًا يعود إليها كلما احتاجت نفسه

---

(١٣) البحث عن الذات ـ أنور السادات ص ١٣ .

إلى ذلك . وظل هذا الاتجاه قائمًا حتى بعد توليه حكم مصر . . إذا استمر على وفائه القديم لقريته . وكثيرًا ما حاول جاهدًا بكل ما أوتى من جاه وسلطان وسلطات أن يعوض أهلها ذلك الحرمان الطويل الذى عانوه على مر العصور وكأنما كان يعوّض بذلك جدته التى ماتت قبل أن تنعم بهذا التعويض . وربما استفاد منه أقاربه وأهل قريته من نسل « أم محمد » .



ولن نغالى حين نقول : إنه من أجل تقديم صورة بلا رتوش عن حياة السادات كضيف رئيسى من ضيوف هذه الأوراق . . قرأنا معظم الكتب التى تناولت قصة حياته ، حتى التى صدرت بمعظم لغات العالم . . ورأينا من أجل الأمانة أن يكون مصدرنا الأساسى فى هذا الحديث . . كتاب « البحث عن الذات » . . وما نريد أن نوضحه قبيل الانطلاق إلى عالم هذه الشخصية ، هو أنه حين نتناول مسيرة السادات أو غيره من فرسان هذا الكتاب . . سوف نحاول أن يكون تناولنا فيه الكثير من الاختلاف عما دون الآخرين . . حتى الذى دوَّنه السادات نفسه . . لأنه لا يعنينا كثيرًا تلك الأحداث الدقيقة المدونة فى حياة كل منهم ، إلا بالقدر الذى نراه يرتبط ارتباطًا مباشرًا بموضوعنا والكشف عن مواطن الخلاف بينه وبين هيكل وموسى . أو بينهم جميعًا .

ولقد اكتشفنا أنه بالإمكان تقسيم حياته إلى خمس مراحل ؛ أو محطات يمكن التوقف عند كل منها بالقدر الكافى . ولسوف نحاول أن نربط بين السادات وبين الآخرين . . فى كل مرحلة من هذه المراحل الخمس .

ويمكن لنا أن نجمل هذه المراحل أو تلك المحطات فى سطور قليلة ثم بعد ذلك نحاول أن نكشف النقاب عن أحداث كل مرحلة على حدة، وعلاقتها بأوراق هذا الكتاب . . وهذه المراحل هى :

أولاً .. مرحلـة القريـــــة : وتبدأ من يوم ميلاد السادات عام ١٩١٨ وحتى دخوله الجيش !

ثانيا.. مرحلـة الجيـــش: تشمل حياة السادات طوال وجوده بالجيش وحتى تخرجه عام ١٩٣٨ برتبة ملازم ثان .

ثالثا .. مرحلـة السجـــن: وهى المرحلة التى شهدت معظم الأحداث العنيفة فى حياة السادات . . والتى شهدت كذلك بدايات تكوينه السياسى والنضالى .

رابعًا .. مرحلـة الثـــورة : وتبدأ من عام ١٩٥١ ـ وحتى عام ١٩٧٠ .

خامسًا .. مرحلة القصر : حيث اختتم السادات حياته السياسية حاكمًا لمصر عام ١٩٧١ . والتى قد بدأها بأداء اليمين الدستورية بقصر عابدين .

وقد يظن البعض أنه رغم إمكانية تقسيم حياة السادات إلى تلك المراحل . . أننا قد استطعنا وضع خطوط فاصلة بين كل مرحلة . . بحيث نستطيع أن نشير بأصبعنا على بداية ونهاية هذه المرحلة أو ذاك . لأن مثل هذا التقسيم الحاد . . لا يمكن تطبيقه على حياة البشر إلا

بنسب محدودة، والسبب يرجع إلى أن حياتنا دائمة مترابطة ومتشابكة ومتداخلة الأفعال والسلوكيات .

لذلك نرى أن هذه المراحل أولاً وأخيراً ما هى إلا نقاط عبور لتوضيح معالم هذه الحياة ، دون أن يكون لنا الحق فى أن نأخذ هذا التقسيم بالشكل الجامد ، لأنها ما هى إلا علامات إرشادية مضيئة على طريق السير داخل دروب ومعالم حياة هذه الشخصية وغيرها من الشخصيات المشتركة فى هذه الصفحات .

وحين نلجأ إلى التفصيل فى حديث هذه المراحل . . نقول :

**** المرحلة الأولى : [القريـة]**

وقد ولد خلالها محمد أنور السادات فى ٢٥ ديسمبر عام ١٩١٨ . . بقرية « ميت أبو الكوم » بمحافظة المنوفية . . ويقول إنه لم يعرف التاريخ الصحيح لميلاده إلا حينما جاء إلى القاهرة عام ١٩٢٥ واستقر بها وأراد أن يتقدم إلى المدرسة . . « وبالفعـل أخـذت أوراقى وذهبـت إلى المدرسـة . . عندئذ فقط ومن واقع الأوراق التى تقدمت بها عرفت يوم مولدى »(١٤) .

ويلاحظ أن السادات لم يذكر لنا تفاصيل كثيرة عن هذه القرية التى ولد بها . . سواء من حيث الموقع أو تعداد السكان . . لذلك نحاول تقديم

---

(١٤) البحث عن الذات ـ المصدر السابق ص ١٧ .

المزيد من المعلومات عنها سواء عن موقعها على الخريطة المحلية لمحافظة المنوفية التى تقع بها . . أو عن نشاط أهلها . .

ويرجع أصل تسمية المحافظة بالمنوفية إلى اللغة المصرية القديمة ، فقد أطلق عليها الفراعنة لفظ « من نفر » ومعناها الأرض الطيبة . ثم تحول الاسم بعد ذلك إلى « من نوف » ثم إلى « منوف » ثم إلى « المنوفية» . وتقع هذه المحافظة بين فرعى النيل رشيد ودمياط . . مما ساعد على خصوبة الأرض بها وجودة المحاصيل . وتبلغ مساحتها الكلية حوالى ١٥١٤ كيلو متراً تقريبًا . . ويبلغ عدد سكانها مليون ونصف مليون نسمة تقريبًا .

أما فيما يتعلق بالقرية التى ولد فيها السادات . . نجد أنها قرية صغيرة تبعد عن القاهرة بـ ٧٥ كيلو مترًا وهى ضمن ٤٣ قرية يضمها مركز « تلا » كما تبعد ٢٤ كيلو متراً عن شبين الكوم عاصمة المحافظة . ومساحتها الكلية حوالى ١٠٠٠ فدان .

والبيت الذى ولد به السادات فى القرية ما زال يحتفظ بطابعه الريفى ، وهو يقع على الطريق المرصوف المؤدى إلى القرية والخارج منها .

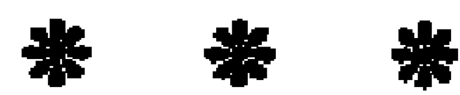
وإذا كان مكان مولد السادات من الأمور التى لم يجادل فيها أحد . . فإن اسمه . . وعائلته بالعكس مثار هذا الجدل وهذا الخلاف الذى فجره ربما لأول مرة الكاتب محمد حسنين هيكل لأسباب نعرفها .

ولسوف نسلم بالحجة التى ساقها هيكل نفسه فى كتابه حين ذكر

قصة أسرة السادات دون تعليق أو تدخل منا . . باعتبار أنها قد أثارت ولا تزال تثير الجدل الذى لم يتوقف حتى فترة قريبة .

لقد ذكر هيكل لنا فى أحد كتبه : أن السادات . . يرجع نسبه إلى امرأة من السودان . . وأن اسم عائلته هو « الساداتى » وليس «السادات» كما يشاع .

وفى محاولة من جانب كاتب هذه السطور لتحرى حقيقة ما ذكره هيكل عن اسم عائلة « السادات » . . أكد لنا الكاتب الصحفى المخضرم محمد مصطفى غنيم أنه على ثقة من أن لقب عائلة السادات . . هو نفس الاسم بدون حرف « الياء » . ودليله فى ذلك أنه قد اطلع العديد من المرات على جواز سفر الزميلة الصحفية « سكينة السادات» . . حتى قبل أن يظهر أنور على السا حة السياسية . . لقد كان لقب عائلتها هو « السادات » بدون الياء التى ذكرها هيكل .

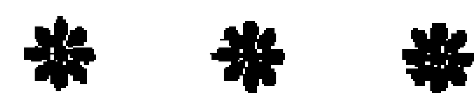


ولأهمية الأدوار التى لعبها فى حياته . . خاصة فى المرحلة الأخيرة ، بدأ الكثير من الكتاب والمؤرخين ينقبون عن أى ورقة صغيرة تتحدث عن السادات . . ولبراعته فى فن الكتابة التى مارسها طويلاً . لم يدع لغيره هذه الفرصة . . بل سطر بقلمه كل تفاصيل قصة حياته .

ورغم هذه البراعة فى الصياغة والتسجيل إلا أننا قد اكتشفنا أنه قد أغفل بعض التفاصيل خاصة المتصلة بحياته الأولى فى القرية . . مثلاً

ذكر لنا أول مكان تلقى فيه مبادىء القراءة والكتابة ، كما ذكر لنا فى نفس الوقت الاسم الأول من الشيخ الذى علمه مبادىء العلوم وحفظ على يديه بعض آيات القرآن الكريم . . ولكنه لم يذكر بقية اسمه . وعلى أية حال . . فقد عثرنا على اسم هذا الشيخ الذى تعلم على يديه السادات . . وهو الشيخ « عبد الحميد عيسى » .

وبشكل عام لم يترك السادات قريته قاصدًا المدينة إلا بعد أن التحق بالمدرسة الابتدائية ، وهى مدرسة الأقباط التى كانت تبعد مسافة كيلو واحد من تلك القرية . . وكانت تقع بناحية « طوخ دلكة » . . كما كانت ملحقة بدير الأقباط هناك .



وفى مطلع عام ١٩٢٥ رحل السادات نهائيًا إلى مدينة القاهرة . . وأقام فى أحد أحيائها وهو حى كوبرى القبة الذى شهد أول ميلاد لثورة ٢٣ يوليو وهو الحى الذى يقع فيه أكبر عدد من القصور الملكية التى تحولت فيما بعد إلى مقار لإقامة رجال الثورة والحكومة وضيوفهم . . كما شهد أكثر الأحداث السياسية سخونة فى تاريخ مصر وربما يرجع السبب إلى انتقال محمد محمد السادات والد أنور للإقامة فى القاهرة بعد رجوعه من السودان . . وبدأ يبحث لنفسه ـ وحسب رواية هيكل ـ ولعائلته عن مسكن يعيش فيه ، وعثر بالفعل على شقة فى الطابق الأول

من بيت يضم طابقين فى « كوبرى القبة » ـ أحد ضواحى القاهرة ـ وكان عنوان البيت ١ شارع محمود بدر [(١٥)] .

ويؤكد السادات على رواية هيكل بقوله : « كنا نسكن فى بيت صغير بكوبرى القبة» . . ولكنه لم يحدد لنا عنوان بيته . . كما حدده هيكل .

وحين استقر المقام بأسرته . . أراد والده أن يكمل ابنه التعليم فألحقه أولاً بمدرسة الجمعية الخيرية الإسلامية لأنها كانت مدرسة أهلية ومصاريفها تناسب دخله . . وكانت هذه المدرسة تقع فى حى الزيتون .

وفى هذه المدرسة قضى السادات الفترة التحضيرية ، والسنة الأولى والثانية من المرحلة الابتدائية . ثم انتقل بعد ذلك إلى مدرسة السلطان حسين التى تقع فى أول حى مصر الجديدة . . حيث نال منها الشهادة الابتدائية عام ١٩٣٠ . . والتحق بعد ذلك بمدرسة فؤاد الأول الثانوية للحصول على شهادة الكفاءة . . ولما أراد تحسين مجموعه فى نفس الشهادة ، انتقل إلى مدرسة الأهرام الأهلية . . فحصل منها على الشهادة الثانوية . . بالمجموع المطلوب عام ١٩٣٦ . . وبعد هذه المرحلة التحق بالكلية الحربية الدفعة (٣٧) ، وتخرج منها فى فبراير عام ١٩٣٨ برتبة الملازم ثان .

* * *

عندما نحاول جاهدين الربط بين حياة الطفل والشاب محمد أنور

---

(١٥) خريف الغضب ـ ص ٣١ .

السادات فى سنوات هذه المرحلة المبكرة من حياته ، وبين موضوع كتابنا الذى نتحدث فيه عن بدايات الخلاف والصراع بين الفرسان الثلاثة « السادات وهيكل وموسى » ، نجد أنه وعلى مدى هذه السنوات المبكرة لم يحدث أى لقاء فيما بينهم ، إلا فوق الأوراق الرسمية فقط . . ولعل استعراضاً سريعاً لمضمون بيانات هذه الأوراق يوضح لنا ما نرمى إليه . . فقد ولد الطفل محمد حسنين هيكل عام ١٩٢٣ ، أى بعد ستة أعوام من مولد الطفل محمد أنور السادات ! . معنى ذلك أن هيكل قد جاء إلى الدنيا فى نفس العام الذى دخل فيه السادات « كُتاب القرية » لتلقى قواعد العلوم والحساب .

أما بالنسبة لموسى . . فقد ولد الطفل موسى صبرى كامل عام ١٩٢٤ ، أى بعد عام واحد من مولد غريمه هيكل . . وهو أيضًا نفس العام الذى عاد فيه والد السادات من السودان وقرر الاستقرار فى مصر مع بقية أسرته والإقامة فى القاهرة بدلاً من قرية « ميت أبو الكوم » التى ولد فيها ابنه الثانى محمد أنور السادات .

وباستعراضنا لبقية التواريخ التى أمكن استخلاصها من حديث المرحلة الأولى فى حياة السادات والتى امتدت منذ مولده عام ١٩١٨ وحتى تخرجه من الكلية الحربية عام ١٩٣٨ . . نجد أن هناك عاملاً مشتركًا لهذه التواريخ فى حياة كل من هيكل وموسى صبرى . . إذ التقى الثلاثة خلال هذه الفترة فى السنوات الدراسية المختلفة التى أدت فى نهاية الأمر إلى تخرج السادات من المدرسة الثانوية ثم الكلية الحربية ،

وإلى تخرج هيكل من المدرسة الثانوية المتوسطة . ثم التحاقه فيها بعد بالجامعة الأمريكية قسم الدراسات الحرة . . أما موسى صبرى فقد كان هو الآخر فى هذه الفترة بالمدرسة الثانوية بأسيوط والتى حصل منها على الشهادة فى عام ١٩٣٩ . . وبعدها التحق بالجامعة ودخل كلية الحقوق .

* * *

**** المرحلة الثانية : [الجيــش]**

تخرج الطالب محمد أنور السادات من الكلية الحربية المصرية عام ١٩٣٨ برتبة الملازم ثان . ولدخوله هذه الكلية قصة يحكيها لنا هو وبعض زملاء دفعته فالسادات يقول : « كانت حياتى تسير جنبًا إلى جنب مع أحداث التاريخ . . فقد انتهيت من إتمام دراستى الثانوية عام ١٩٣٦ . وفى نفس السنة كان النحاس باشا قد أبرم مع بريطانيا معاهدة ١٩٣٦ . . وبمقتضى هذه المعاهدة سمح للجيش المصرى بأن يتسع . . وهكذا أصبح فى الإمكان أن ألتحق بالكلية الحربية . . وقبل هذا التاريخ كان الجيش المصرى ضيق الرقعة ضئيل الفاعلية . . وكان دخول الكلية الحربية قاصرًا على أبناء الطبقة العليا . . صحيح أنهم سمحوا لأبناء الطبقة الوسطى والفقيرة بدخول الكلية ولكن كان باستمارة الدخول شرطان . . دخل الأب وثروته . . ثم الواسطة وفى كشف الهيئة كان ينادى رسميًّا علينا . . فلان بن فلان . . وواسطته فلان [١٦] .

---

(١٦) البحث عن الذات ص ٢٥٠ .

وهذا يعني أن دخول الطالب محمد أنور السادات إلى الكلية الحربية لم يكن بالأمر السهل فى ظل هذين الشرطين ، أو على الأقل فى ظل الشرط الثانى الخاص بتوافر « الواسطة » . . ولكن والده استطاع أن يصل إلى من بيده الأمر فى هذه المسألة . . عن طريق أحد « الصولات » الذى تعرف عليه أثناء خدمته بالسودان . . هذا الصول تصادف أنه كان فى خدمة « ابراهيم باشا خيرى » رئيس لجنة قبول طلبات الالتحاق ، ولم يكن ابراهيم باشا هو الواسطة الوحيدة التى لجأ إليها الطالب السادات ، بل لجأ كذلك إلى الدكتور « فيتس باتريك » . . حكيمباش الجيش المصرى الذى كان يعمل معه والد السادات فى الوحدة الطبية التابعة للجيش الانجليزى فى ذات الوقت .

« وهكذا قبلت بالكلية الحربية . . وكان ترتيبى آخر المقبولين وعددهم اثنان وخمسون وذلك لأن واسطتى كانت أقل الوساطات شأنًا » (١٧) .

ولقد بدأ السادات دراسته بالكلية الحربية فى أواخر عام ١٩٣٦ واستمر بالكلية لمدة ٩ أشهر . . فقد كان الحظ حليفه لأن الدفعة التى كان ضمن أفرادها قد تخرجت بسرعة بسبب الحاجة الملحة إلى أعداد كبيرة . من الضباط بعد سياسة توسيع الجيش (١٨) .

ومن زملاء الدفعة (٣٧) الذين زاملوا السادات أثناء فترة الدراسة

---

(١٧) البحث عن الذات ص ٢٧ .

(١٨) خريف الغضب ـ حسنين هيكل ص ٤٠ .

بالكلية الحربية كان كل من الفريق جمال عسكر الذى تخرج مع الرئيس السادات والتحق بسلاح الفرسان ، بينما التحق زميله أنور عقب التخرج بسلاح المشاة ثم سلاح الاشارة ، والفريق محمود ماهر الرمالى الذى التحق عقب تخرجه من الكلية فى ذات الدفعة ضابطًا بالآلاى الأول مدفعية .

وبعد تخرج الضابط أنور السادات من الكلية العسكرية . . بدأت ميوله الفكرية والعسكرية والثورية تتضح أكثر وأكثر . . مما يجعلنا نعتقد أن هذه كانت البداية الحقيقية لدخول السادات إلى العمل الوطنى . . من باب القوات المسلحة . . وقد لاحظنا أن السادات نفسه قد عبّر عن هذه البداية بقوله : « لقد أصبحت ضابطًا بالقوات المسلحة وكنت أؤمن بأن لن يخلص مصر من الانجليز وفساد الحكم إلا القوة . . » وفور تخرجه عُين فى « منقباد » . . وهى قرية فى صعيد مصر كانت تضم المعسكر الرئيسى للجيش المصرى ـ وقتها فى تلك المنطقة . وفى هذه القرية التقى السادات ولأول مرة بالضابط جمال عبد الناصر . . كما التحق فى بداية حياته العسكرية بسلاح المشاة ثم انتقل إلى سلاح الإشارة حيث تم اختياره ضمن صفوة من الضباط المصريين للحصول على فرقة إشارة بمدرسة الإشارة بالمعادى .

وكان انتقال السادات إلى القاهرة بداية تحقيق حلمه فى تكوين خلايا سرية بالجيش ، حيث تمكن من تكوين أول تنظيم سرى من الضباط فى عام ١٩٣٩ على حد قوله فى مذكراته وكان من بين أعضائه ـ عبد المنعم

عبد الرؤوف ـ الذى كان يعتبر الرجل الثانى فى التنظيم . . وعبد اللطيف البغدادى وحسن ابراهيم وخالد محيى الدين وأحمد سعودى وحسن عزت والمشير أحمد إسماعيل .

كما حاول خلال هذه الفترة أن يطور من علاقاته خارج نطاق القوات المسلحة . . فبدأ الاتصال بالإخوان المسلمين ، وتعرف على الشيخ حسن البنا فى عام ١٩٤٠ . الذى سهل للسادات آنذاك الالتقاء بالفريق عزيز المصرى . فقد كان على حد قوله « فى حاجة إلى الإفادة من خبرات هذا المحارب العظيم وارشاداته » .

وفى عام ١٩٤١ صدرت الأوامر بنقل السادات إلى مرسى مطروح فى أقصى الشمال كضابط إشارة لآلاى المدفعية ، ورغم ابتعاد السادات عن القاهرة فإنه ظل يداوم الاتصال بزملائه من ضباط الجيش على أمل الاستمرار فى تحقيق حلمه نحو الثورة . . ولعل ما يعبر لنا عن هذه الثورية المبكرة هى شهادة الفريق جمال عسكر التى سجلها عن علاقته بالضابط أنور السادات حيث قال : « فى عام ١٩٤١ كنت قائدًا لكتيبة سيارات تابعة لسلاح الحدود . . فالتقيت مرة أخرى بالسادات . . وكنا نركب عادة سيارة واحدة فقد كان يعمل آنذاك بإشارة سلاح الحدود ، وكنت أجده شديد المتابعة لأخبار الحرب العالمية الثانية وتفاصيل القتال ، وكان يخرج من الحديث من هذه الحرب إلى امكانية تحرير الوطن من الاستعمار البريطانى ، وكيفية تحقيق هذه الإمكانية ، وكان أنور السادات كضابط إشارة يعمل مع جميع وحدات الجيش لذلك عرفناه

بوعيه السياسى ثم باتجاهاته الثورية التى كانت تفوق مقدرة الشباب فى عمره وكثيرًا ما كان يضع خطوطًا تحت عبارات تنشرها الصحف المصرية، ثم يناقشنا فى مضمونها وما تحمله من معان مختفية بين السطور، ومدلولات هذه المعانى بالنسبة للوطن ومستقبل الأيام (١٩) .

وهناك شبه إجماع من جانب بعض زملاء الدفعة (٣٧) الذين زاملوا السادات فى خدمته العسكرية سواء فى القاهرة أو فى منقباد أو فى مرسى مطروح أنه كان دائم الخلاف مع الضباط الإنجليز . . وأنه قد حدث أول صدام حقيقى بينه وبينهم فى صيف عام ١٩٤١ . أثناء الحرب العالمية الثانية . . الأمر الذى جعل السادات وكما يعترف فى مذكراته يفكر فى تدبير أول خطوة للقيام بالثورة . . حين اتفق مع جميع الوحدات المنسحبة من مرسى مطروح فى ذلك الوقت على أن يلتقوا جميعًا فى وقت محدد عند فندق «مينا هاوس» فى نهاية طريق الاسكندرية القاهرة الصحراوى . وهناك يبدأ التجمع للتوجه إلى القاهرة لضرب الإنجليز . . والاستيلاء على السلطة . . ويؤكد هذا المعنى اللواء متقاعد طه فتح الدين فى شهادته للتاريخ حيث قال : « فى عام ١٩٤٠ ، أنشىء أول قسم ثابت لإشارة لواء مشاة واختير الملازم أول « محمد أنور السادات » لتولى قيادة هذا القسم ، ورغم أن نشاطه كضابط إشارة كان مصدر خلاف دائم مع القادة الانجليز ، أعضاء البعثة العسكرية البريطانية التى تشرف على استخدامات أجهزة السلاح ، وذلك لرفضه تطبيق المعدلات الإنجليزية

(١٩) زملاء الدفعة ورفاق الاشارة ـ شهادة حية للفريق جمال عسكر .

فى خطوط الاشارة فى حدود الضبط والربط ، حتى لا يعطى أى ضابط من قوات الاحتلال فرصة لاستناد أى مأخذ عليه . . لقد شاهدت الضباط الإنجليز يكرهون وطنية « السادات » ويعجبون بعسكريته فى أعماقهم[٢٠] .

هذه الكراهية الشديدة للانجليز من جانب السادات وفى هذه السن المبكرة جعلته يتعاون مع القوات الألمانية المشاركة فى الحرب العالمية الثانية . . رغم أنه كان ضابطًا بالقوات المسلحة المصرية التى كانت تشرف عليها القوات البريطانية . فلم يتوان أبدًا حتى فى التعاون مع الجواسيس الألمان لتحقيق غايته نحو إعلان موقفه الصريح والمعادى للقوات البريطانية التى تحتل مصر ، مما عرضه للطرد من الخدمة العسكرية فى شهر أكتوبر عام ١٩٤٢ . . فبعد القبض على الجواسيس الألمان . . اعترفوا بتعاون السادات معهم . . فتم القبض عليه هو وزملائه وأحيلوا إلى مجلس عسكرى كان مكونًا من ثلاثة ضباط مصريين وإنجليزيين . . ورغم أن المجلس لم يتمكن من الحصول على اعترافات صريحة من السادات أو رفاقه المتهمين فى نفس القضية إلا أنه قد تقرر فى البداية وضعهم تحت الإيقاف ثم الطرد من الخدمة العسكرية .

ليس هذا فقط . . بل لم يكد يبرح مكانه بالجيش حتى قبض عليه من جانب السلطات المدنية وتم ترحيله إلى سجن الأجانب إلى معتقل « ماكوسه » قرب مدينة المنيا فى صعيد مصر .

---

(٢٠) شهادة اللواء متقاعد بسلاح الإشارة طه فتح الدين .

وهذه المرة سوف نلجأ إلى لعبة الأرقام . . ونحاول أن نضع خطوطًا سوداء تحت التواريخ المشتركة فى حياة الفرسان الثلاثة ضيوف هذه الأوراق كى نعرف أين كان كل من هيكل وموسى صبرى فى الوقت الذى كان فيه السادات ضابطًا بالجيش ، وأثناء تلك الأحداث السياسية التى عصفت به . . وانتهت به إلى سجن الأجانب . . ثم إلى معتقل ماكوسة بالمنيا بصعيد مصر .

لقد تضمنت هذه المرحلة أربعة تواريخ . . لعبت أدوارًا هامة فى حياة السادات ، حيث كان كل منهم يمثل نقطة حمراء تشير فى نهايتها بسهم أسود . . ناحية الطريق الذى يسلكه هذا الضابط الثائر الذى كان همه الأول والأخير التخلص من قوات الاحتلال والاستيلاء على السلطة .

لقد تخرج السادات من الكلية الحربية عام ١٩٣٨ الدفعة (٣٧) . . وانتقل إلى القاهرة عام ١٩٤٠ حيث حصل على فرقة سلاح الإشارة وترقى إلى رتبة الملازم أول . . وكانت فرصته الذهبية لتوسيع رقعة كفاحه خارج القوات المسلحة والاتصال بالإخوان المسلمين وبعزيز المصرى .

أما الرقم الثالث على هذا الطريق فهو عام ١٩٤١ . . . حيث انتقل إلى مرسى مطروح . .

واصطدم لأول مرة بالقوات البريطانية . . مما جعله يفكر فى التخطيط للقيام بثورة بالاشتراك مع بعض الضباط للاستيلاء على السلطة . . ثم جاء عام ١٩٤٢ ، العام الحاسم فى تاريخ خدمته

العسكرية حيث طرد من القوات المسلحة بسبب ولائه للألمان على حساب الإنجليز أثناء الحرب العالمية الثانية .

وأين كان كل من هيكل وموسى خلال هذه التواريخ ؟! . . تقول الأوراق إنه عندما تخرج السادات من الكلية الحربية برتبة ملازم . . كان حسنين هيكل لا يزال طالبًا فى المرحلة الثانوية . . فقد كان عمره آنذاك الخامسة عشرة . . أما موسى فكان لا يزال يقيم هناك فى مدينة أسيوط ويحاول جاهدًا الحصول على شهادة المرحلة الثانوية التى نجح فى الحصول عليها عام ١٩٣٩ . وكان عمره وقتذاك الرابعة عشرة .

وابتداء من عام ١٩٤٠ وهو العام الذى بدأ فيه الضابط أنور السادات اتصالاته السياسية المكثفة بالإخوان المسلمين والتعرف على عزيز المصرى ، كان حسنين هيكل يعد نفسه لدخول الحياة العملية . . وقد لاحظنا وجود خلاف واضح بين الناس حول طبيعة هذه البداية . . فرغم تأكيده فى أوراقه الخاصة أنه بدأ حياته العملية محررًا صحفيًّا بقسم الحوادث بإحدى الصحف التى كانت تصدر ولا تزال باللغة الإنجليزية . . إلا أن البعض يرى أن هيكل قد بدأ حياته فى هذه السنوات المبكرة موظفًا بدار روز اليوسف الصحفية . ثم انتقل منها للعمل بصحيفة (الإجيبشيان جازيت) مساعد محرر للحوادث فى ٨ فبراير عام ١٩٤٢ .

معنى ذلك أن هيكل قد دخل بلاط صاحبة الجلالة فى الوقت الذى

طرد فيه السادات من الخدمة العسكرية . أو بالضبط قبل واقعة الطرد التى تمت فى شهر أكتوبر عام ١٩٤٢ ، وربما فى الوقت الذى صدر فيه قرار الإيقاف الذى سبق قرار الطرد من الخدمة العسكرية .

أما موسى صبرى فقد انتقل فى هذا الوقت إلى مدينة القاهرة والتحق بالجامعة . . حيث دخل كلية الحقوق فى أواخر عام ١٩٣٩ . . وابتداءً من عام ١٩٤٠ بدأ على حد قوله يمارس السياسة الوطنية ويحضر اجتماعات حزب الوفد واستمر على نشاطه هذا طوال فترة دراسته الجامعية التى انتهت عام ١٩٤٣ حين حصل على ليسانس الحقوق .

والمصادفة الغريبة . . أن موسى صبرى بعد ما تخرج من الجامعة عام ١٩٤٣ تقابل مع الضابط أنور السادات فى سجن الأجانب بالزيتون حين قبضوا عليه وهو فى هذه السن المبكرة فى إحدى القضايا السياسية . . ورغم هذه الظروف الصعبة التى واجهت كلاً منهما داخل هذه الجدران . . إلا أنها كانت البداية الحقيقية للعلاقة بين السادات وموسى صبرى حتى ولو كانت على الأوراق فقط . فى الوقت الذى لم يكن فيه هيكل قد ظهر على الساحة السياسية أو الصحفية .

ولعلنا نتساءل قبل أن يتساءل غيرنا : وهل المصادفة وحدها هى التى جمعت بين الشابين فى هذه الفترة المبكرة من حياتهما العملية . . رغم أن كلاً منهما كان مختلفًا فى أشياء كثيرة ؟ . فالسادات كان من وجه بحرى حيث تقع محافظة المنوفية وموسى صبرى من وجه قبلى حيث تقع

محافظة المنيا ؟! . . ورغم أن السادات كان ضابطًا بالجيش بينما كان موسى صبرى خريج كلية الحقوق الذى يبحث عن وظيفة ؟!

لقد اكتشفنا أنها بالفعل المصادفة التى جمعت بينهما للمرة الأولى فى هذه السنوات المبكرة . . ثم هى المصادفة مرة ثانية التى جمعت بينهما فى عام ١٩٧١ . . وطبعًا مع الفارق الكبير فى كل شىء وفى كل موقف .

فقد ظل الرجلان فى هذه المرة على اتصال من نوع نادر . . حتى شاءت الظروف أن يموت السادات مقتولاً أمام موسى صبرى الذى لم يتمكن من أن يدفع عن صديقه هذا الحادث الأليم . .

ولعلنا حين نبحث عن موقع هيكل داخل تلك الأحداث التى عاشها هذان الرجلان أو هذان الشابان فى هذه الأعوام المبكرة والتى بدأت منذ الأربعينات ، فلن نجده . . لقد لحق بهما فى المرحلة الثالثة وهى مرحلة « السجن » .

**** المرحلة الثالثة : [السجـن]**

لقد اقتربنا كثيرًا من أهم الأحداث التى وقعت فى حياة المناضل السياسى أنور السادات . . والتى كثيرًا ما اتسمت بالعنف والغدر والمواجهة مع النفس ومع الآخرين . . ولعلنا قد اتفقنا منذ اللقاء الأول فى أوراق هذا الفصل على تسمية المرحلة الثالثة . . (بمرحلة السجن) تلك المرحلة التى شهدت أعنف مواجهة بين السادات ، الضابط المفصول من الجيش وبين الأنظمة السياسية التى كانت موجودة فى ذلك

الوقت كان يمثلها فى المقام الأول الملك فاروق وبعض الأحزاب السياسية، ثم قوات الاحتلال الانجليزى .

ومن أهم مميزات هذه المرحلة أنها كانت مقسمة إلى فترتين زمنيتين منفصلتين بلغ مجموعهما معًا حوالى أربع سنوات قضاهم السادات سجينًا سياسيًّا خلف الجدران السوداء . . وقد فصل بينهما عدة أشهر كان خلالها حرًّا طليقًا . . ثم سرعان ما عاد من جديد إلى نفس الجدران وبتهمة أخرى أقوى وأعنف .

وبتفصيل أكثر نقول . . إن السادات قد دخل السجن مرتين فى حياته . . المرة الأولى كانت عام ١٩٤٢ . . بعد واقعة طرده من الخدمة العسكرية رغم عدم إدانته رسميًّا فى قضية التجسس مع الألمان على حساب القوات البريطانية .

لقد كانت على حد قوله فى مذكراته « البحث عن الذات » : « أول مرة أدخل فيها سجن الأجانب ، وكان ذلك بالضبط فى ٢٦ رمضان عام ١٩٤٢ ميلادية « ليلة القدر » . . وكان هذا السجن مخصصًا للعمليات المتعلقة بمعركة الإنجليز . . لذلك كان مأموره آنذاك مستر « هيكمان » الملطى الأصل والبريطانى الجنسية » .

وقد قضى السادات عقوبة السجن فى هذه الفترة لمدة عامين . . إذ استمر وراء القضبان والأسوار العالية حتى أواخر عام ١٩٤٤ . كما انتقل خلال نفس هذه الفترة إلى ثلاثة سجون . . السجن الأول . . وهو

سجن الأجانب بالقاهرة . . الذى قضى فيه ستة أشهر ، ثم انتقل منه إلى معتقل « ماكوسة » بقرب المنيا بصعيد مصر وظل به من أواخر عام ١٩٤٢ حتى سبتمبر عام ١٩٤٣ . . وقبل نهاية عام ١٩٤٣ صدرت الأوامر بنقله إلى معتقل الزيتون بالقاهرة . . هذا المعتقل الذى ظل محبوسًا به حتى نهاية عام ١٩٤٤ إذ تمكن من الهرب منه . . وظل مختفيًا عن عيون البوليس السياسى حتى سبتمبر عام ١٩٤٥ حين سقطت الأحكام العرفية والتى بموجب سقوطها أصبح السادات حرًّا طليقًا بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية .

ولهذا الهروب الذى لم يكن الأول من نوعه فى حياة السادات قصة طريفة فقد سبقه بحالة هروب أخرى حدثت من نفس السجن . . مع اختلاف الدوافع . . ففى المرة الأولى : قرر السادات وبعض رفاقه الهروب من معقتل الزيتون حين اشتد بهم الضيق الذى سببه لهم تعيين مسئول جديد عن المعتقل كان يعاملهم بقسوة للدرجة التى جعلته يطلق على المعتقلين الرصاص . وفى هذه المرة اشترك الشاب الصعيدى الذى كان قد تخرج منذ فترة قليلة من كلية الحقوق ـ وهو موسى صبرى ـ الذى كان ضمن المعتقلين الستة الذين نفذوا خطة الهروب بدقة .

لقد نجح السادات ورفيقه حسن عزت فى الخروج من المعتقل إلى الشارع . . وبعد ليلة قضياها فى حرية ومتعة . . توجها إلى قصر عابدين حيث ذكر السادات : « ودخلنا القصر فوجدنا أحد الأمناء فى حجرة الاستقبال ودفتر التشريفات مفتوح . . إلى هنا كل شىء عادى

فالدفتر مفتوح لأى مواطن يريد أن يشكر أو يستأذن فى السفر أو أى شىء من هذا القبيل . . توجهنا مباشرة إلى الدفتر وقيد كل منا اسمه ، وقلنا إننا معتقلون فى الزيتون وقد حضرنا خصيصًا لكى نقول للملك إن الحكومة يجب ألا تخضع للسلطة البريطانية . . كما لا يجوز إطلاقًا أن تعاملنا هذه المعاملة البالغة السوء . . وإننا على الفور سنعود إلى المعتقل بمحض إرادتنا »[٢١] .

وبالفعل عاد السادات ومعه زميله حسن عزت إلى المعتقل مرة أخرى . . واستمر معتقلاً به حتى أواخر عام ١٩٤٤ . . إلا أنه فكر جيدًا فى تنفيذ خطة الهرب الثانية التى نجحت بامتياز . . والتى لم يعد بعدها إلى السجن حتى تم العفو عنه بموجب سقوط الأحكام العرفية وانتهاء العمل بقانون الطوارىء عام ١٩٤٥ . وتقول تفاصيل هذه الخطة . . إنه فى ساعة الظهيرة عندما ازدحمت المستشفى التى نقل بها السادات مصابًا من جراء إضرابه عن الطعام . . جاء حسن عزت بسيارة صغيرة ووضعها تحت مظلة الأطباء ، ولم يوقف الموتور . . وبذكاء شديد تمكن أنور السادات من الإفلات من حارسه وانتقل بسرعة إلى سيارة صديقه الذى تمكن بها من الخروج من المستشفى بسرعة عجيبة إلى منطقة فم الخليج حيث الشقة التى كان قد جهزها حسن كمخبأ على بعد دقائق قليلة .

---

(٢١) البحث عن الذات ـ أنور السادات ـ المصدر السابق ص ٧٥ .

أما المرة الثانية التى دخل فيها السادات السجن فكانت عام ١٩٤٦ . . إذ لم يلبث حرًّا طليقًا سوى أشهر معدودة تمكن خلالها من العودة إلى حياته الطبيعية بعد ما عاد إلى بيته . . كما بدأ يظهر من جديد وسط أهله وأصحابه بدون خوف .

والشىء الملفت للأنظار . . أن تلك الصعوبات التى واجهت السادات فى حياته داخل السجن فى المرة الأولى وفى خارجه بعد العفو عنه أو فى فترة هروبه ، لم تثنه عن هدفه . . بل ظل يجرى وراء تحقيق هذا الهدف بقلب من حديد ، دون خوف من العودة إلى السجن مرة أخرى . لذلك نجده قد عاود اتصالاته القديمة مع زملاء السلاح من أجل تكوين جمعية سرية . . وبالفعل تمكن فى سبتمبر عام ١٩٤٥ من الاتصال بالطيار سعودى حسين الذى عرفه بشاب وطنى يدعى حسين توفيق .

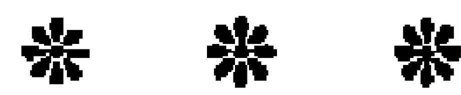
وبدأ السادات وزملاء الجمعية السرية فى تنفيذ بعض الاغتيالات السياسية . . منها محاولة اغتيال النحاس باشا التى لم تنجح . . وكذلك تنفيذ اغتيال الوزير « أمين عثمان » والذى بسببه تم القبض عليه وإيداعه السجن على ذمة المحاكمة فى هذه القضية . وقد ظل داخل السجن حوالى سنتين أى حتى عام ١٩٤٨ بعد أن أفرج عنه بعد حكم البراءة .

لقد كانت المرة الثانية التى دخل فيها السادات السجن أعنف من

المرة الأولى بمراحل عديدة . . حيث عانى فيها معاناة صعبة كان مصدرها تلك المعاملة اللا إنسانية التى عاشها داخل جدران الزنزانة (٥٤) فى سجن « قرة ميدان » . ولقد أصاب السادات خلالها العديد مـن الأمراض ظل يعالج منها حتى بعد أن أصبح رئيسًا لمصر عام ١٩٧١ .

ورغم أن السادات لم يقض هذه الفترة الطويلة من السجن على سبيل العقوبة ! بل قضاها على سبيل الإيداع لانتظار المحاكمة التى استغرقت ثمانية شهور من يناير إلى أغسطس عام ١٩٤٨ . . إلا أنها كانت أطول من الفترة الأولى التى قضاها فى معتقل الزيتون .

وربما جاء هذا الإحساس بداخل السادات من اقتناعه بأنه لم يفلح هذه المرة فى الإفلات من العقوبة عن طريق الهرب . . وأنه ينتظر مصيرًا مجهولاً ربما كان قد يؤدى به إلى حبل المشنقة بتهمة الاغتيال والقتل!



ولن نغالى حين نقول : إن هذه الفترة . . كانت فترة غنية بالأحداث السياسية ليس فقط على المستوى الشخصى للسادات . . كما رأينا . . بل كانت أيضًا بالنسبة لكل من هيكل وموسى . . وكان مصدرها الرئيسى الأوضاع الداخلية والخارجية التى ارتبطت بمصير مصر . . خاصة بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية وانتصار الحلفاء وتراجع القوات الألمانية وهزيمة هتلر . . تلك الشخصية العسكرية التى تعاطف معها السادات طويلاً .

ولسوف يكون دليلنا للحديث عن موقع كل من هيكل وموسى صبرى داخل الخريطة السياسية المصرية فى هذه الآونة . . هو لعبة التواريخ . . التى عن طريقها أيضًا نستطيع أن نحدد البداية الحقيقية للعلاقة الثلاثية لشخصيات هذا الكتاب .

والمدهش حقًا أن أهم ما كشفت عنه لعبة التواريخ هذه . . أن الكاتب الصحفى محمد حسنين هيكل قد دخل إلى بلاط صاحبة الجلالة . . وبدأ فعلاً يمارس عمله الصحفى محررًا للحوادث فى العام الذى دخل فيه السادات السجن . . منتهى التناقض !! وكأن التاريخ يريد أن يسجل لنا منذ فترة بعيدة جذور هذا الخلاف الذى دب بين كل منهما . . واستفحل فى أواخر حكم السادات حين أدخل غريمه السجن ضمن اعتقالات سبتمبر الشهيرة عام ١٩٨١ .

الأمر الذى جعل هيكل وبعد أن خرج من السجن يحاول أن يثأر لنفسه صراحة من هذا الاعتقال فأصدر كتابه « خريف الغضب » للسخرية من السادات . . هذا الكتاب الذى كان سببًا فى اندلاع مزيد من الصراعات بينه وبين موسى صبرى . . حتى بعد رحيل السادات ! .

وتقول سطور التاريخ المبكر فى حياة كل منهما وبتفصيل أكثر : إنه فى اليوم الذى دخل فيه الضابط المفصول أنور السادات المعتقل . . التحق هيكل بالعمل صحفيًا فى جريدة « الإجيبشيان جازيت » .

والغريب فى الأمر أيضًا أن هيكل قد ظل يعمل بهذه الصحيفة حتى

عام ١٩٤٦ . . وهو عام دخول السادات السجن . . للمرة الثانية . . وكأنما يريد التاريخ أن يؤكد مدى التناقض بين هاتين الشخصيتين منذ البداية . . ليس هذا فقط . . بل إنه فى الوقت الذى دخل فيه السادات السجن للمرة الثانية عام ١٩٤٦ . . دخل هيكل أيضًا بلاط صاحبة الجلالة من أوسع أبوابها حين انتقل إلى دار أخبار اليوم نائبًا لرئيس تحرير مجلة آخر ساعة التى اشتراها الأخوان مصطفى وعلى أمين من محمد التابعى فى نفس هذا التوقيت تقريبًا . . ولعل موقع موسى صبرى فى ظل لعبة التواريخ هذه يختلف بعض الشىء رغم ارتباط هذا الموقع بكل من السادات وهيكل كما سنرى . .

بالنسبة للسادات . . فقد تعرف عليه موسى صبرى لأول مرة عام ١٩٤٣ داخل معتقل الزيتون كما سبق وذكرنا . . ولم تتوقف العلاقة بينهما داخل هذه الجدران على مجرد التعارف . . بل امتدت إلى الثقة والتعامل معه حين اختاره السادات ضمن الستة الذين تقرر هروبهم من المعتقل فى ذلك الوقت .

وهذه المعلومة أكدها موسى صبرى فى مذكراته حين قال : كانت المغامرة الأولى فى حياتى ، هى الهرب من المعتقل عام ١٩٤٣ ، وكان الهرب مع أنور السادات الذى عندما رأيته لأول مرة داخل جدران هذا المعتقل كنت قد تخرجت فى كلية الحقوق ولم أجاوز التاسعة عشرة من عمرى »[(٢٢)] .

(٢٢) ٥٠ عامًا فى قطار الصحافة ـ موسى صبرى ـ ص ٨٩ .

ومن هنا نرى أن موسى صبرى كان سبّاقًا فى علاقته مع السادات أكثر من هيكل . . هذه العلاقة التى امتدت وكما هو معروف إلى آخر دقائق فى حياة الأخير حين انتقل إلى الحياة الآخرة فى عام ١٩٨١ على إثر حادث الاغتيال الشهير أمام المنصة . . من ناحية أخرى ظل موسى صبرى داخل جدران هذا الاعتقال حتى سقوط حكومة الوفد وتولى الدكتور أحمد ماهر رئيس الحزب السعدى رياسة الوزارة كما كان ذلك هو البداية الحقيقية لدخوله بلاط صاحبة الجلالة . . إذ تعرف وراء هذه الجدران على الصحفى الكبير المرحوم جلال الدين الحمامصى ، الذى دفع به إلى داخل عالم الصحافة .

*** * المرحلة الرابعة : [الثـورة]**

ولعل أقصر مراحل حياة السادات وأكثرها إثارة ونشاطًا ونتائج وحيوية وقومية ومصيرية . . هى المرحلة الرابعة التى اخترنا لها عنوان «مرحلة الثورة» .

وكما سبق وعرفنا فإن حياة السادات قد بدأت وانتهت من أجل تحقيق ذلك الحلم الكبير الذى اقترن داخل نفسه بعذابات متعددة على المستويين الشخصى والوطنى . ولن نغالى حين نقول إن حياته كلها ومنذ تخرجه من الكلية الحربية . . بل وربما من قبلها بوقت قصير كانت سلسلة من الأعمال الثورية . . التى كانت قمتها . . المشاركة فى تنظيم الضباط الأحرار بقيادة عبد الناصر . . ذلك التنظيم الذى نجح على

المستوى القومى فى صبيحة يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢ فى التخلص من الملك والإنجليز .

وحديث هذه المرحلة قد خصصناه لأيام الثورة وما قبلها بسنوات قليلة . حيث أنه من المعروف وكما أكد السادات نفسه فى أوراقه الخاصة أن حياته العملية اقترنت منذ تخرجه من الكلية الحربية بالتنظيمات السرية داخل الجيش وخارجه والتى كان هدفها الأول والأخير تحقيق الثورة والاستيلاء على السلطة !!

وحين يأتى الحديث عن الثورة وعن تنظيم الضباط الأحرار . . لابد من الحديث عن عبد الناصر . . ومتى ظهر فى حياة السادات ؟ أو العكس ؟ ولسوف نلاحظ أن دور الضابط أنور السادات السياسى والثورى كان محل خلاف شديد بين العديد من المؤرخين الذين يميلون بفكرهم إلى تأييد الناصرية . . وقد يكون لهم العذر لأن السادات يعد المسئول الأول عن ذلك : فقد اختلف معهم كثيراً خلال فترة حكمه التى بدأت مع نهاية عام ١٩٧١ .

وتعتبر هذه المرحلة رغم « قلة » سنواتها من أهم الفترات التى اختلف حولها المؤرخون ، وحول أهميتها ودور السادات خلال أيامها وسنواتها . وقد بدأت منذ عودة السادات إلى الجيش مرة أخرى سنة ١٩٥٠ وامتدت حتى ليلة الثالث والعشرين من يوليو عام ١٩٥٢ . . حين ذهب إليه عبد الناصر وعبد الحكيم عامر فى منزله بكوبرى القبة كى يوصلا إليه

مظروفًا به الموعد الجديد للثورة وهو فجر هذه الليلة . ولم يكن ذلك هو اللقاء الأول أو الأخير بينهما . . بل سبقه ولحقه لقاءات متعددة . . كما سوف نرى فقد تقابل السادات مع عبد الناصر . . لأول مرة بعد تخرجه من الكلية الحربية وأثناء تواجده فى « منقباد » عام ١٩٣٨ . وكان كل منهما فى سن التاسعة عشرة ، ولكن سرعان ما افترقا حيث نقل عبد الناصر إلى السودان فى حين وقع الاختيار على زميله أنور السادات كى يلتحق بوحدة سلاح الإشارة بالمعادى . وكان ذلك فى عام ١٩٤٠ .

وقد ظلت العلاقات متباعدة بينهما بحكم الظروف التى مرت بالسادات والتى أدت به إلى الخروج من الخدمة العسكرية حتى بداية عام ١٩٥٠ حين نجح فى العودة مرة أخرى إلى الجيش .

وطوال هذا العام كان السادات مشغولاً فى إعادة الاتصال بزملاء التنظيمات السرية داخل القوات المسلحة حتى التقى من جديد بعبد الناصر الذى وافق على ضمه إلى تنظيم الأحرار فى أواخر عام ١٩٥١ . لقد كان عبد الناصر فى تلك الفترة . . زعيم هذا التنظيم داخل صفوف القوات المسلحة ، بحكم تواجده المستمر وسطهم وفى مختلف المواقع العسكرية . . ويقال: إن عبد الناصر قد أسند رئاسة المجموعة السياسية للضابط العائد أنور السادات . كما اختاره من بين الضباط الأحرار أعضاء الهيئة التأسيسية التى كان يرأسها . . والذى عرف فيما بعد بمجلس قيادة الثورة .

والسادات يعترف نفسه بهذا الجميل الذى أسداه إليه عبد الناصر فى أوراقه الخاصة حين قال : « قد يبدو اختيار عبد الناصر لى دليلاً على الوفاء . . صحيح أننى كنت قد بدأت تنظيم الضباط الأحرار . . ولكننى بقيت بعيدًا عن التنظيم ثمانى سنوات وهى الفترة ما بين فصلى من الجيش عام ١٩٤٢ إلى أن عدت إليه عام ١٩٥٠ » (٢٣) .

وحين نجح الضابط يوسف صديق فى الاستيلاء على مقر قيادة الجيش بكوبرى القبة فى ليلة الثالث والعشرين عام ١٩٥٢ . . انتقل بقية أعضاء الهيئة التأسيسية إلى نفس المكان وفى نفس الليلة ، كانوا جميعًا داخل الحدث الذى انتهى بمصر إلى حكم ضباط الجيش ، وطبعًا كان هناك فارق فى الحضور من حيث توقيت وصول كل منهم .

وفى داخل مقر القيادة العسكرية بكوبرى القبة استقر رأى رئيس الهيئة التأسيسية الضابط عبد الناصر وزملائه على أن يكون السادات هو المتحدث الرسمى باسم حركة الجيش . . الذى توجه بالفعل إلى الإذاعة لتلاوة بيان الثورة الأول . . أو ما اصطلح على تسميته فى حينه « بحركة الجيش المباركة » ثم تم اختياره من جانب نفس المجموعة كى يحمل إلى الملك فاروق الإنذار الأول والأخير بالرحيل من مصر بعد ثلاثة أيام من نجاح حركة الجيش .

والغريب فى الأمر . . أن دور السادات داخل مجلس قيادة الثورة قد

---

(٢٣) البحث عن الذات ـ المصدر السابق ـ ص ١٣٥ .

انتهى منذ ليلة السابع والعشرين من يناير عام ١٩٥٢ ... حين أعلن عبد الناصر أمام أعضاء الهيئة التأسيسية لتنظيم الضباط الأحرار انتهاء المرحلة الأولى للثورة . . وبدء المرحلة الثانية التى سوف يتحمل مسئولية الحكم فيها ضباط الجيش .

لقد غاب أنور السادات من وسط الصورة على حد قول هيكل وظهر غيابه جليًا ابتداء من عام ١٩٥٣ حين قرر مجلس قيادة الثورة ضرورة أن يتحمل الأعضاء مسئولية عملية فى السلطة . . فضلاً عن محمد نجيب الذى أصبح رئيسًا مؤقتًا لمصر . . فقد أصبح جمال عبد الناصر نائبًا لرئيس الوزراء ووزيرًا للداخلية ، كما أن عبد اللطيف البغدادى أصبح وزيرًا للحربية . . وجمال سالم مسئولاً عن الإصلاح الزراعى ، و « خالد محيى الدين » عضوًا بمجلس الإنتاج والخدمات ، ولم يعهد بأى منصب رسمى فى ذلك الوقت إلى السادات [٢٣] . وفى عام ١٩٥٤ أسند إليه منصب وزير دولة بلا وزارة . . حتى تكون أول مجلس نيابى بعد الثورة عام ١٩٥٧ فأصبح وكيلاً للمجلس الذى كان رئيسه عبد اللطيف البغدادى . . وعندما تم حل هذا المجلس عمل السادات أمينًا عامًا للمؤتمر الاسلامى . . إلى أن أصبح رئيسًا للجنة التحضير للقوى الشعبية عام ١٩٦١ ، ثم رئيسًا لمجلس الأمة بدءًا من عام ١٩٦٤ وحتى منتصف عام ١٩٦٩ [٢٤] .

---

(٢٤) خريف الغضب ـ المصدر السابق ص ٨٣ .

(٢٥) لعبة الأمم والسادات ـ محمد الطويل ـ ص ١٧ .

وإذا كانت مرحلة الثورة فى حياة السادات ـ كما سبق وأوضحنا ـ تعد أقصر مراحل عمره من حيث السن والأعمال التى شارك فيها حيث خلت من كل الأحداث الصعبة على المستويين الشخصى والوطنى ما عدا مشاركته فى أحداث ليلة الثورة وما تلاها من أحداث امتدت حتى ليلة السابع والعشرين من يوليو عام ١٩٥٢ . . فإن ذات المرحلة وبكل أحداثها كانت فى المقابل أخصب سنوات كل من هيكل وموسى صبرى خاصة داخل بلاط صاحبة الجلالة . . وبين أروقة المعابد السياسية .

وبطبيعة الحال . . فإن لغة الأرقام . . ولعبة التواريخ تثبت لنا صحة ذلك بالأدلة والبراهين . . ففى عام ١٩٥٢ وبعد عودة السادات إلى القوات المسلحة . . حدث أول لقاء بين محمد حسنين هيكل رئيس تحرير مجلة آخر ساعة . . وبين الضابط العائد إلى الجيش أنور السادات فى مقر الفرقة الأولى للمشاة فى رفح . . وقد قضى هيكل مع السادات يومًا كاملاً فى هذا المكان . . ولم تكن هذه هى المرة الأولى . . بل التقى به هيكل من قبل فى إحدى المرات فى منزل يوسف رشاد المطل على النيل فى الجيزة . ويبدو أن اللقاء الثانى الذى تم بينهما فى رفح عام ١٩٥٢ . . وقبل ثورة يوليو بأشهر معدودة . . كان بداية الخلاف العميق الذى امتد على مدى سنوات حتى بعد رحيل السادات . وهذا ما يعترف به هيكل فى كتابه حيث قال : « إن أنور السادات أقبل علىّ بحرارة عندما لمحنى فى مقر قيادة الفرقة الأولى للمشاة برفح عائدًا من قطاع غزة ولم يتركنى طوال اليوم . ثم اكتشفت أن إلحاحه على صحبتى أنه أراد أن يعرض علىّ

كتاباته لأرى ما إذا كان يمكن نشرها فى مجلة آخر ساعة التى كنت أرأس تحريرها فى ذلك الوقت وبطبيعة الحال لم أنشر إنتاج السادات الأدبى كما كان يتمنى» . . ومن قبل هذا التاريخ . . فقد كان هيكل قد تربع على عرش الصحافة المصرية . . حيث كان قد عين فى ١٣ يونيو عام ١٩٥٢ رئيسا لتحرير مجلة آخر ساعة الأسبوعية وكتب اسمه بهذه الصفة لأول مرة على العدد الصادر فى ١٨ يونيو عام ١٩٥٢ .

وفى ٣١ يوليو عام ١٩٥٧ عين رئيسا لتحرير جريدة الأهرام وكتب اسمه عليها بهذه الصفة فى العدد الصادر أول أغسطس عام ١٩٥٧ . . وفى ١٠ أغسطس نشر أول مقال له بعنوان « بصراحة » [٢٦] .

ذلك المقال الذى كان بداية لسلسلة طويلة من المقالات التى لم تتوقف إلا بعد خروجه من جريدة الأهرام بعد وفاة جمال عبد الناصر ، كما كانت أحد الأسباب الرئيسية وراء تعميق خلافه مع السادات ابتداء من عام ١٩٧٢ .

أما بالنسبة لموسى صبرى ففى عام ١٩٥٠ أيضا . . وبالضبط فى أول يناير من نفس العام . . التحق موسى صبرى بالعمل الصحفى داخل «دار أخبار اليوم محررا برلمانيا » أى بعد هيكل بأربع سنوات . . ففى اليوم الذى بدأ فيه محرراً . . كان هيكل نائبا لرئيس تحرير مجلة آخر ساعة . . ولعلها المصادفة مرة أخرى التى جعلت موسى صبرى يدخل

---

(٢٦) خريف هيكل - ابراهيم الويشى (ص ٤٨) .

إلى عالم الصحافة الواسع فى الوقت الذى عاد فيه السادات إلى القوات المسلحة من جديد . والغريب أنه نفس العام الذى وقع فيه أول صدام مهنى بين هيكل وموسى صبرى . .

ففى الأيام الأولى لوجود الأخير داخل أخبار اليوم . قوبل بوابل من السخرية كان مصدرها لسان الصحفى الراحل «جليل البندارى» ، الذى كان على حد قول موسى صبرى الصديق المقرب جداً من حسنين هيكل ، وأنه أراد استقباله بهذا الأسلوب الكاريكاتيرى سخرية منه وإرضاء لهيكل (٢٧) .

وفى عام ١٩٥٤ . . واصل موسى صبرى تأكيد وجوده داخل دار أخبار اليوم . . فتولى رئاسة تحرير مجلة «الجيل» . . بجانب عمله الأساسى كنائب لرئيس تحرير الأخبار . . ومنذ هذا العام . . بدأت المرحلة الثانية فى رحلته الطويلة راكباً قطار الصحافة . . الذى لم يتوقف إلا عند وفاته عام ١٩٩٢ .

**** المرحلة الخامسة : (القصر)**

تعتبر هذه المرحلة من أهم مراحل حياة السادات . . لأنها فى تصورنا تمثل البوتقة التى انصهرت فيها كل تجارب المراحل السابقة . . كما أنها شهدت أهم الأحداث السياسية على الصعيدين ، داخليا وخارجيا . .

---

(٢٧) ٥٠ عاماً فى قطار الصحافة ـ المصدر السابق (ص ١٦١) .

وتتميز هذه المرحلة أيضاً بأنها مرحلة النتائج فى حياة الضابط الفلاح محمد أنور السادات ، وعلى كافة المستويات . . حيث تمكن خلالها من الفوز بمنصب رئاسة مصر خلفاً لعبد الناصر . . هذا المنصب الذى أهله كى يلعب دوراً تاريخياً بارزاً فى حياة مصر والمنطقة العربية . . بل والشرق الأوسط كله . . والعالم . ولايفوتنا أن ننوه عن السبب الذى دعانا لإطلاق اسم «القصر» على سنوات هذه المرحلة . فقد شهدت السنوات العشر التى قضاها السادات فى الحكم أحداثاً كان أغلبها يتم داخل القصور . . بدءاً من قصر عابدين وقصر القبة . . ثم قصر الطاهرة . . وقصر الجيزة . . الذى كان مقراً لحكم السادات ، ومكان إقامته وأسرته . . هذا على مستوى الأحداث الداخلية . . أما الأحداث الخارجية فكانت أيضاً تتم داخل أروقة بعض القصور فى بريطانيا وأمريكا وفرنسا . .

ولن نكرر ذكر أحداث شهدناها جميعاً . . وقد ارتبطت كثيراً بسنوات هذه المرحلة . لكننا سوف نذكر بعضاً منها . . وخاصة التى كانت سبباً فى اشتعال الصراع بين الفرسان الثلاثة . . السادات وهيكل ومن ورائهما موسى صبرى .

* **الحدث الأول** : هو انتصار أكتوبر ١٩٧٣ . . ذلك الانتصار الذى حاول هيكل أن ينسب الإعداد له . . إلى صديقه عبد الناصر .

* **والحدث الثانى** : هو الصلح مع إسرائيل . . وتوقيع أول اتفاق سلام بين دولة عربية ودولة يهودية . . هذه الاتفاقية . . كانت قمة

المأساة فى صراع الديكة بين السادات وبين خصومه بقيادة هيكل . ولاتزال آثار هذه الخصومة عالقة فى الأذهان . . وكثيراً ما تظهر بين الحين والحين فى كتابات المعارضين للسادات والواقفين فى خندق هيكل .

إن السنوات العشر التى شهدتها هذه المرحلة وباختصار . . قد غيرت وجه التاريخ المصرى ، كما كانت مثار خلاف ونقاش على صفحات الصحف والمجلات فى مقدمتهم صفحات جريدتى الأخبار . . والأهرام ثم من بعد ذلك فى بعض صحف المعارضة التى كانت تلوح من قريب أو من بعيد بأنها تقف فى صف محمد حسنين هيكل . . ضد السادات وضد موسى صبرى . من ناحية أخرى فإن هذه المرحلة قد شهدت أيضاً اشتداد الصراع بين هيكل وموسى صبرى . . هذا الصراع الذى كان ميدانه أوراق الصحف . . وأيضاً أوراق الكتب . لأنه بالرجوع إلى لعبة الأرقام والتواريخ . . نجد أن كلاً من الاثنين كان على مقربة من أهم الأحداث السياسية بحكم موقعهما الصحفى . . وإن كانت الظروف قد مكنت موسى صبرى من الاستمرار داخل بلاط صاحبة الجلالة أكثر من هيكل . إلا أن الأخير لم يستسلم بخروجه من موقعه داخل حصن جريدة الأهرام . . بل واصل الكفاح المسلح بالقلم . . سواء فوق صفحات صحف المعارضة أو داخل أوراق كتبه التى تفرغ لإصدارها منذ هذه الآونة .

وقد ظن البعض أن المعارك قد تتوقف بين الاثنين بمجرد رحيل السادات . . ذلك الخصم العنيد داخل حلبة هذا الصراع . . ولكن

الحقيقة أن هذه المعارك قد اشتدت أكثر بعد هذا الرحيل . . واتخذت من الأوراق ميادين ساخنة لها . . ولعل أهم تلك الأوراق كتاب «خريف الغضب» . . وسلسلة الكتب الأخرى التى كتبها هيكل للدفاع عن عبد الناصر ومهاجمة السادات . وفى المقابل كانت كتب موسى صبرى التى خصصها للدفاع عن صديقه أنور السادات . مثل كتابه «السادات الحقيقة والأسطورة» وغيره من الكتب التى خصصها حتى قبل رحيله للحديث عن أمجاد الرئيس السادات الشخصية والقومية . . وطبعا لم ينس أن يذكر لنا من خلالها موقعه داخل الأحداث السياسية وخارجها .

الفصل الثالث

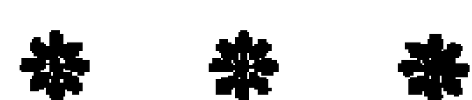
والفرق .. أربعمائة يوم فقط

قالوا قديماً وما زالوا يقولون حتى يومنا هذا « أكبر منك بيوم يعرف عنك بعام » فهل يا ترى مثل هذه المقولة الحسابية يمكن تطبيقها فى موضوعنا الخاص بالعلاقة بين هيكل وموسى حديث أوراق هذا الفصل؟ .

على أية حال سوف نحاول . . وإن كانت نسبة النجاح المطلوبة غير مضمونة . . فمن المعروف أن محمد حسنين هيكل قد ولد فى ١٨ سبتمبر عام ١٩٢٣ . . أما موسى صبرى فقد ولد فى ١٢ أكتوبر عام ١٩٢٤ . . معنى ذلك أن هيكل ولد قبل موسى صبرى بأكثر من عام . . وبحسبة بسيطة يتضح أن الفارق الزمنى فى عمر كل منهما هو عام و ٣٤ يوماً فقط . . وحين نلجأ إلى المقولة الحسابية السابقة التى تجعل الشخص الذى يسبقك بيوم يتفوق عليك بـ ٣٦٥ يوماً فى الخبرة والمعرفة والفطنة وأيضاً فى سباق الزمن والتحصيل ، نجد أن هيكل يتفوق على موسى صبرى بعشرات السنين فى مجال الخبرة والمعرفة والفطنة .

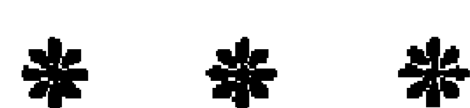
ويمكن لنا أن نضيف سؤالاً آخر غير الذى قلناه فى البداية .. وهل يا

ترى هذه القاعدة الحسابية كانت فى ذهن هيكل حين دخل إلى بلاط صاحبة الجلالة . . قبل غريمه بسنوات قليلة ؟ لا نظن . . لأن المسألة فى تصورنا أولاً وأخيراً قد ارتبطت بالقدر الذى جمع الاثنين فى مجال عمل واحد . . هذا الارتباط كان يمكن أن يكون ارتباط زمالة وفقط . . لولا استمرار لعبة القدر التى سمحت لكل منهما فى التوغل داخل الحياة السياسية المصرية من واقع علاقة كل منهما بزعيمين مصريين لعبا أدواراً تاريخية كبيرة فى حياة هذه الأمة ، ويندر أن تجد هذا الارتباط فى أى منعطف من المنعطفات التاريخية الماضية .



فى واقع الأمر ووفقاً لمجريات الأحداث التى صنعت حياة كل من هيكل وموسى نجد أن المقولة الحسابية السابقة . . قد ظهرت بشكل واضح من حيث التفوق والشهرة والثراء . . وكثرة المناصب السياسية فى حياة هيكل أكثر من حياة غريمه موسى صبرى . . وهذا ما سوف نلاحظه جيداً من خلال متابعة متأنية لقصة حياة كل منهما . . وكثيراً ما سوف نتوقف عند بعض الأحداث التى من خلالها يتضح جلياً صدق مقولة : « أكبر منك بيوم يعرف عنك بسنة » .

ولعل دليلنا فى الغوص داخل حياة كل منهما . . هو الأوراق الرسمية أولاً ثم الأوراق الشخصية . . ومن بعدهما نلجأ إلى الأوراق المكتوبة بأقلام الآخرين .



تقول البيانات الشخصية لمحمد حسنين هيكل . . أن مولده فى ٢٣ سبتمبر عام ١٩٢٣ فى حى باب الشعرية من أسرة متوسطة . . كباقى عائلات الحى الشعبى الشهير [٢٨] . إذ ينتمى محمد حسنين هيكل إلى القرية المصرية من ناحية والده الحاج حسنين هيكل . . الذى ولد فى قرية « باسوس » بمحافظة القليوبية . . أقرب محافظات الدلتا إلى القاهرة . . وما تزال عائلة الأستاذ هيكل هناك حتى كتابة هذه السطور . . ولم يستقر والد هيكل فى قريته طويلاً . . بل زحف إلى أقرب مدينة على مشارف القاهرة ـ حيث استقر به المقام حين نزح من قرية « باسوس » باحثاً عن مصدر الرزق بحى شبرا المحطة . . وفى هذا الحى العريق عمل الحاج حسنين تاجراً للغلال . . وسرعان ما تحسنت حالته المادية بعد زواجه من الصبية « هانم » التى أنجبت منها ولده « محمد » لأن أباها كان تاجراً ميسور الحال ويدعى الحاج عبده سلام [٢٩] .

ولم يمكث الحاج حسنين وزوجته كثيراً فى مسكنهما بشبرا المحطة ، هذا المنزل الذى هدم وأقيم مكانه كوبرى أحمد عرابى ، فانتقلا إلى منطقة الدراسة ثم إلى باب الشعرية . . وكان « محمد » حسنين هيكل أول أبنائهما . . كما انتقل والد الأستاذ هيكل ووالدته من بيت إلى بيت بنفس المنطقــة حتى اسـتقر بهما الحـال فى المنـزل رقم «١٧٤» بشارع الجيش فى

---

(٢٨) هيكل وعبد الناصر (ص ١٤)

(٢٩) خريف هيكل ـ المصدر السابق (ص ٣٣) .

أكثر الأحياء الشعبية بالقاهرة شهرة وعراقة ، وهو حى باب الشعرية ، حيث التحق طفلها محمد بالمدرسة الابتدائية ومنها إلى مدرسة الظاهر التجارية الثانوية للبنين التى لا تزال موجودة حتى الآن ، ولم تكن تبعد عن المسكن الذى كانت تعيش فيه أسرته سوى مائتى متر [٣٠] .

وفى المنزل رقم ١٧٤ بشارع الجيش عاش هيكل طفولته وشبابه فى الشقة رقم (٩) بالطابق الرابع . . وقد توفى والده الحاج حسنين هيكل عام ١٩٦٤ . . بعد أن عاش وشاهد جانبا من الأمجاد التى حققها هيكل على الصعيدين الصحفى والسياسى كما عاشت والدته طويلاً حيث توفيت بعد والده بعدة سنوات ويقول الصحفى إبراهيم الويشى ـ أن للأستاذ هيكل ثلاث أخوات بنات منهم أخت موظفة بأحد البنوك وأخرى بالداخلية . . والثالثة كانت تعمل بالجامعة وتعمل الآن بشركة للبترول ، وكانت متزوجة من ضابط بالجيش واستشهد فى حرب عام ١٩٦٧ .

ومن خلال قراءة متأنية لكل ما كتبه هيكل عن نفسه . . اكتشفنا أنه قد أهمل فترة طويلة من حياته الأولى لم يحدثنا عنها . . فقد بدأ حديث حياته منذ دخوله بلاط صاحبة الجلالة على حد قوله ابتداء من عام ١٩٤٢ . . مما ترك فراغاً كبيراً امتد لسنوات تصل إلى أربعة وعشرين عاماً ظلت بلا أضـواء . . مما جعلنا نتلمس معلومة من هنا ومعلومة من هناك من أجل وضع الخطوط العريضة فى حياة هيكل باعتباره شخصيـة

(٣٠) خريف هيكل ـ المصدر السابق (ص ٣٣) .

غير عادية مثله فى ذلك مثل السادات ورفيقه موسى صبرى . . إذ حاولنا أن نبحث عنهما فى كل ورقة نعثر عليها . . لأننا عقدنا العزم منذ بداية الرحلة على تقديم صور بلا رتوش للفرسان الثلاثة . وعلى أية حال . . لقد عرفنا بالصدفة أن هيكل قد حصل على دبلوم التجارة الثانوية عام ١٩٣٤ . وبعد أن التحق بالعمل فى سكرتارية السيدة فاطمة اليوسف صاحبة دار « روز اليوسف الصحفية » ، داعبته الأحلام التى نبتت على أرض صاحبة الجلالة الصحافة . . فتصور نفسه أحد هؤلاء الذين يترددون على مكتب صاحبة « روز اليوسف » . ولم تكن الشهادة المتوسطة عقبة فى طريقه . . حيث حاول اللحاق بقطار العلم والتعليم فالتحق بقسم الدراسات الحرة بالجامعة الأمريكية . . وقد ساعده ذلك كثيراً فى اتقان اللغة الإنجليزية . كما تمكن من الحصول على دبلوم السكرتارية من هذه الجامعة . . وظل يعمل سكرتيراً للسيدة فاطمة اليوسف من عام ١٩٤١ وحتى عام ١٩٤٢ حين انتقل إلى العمل صحفياً تحت التمرين بصحيفة « الإجيبشيان جازيت » التى كانت تصدر باللغة الإنجليزية عن شركة الإعلانات الشرقية التى كانت تملكها أسرة « فينى » .

وأيضاً لم نعثر بين أوراق هيكل الشخصية على ما يحدثنا عن ظروف انتقاله المفاجىء إلى العمل بهذه الصحيفة . . اللهم إلا كلمات مبهمة لا تفصح سوى عن البداية . . والتى ذكر فيها كما جاء بأحد كتبه

« . . وكان التحاقى للتدريب بها فرصة أتاحها لى ولثلاثة غيرى من الشباب واحد من خيرة محرريها هو « سكوت واطسون » . . ثم رئيس تحرير الجريدة «هارولد أيرل » مراسل جريدة المانسشتر جارديان فى مصر وقد بدأت مساعد مخبر صحفى فى قسم الحوادث لمدة عام حتى اختارنى رئيس التحرير محرراً أتابع الحرب العالمية الدائرة فى العلمين كمراسل جرىء» (٣١) .

وواضح من رواية الأستاذ هيكل عن هذه البداية أن إتقان اللغة الإنجليزية التى كان للجامعة الأمريكية الفضل فيها . . وبداية علاقته مع بعض الصحفيين الإنجليز آنذاك كانت الطريق الذى سلك منه مشواره داخل بلاط صاحبة الجلالة . .

ونستطيع أن نقول : إن الحظ قد لعب دوراً كبيراً فى هذه البداية . وكذلك فى انتقاله فيما بعد إلى دار أخبار اليوم ومجلة آخر ساعة . .

وحتى هذه الرواية التى ساقها هيكل عن بدايته داخل عالم الصحافة قد واجهت خلافاً كبيراً بين بعض المراقبين وبعض الصحفيين الكبار الذين عاصروه فى هذه الآونة . . وقد أفرد الكاتب الصحفى فاروق فهمى جزءاً كبيراً من كتابه « هيكل وعبد الناصر » لمناقشة هذا الخلاف الذى أنقل منه بعض هذه اللقطات :

---

(٣١) بين الصحافة والسياسة ـ محمد حسنين هيكل .

يقول الأستاذ مصطفى أمين . . إن هيكل لم يعمل مطلقاً فى «الأجيبشيان جازيت» وكل علاقته بالجريدة كانت حديثاً طلب منه التابعى أن يجريه مع رئيس تحريرها « هارولد إيرل » حول تطورات الحرب فى العلمين . . وقام بالترجمة بينهما الأستاذ فيليب حنين !! . ويذكر مصطفى أمين أن التابعى هو الذى كان يعمل فى هذه الجريدة قبل أن يصدر آخر ساعة . وتحدى الأستاذ مصطفى أمين أن يكون لهيكل اسم فى سجلات هذه الجريدة . ويؤكد هذه الرواية الفنان عبد المنعم رخا .

ولم يستمر هيكل فى جريدة « الإجيبشيان جازيت » سوى سنتين انتقل بعدهما إلى مجلة آخر ساعة . . بناء على نصيحة من الكاتب الصحفى محمد التابعى . . وقد ذكر لنا هيكل تفاصيل هذا الانتقال فى كتابه « بين الصحافة والسياسة » حين قال : « دخلت دار أخبار اليوم لأول مرة فى ربيع عام ١٩٤٦ . . ولم أكن موجوداً حين أنشأها الأستاذان مصطفى وعلى أمين فى نوفمبر عام ١٩٤٤ .

وقد عمل هيكل فى دار أخبار اليوم محرراً بها وسكرتيراً لتحرير آخر ساعة فى نفس الوقت . . وقد ساعده كثيراً فى الأيام الأولى لرحلته داخل أخبار اليوم الكاتب الصحفى الراحل كامل الشناوى . . إذ مكنه من التأقلم على العالم الجديد فى هذه المرحلة الانتقالية .

وفى داخل هذه الدار العريقة استطاع هيكل أن يوظف ذكاءه وثقافته

فى إقناع أصحاب الدار بخاصة « على أمين » فى إمكانية توليه منصب قيادى فى عالم الصحافة . . وبالفعل تم تعيينه رئيساً لتحرير مجلة آخر ساعة عام ١٩٥٢ وبالضبط فى يونيو من نفس العام . بجانب عمله كمساعد لرئيس تحرير أخبار اليوم . وقامت ثورة ٢٣ يوليو وهيكل داخل أخبار اليوم . . ومن بعدها انتقل إلى الأهرام رئيساً لتحرير الجريدة . ولهذا الانتقال قصة سوف نرويها فى حينها . . وظل هيكل يمثل ظاهرة صحفية عملاقة تزداد يوماً بعد يوم على المستويين المصرى والعربى . . بل والأجنبى أيضاً . .

وقد لعبت الأحداث السياسية التى مرت بها مصر ابتداء من يوليو عام ١٩٥٢ دورها فى تعميق آثار هذه الظاهرة الصحفية . التى برزت وتركت آثارها الكبيرة فى مجالين ارتبطا بوجود هيكل داخل بلاط صاحبة الجلالة . . المجال الأول نجاحه الباهر فى إعادة الدماء الهاربة من جسد جريدة الأهرام . . وتجديد شباب هذه الجريدة من حيث الشكل والمضمون .

ويكفيه فخراً هذا المبنى العريق الذى يطل الآن على شارع الجلاء بوسط القاهرة والذى اختار موقعه بذكاء شديد ، يصور لنا استمرارية الخلاف بينه وبين أحد أصحاب دار أخبار اليوم التى لمع داخل بلاطها . فقد وقع اختيار هيكل لبناء هذا الصرح الصحفى العظيم على مقربة أمتار قليلة من دار أخبار اليوم . . وتفوق على هذه الدار من حيث الموقع

إذ أقيم المبنى على الشارع الرئيسى الذى يربط أهم شوارع القاهرة ، بينما ظل مبنى أخبار اليوم حتى المبنى الجديد الذى أقيم فيما بعد قابعاً في أحد الشوارع الجانبية من حى « بولاق » والذى يعرف الآن بشارع الصحافة .

والمجال الثانى الذى تمكن منه هيكل بحرفية . . هو كتابة المقال السياسى . . وبصرف النظر عن كونه الأحسن أو الأسوأ حين نلجأ إلى المقارنة من حيث الأسلوب والموضوع . . إلا أنه يعد أنجح صحفى مصرى وعربى وأجنبى تمكن من الحفاظ على استمرارية كتابة مقاله الأسبوعى « بصراحة » قرابة أربعة عشر عاماً بدون توقف .



ومن الجوانب الأخرى التى بحثنا عنها طويلاً وتخص الحياة الشخصية لهيكل باعتباره شخصية عامة ، هى قصة زواجه التى أغفلها أيضاً فى حديث أوراقه الخاصة . . وهى تمثل لنا قيمة بالنسبة لاستكمال رتوش صورته التى تضم صور كل من السادات وموسى صبرى .

ولم يكن هيكل قد تزوج حتى بلغ الثانية والثلاثين من العمر . ففى هذه المرحلة كان لا يزال نجمه فى بداية صعوده داخل بلاط صاحبة الجلالة وداخل الحياة السياسية والاجتماعية . . لأنه حين تزوج فى ٢٧ يناير عام ١٩٥٥ لم يكن قد مضى على قيام الثورة صاحبة الرصيد الكبير فى حياته ونجوميته أكثر من عامين ونصف العام .

وربما يكون السبب فى إغفال هيكل لذكر قصة زواجه فى أوراقه الخاصة أنه كان متحفظاً عائلياً رغم أنه رجل تحت الأضواء . . كما كان يرفض تماماً الخوض فى أسراره العائلية باعتبارها أمراً شخصياً . . وربما تأثر فى هذه الصفة بأسلوب رفيقه عبد الناصر الذى كان دائماً يرفض عدم خروج عائلته لحياة المجتمع وأضوائها المبهرة ، رغم أن زوجة هيكل كانت إحدى سيدات المجتمع قبل الزواج . . فقد كانت الآنسة «هدايت علوى» من أبرز سيدات المجتمع المصرى آنذاك . . وكان والدها « علوى بك » ضابطاً برتبة كبيرة بالجيش المصرى . .

ويعلق هيكل على تحفظه عائلياً بقوله : « أنا رجل ممن يتعلقون بأبنائهم وحياتهم العائلية مثل الصعايدة والفلاحين فى مصر ، وأرفض أن يرى أحد صورة زوجتى وأولادى . وأضع خطاً فاصلاً بين حياتى العامة وحياتى الخاصة . . وأعتقد أن عائلتى يجب ألا تتحمل تبعات كونى رجلاً معروفاً .

ويروى مصطفى أمين ظروف هذا الزواج بقوله : إن الآنسة «هدايت» كانت من سيدات المجتمع المصرى آنذاك وقد حضرت إلى أخبار اليوم برفقة السيدة « استقلال راضى » وكانت ترغب فى عمل « ريبورتاج » (تحقيق صحفى) عن الجمعية الخيرية التى ترأسها وهى « جمعية النور والأمل » فى أخبار اليوم . . وطلبت من هيكل عمل التحقيق الصحفى

لنشره فى الصحيفة ، وأعجب بهدايت ، ونشأت بينهما قصة حب جارف ، فتقدم لخطبتها بتشجيع من على أمين (٣٢) .

ويذكر الأستاذ مصطفى أمين أن هيكل أشرف بنفسه على حفل تنظيم حفل زواجه الذى أقيم فى أحد الفنادق الكبرى فى القاهرة وحضره معظم أعضاء مجلس قيادة الثورة وفى مقدمتهم جمال عبد الناصر الذى وقع على عقد الزواج كشاهد أول . . وعلى أمين كشاهد ثان . وقد التزم هيكل طوال حياته الصحفية بمبدأ تجنيب عائلته الأضواء . . فلم تظهر صورة زوجته أو أولاده فى الصحف أو المجلات المصرية أو العربية سوى مرة واحدة . . عندما نشرت له صورة فى آخر ساعة مع ابنه الكبير عندما كان طفلاً وكتب التحقيق عن الأب والإبن الكاتب الصحفى « جليل البندارى » .

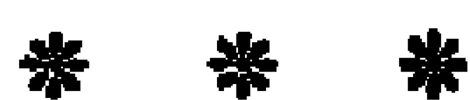
ولهيكل ثلاثة أولاد ذكور هم على وحسن وأحمد . . تخرجوا جميعاً من الجامعات المصرية . . ويعتبر هيكل من أكثر الصحفيين المصريين ثراء . . فهو يمتلك عزبة فى قرية برقاش بمحافظة الجيزة . .

ولم يكن فقط مجرد صحفى من الطراز الأول . . بل كان كاتبا سياسياً ومؤلفاً كبيراً . . له عدة مؤلفات بلغت أكثر من عشرين كتاباً سياسياً . . كان آخرها كتاب « حرب الخليج ـ أوهام القوة والنصر » .

---

(٣٢) هيكل وعبد الناصر ـ المصدر السابق (ص ـ ٢٢) .

بل أكثر من ذلك كان رجل سياسة من الطراز الأول . . ويكفيه أنه كان المستشار السياسى والصحفى لعبد الناصر . . بل كان الحاكم الفعلى لمصر من وراء الستار كما يؤكد ذلك بعض كبار الصحفيين والسياسيين . وقد ظل كذلك قرابة خمسة عشر عاماً حتى عين فى ٢٦ ابريل ١٩٧٠ وزيراً للإرشاد القومى إلى جانب احتفاظه برئاسة مجلس إدارة الأهرام وبرئاسة تحريرها . وقد استمر هيكل فى منصبه الوزارى هذا مدة خمسة أشهر حتى ١٨ أكتوبر عام ١٩٧٠ حين قدم استقالته من هذا المنصب للرئيس السادات حتى يتفرغ لعمله الصحفى بجريدة الأهرام . ومن بعد خروجه من مؤسسة الأهرام ظل يعمل صحفياً متجولاً فى كل دول العالم . . حتى استقر به المقام فى مصر وتفرغ لتأليف الكتب السياسية ، مع قبوله فكرة إجراء بعض الحوارات الصحفية خاصة لصحف المعارضة .



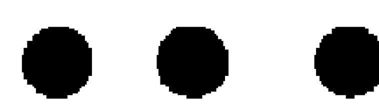
أما فيما يتعلق بالحديث عن قصة حياة موسى صبرى . . فلسوف نلاحظ وجود اختلاف كبير من حيث التناول وتسلسل الأحداث . . لثلاثة أسباب أولهم :

- أن موسى صبرى قد سطر لنا قصة حياته ضمن كتابه الضخم الذى صدر قبيل وفاته تحت عنوان : « ٥٠ عاماً فى قطار الصحافة » .
- والسبب الثانى : مقولة الحساب التى تحدثنا عنها فى السطور الماضية واتخذناها سبيلاً فى مجال حديث الفروق بين هيكل وبينه . .

● أما السبب الثالث والأهم فى رأينا : . . هو الديانة حيث من المعروف أن موسى صبرى يدين بالمسيحية . . رغم حرصه الشديد طوال حياته السياسية والصحفية على عدم إظهار تعصبه لهذا الدين ، والحق أقول : إننى من بين تلاميذ أخبار اليوم الذين عاصروا فترة عمل موسى صبرى لمدة عشر سنوات . . لم أتبين على وجه اليقين هذا التعصب . . بل بالعكس كنت كثيراً مـا أسمع القصة تلو الأخرى يتناقلها الزملاء عن حب موسى صبرى للإسلام وللمسلمين . . للدرجة التى كانت تجعله كثيراً ما يشارك فى بعض طقوس الإسلام مثل الصوم وخلافه .

واختيارى لهذه النقطة فى حياة موسى صبرى لم تأت من فراغ . . فقد لاحظت أن موضوع ديانته هذا . . قد استغرق صفحات عديدة من كتابه عن سيرته الذاتية .

ولسوف نتوقف عند كل سبب من هذه الأسباب وقفات تطول أو تقصر . . حسبما تقتضيه ظروف الأحداث وما يتوافر لدينا من معلومات قد تضيف أى جديد على هذا الدرب .



ولد موسى صبرى كامل فى مركز « الفشن » التابع لمحافظة بنى سويف فى ٢ أكتوبر عام ١٩٢٤ . . وكان والده يدعى كامل أفندى ويعمل كاتباً فى محكمة الفشن . وكان الطفل موسى صبرى مشهوراً

داخل عائلته وبين أصدقائه باسم « صبرى » ويبدو أنه كان على موعد مع أول خلاف يقع له . وهو لا يزال قطعة لحم أحمر ، ولم يتعد عمره سوى يوم واحد . . فقد اختلف والداه فى تسميته إذ اختار والده له اسم «موسى » . . بينما أصرت أمه على اختيار اسم « صبرى » . . وحلا لهذا الخلاف الذى كاد يعصف بالطفل الصغير وهو لا يزال فى لفافته البيضاء، تم الجمع بين الإسمين فى اسم واحد . . وبذلك أصبح اسم الطفل « موسى صبرى » وهو يحكى لنا عن هذه القصة بقوله : « . . ولما ولدت رفضت أمى بشدة هذا الاسم وقالت لا أحب أن ينادينى أحد «بأم موسى » وأصرت على أن يكون اسمى « صبرى » وأخيراً تدخل «القسيس» واقترح حلاً للخلاف أن تكتب أوراق صغيرة عديدة منها ما سجل عليه اسم «موسى» ومنها ما سجل عليه اسم «صبرى» ومنها ما يجمع بين الإسمين «موسى صبرى» ثم يطلق البخور ويصلى القسيس عسى أن يختار الله الاسم الذى يباركه ثم يخرج القسيس ورقة من السلة . . وكل الأوراق كانت مطوية . . ووافقت أمى . . وأخرج القسيس الورقة بعد الصلاة وكان مكتوباً بها « موسى صبرى » (٣٣) .

وتاريخ ميلاد الطفل موسى صبرى كما هو مدون فى الأوراق الرسمية هو ١٢ أكتوبر عام ١٩٢٤ . . ولكنه يؤكد فى أوراقه الخاصة أن يوم ميلاده كان فى ١٦ أغسطس من نفس العام وأن والده لم يسجله فى مكتب

---

(٣٣) ٥٠ عاماً فى قطار الصحافة (ص ٦ ـ ٧) .

الصحة إلا بعد شهر وستة عشر يوماً . . وسبب ذلك أن والديه أخفيا تاريخ مولده الحقيقى عن الجيران خوفاً من الحسد لأن المولود ذكر.

ويؤكد موسى صبرى كامل أنه رغم حبه الشديد لأمه إلا أنه كان يميل بعاطفته إلى والده . . والسبب يرجع إلى قوة شخصيتها فى مقابل ضعف والده أمامها . . كما يؤكد أنه التحق بالمدرسة الابتدائية وهو فى سن السادسة بدلاً من السابعة كما كان متبعاً آنذاك . . وقد أدخله والده مدرسة مجلس مديرية المنيا التى حصل منها على شهادة إتمام الدراسة الابتدائية . ثم التحق بمدرسة أسيوط الثانوية فى الفترة من ١٩٣٤ ـ ١٩٣٩ وحصل منها على شهادة إتمام الثانوية التى أهلته لدخول جامعة القاهرة . .

ولما كان والده يحلم بأن يكون محامياً . . حيث لم تمكنه ظروفه المعيشية من تحقيق حلمه فى نفسه فعمل كاتباً بإحدى المحاكم . . لذلك رأى ضرورة تحقيق حلمه فى ابنه فألحقه بكلية الحقوق .

ومن أجل تأكيد هذه الرغبة لدى ابنه الشاب الذى كان ولا يزال يدرس بالمرحلة الثانوية . . كان كثيراً ما يأخذه لزيارة كبار المحامين فى مدينة أسيوط . وكان كثيراً ما يقول لهم ـ على حد رواية موسى صبرى ـ «إننى سأدخل ابنى كلية الحقوق بعد أن يحصل على التوجيهية » وبالفعل التحق موسى صبرى بكلية الحقوق وفقاً لهذه الرغبة . . وتخرج منها عام ١٩٤٣ . .

وكان قاب قوسين أو أدنى من دخول سلك القضاء .. لولا الأحداث السياسية التى حالت بينه وبين ذلك .. فبدلاً من أن يدخل سلك القضاء وكيلاً للنيابة .. دخله متهماً !! حيث اعتقل بعد تخرجه بأشهر قليلة .. وبعد الإفراج عنه تحول مسار حياته تماماً .. فبدلاً من أن يعود إلى سلك القضاء .. ويمتهن المحاماة .. دخل إلى بلاط صاحبة الجلالة وعمل صحفياً ، واستمر يعمل بهذه المهنة قرابة ٤٧ عاماً . بدأها منذ عام ١٩٤٤ فى مجلة صغيرة ومحدودة الانتشار اسمها « بلادى » كان يصدرها الحزب السعدى ..

وكان لقاء موسى صبرى بالكاتب الصحفى الكبير « جلال الدين الحمامصى » داخل معتقل الزيتون هو البداية نحو عالم جديد داخل الصحافة والسياسة . فبعد أن عمل فى مجلة « بلادى » ، استدعاه جلال الدين الحمامصى للعمل معه فى جريدة « الأساس » فى عام ١٩٤٧ .. وأسند إليه الإشراف على الصفحة الأدبية . ثم جريدة « الزمان المسائية » التى عمل بها حتى عام ١٩٤٩ .. وفى عام ١٩٥٠ التحق للعمل صحفياً برلمانياً فى دار « أخبار اليوم » .. وقد ظل بها يعمل محرراً ثم نائباً لرئيس التحرير ورئيساً لتحرير مجلة الجيل ثم رئيساً لتحرير الأخبار ورئيساً لمجلس الإدارة .. وبعد بلوغه سن المعاش ظل يعمل بها كاتباً صحفياً متفرغاً حتى يوم وفاته ..

* * *

وإذا كنا قد تحدثنا عن زواج هيكل والظروف التى أحاطت به . . فكان علينا كذلك أن نشير إلى هذا الجانب فى حياة موسى صبرى . .

ففى الوقت الذى تزوج فيه هيكل وهو فى سن الثانية والثلاثين من عمره فى عام ١٩٥٥ . . حيث فضل أن تكون حياته العائلية وأخبار زوجته بعيداً عن الأضواء . .

تزوج موسى صبرى بعده بثلاثة أعوام من فتاة التحقت بالعمل صحفية تحت التمرين فى نفس دار أخبار اليوم . . وبالتالى كانت زميلة لهيكل. لقد تزوج موسى صبرى وهو فى سن الخامسة والثلاثين . . من الآنسة « أنجيل رياض » فى عام ١٩٥٨ ، وكانت طالبة فى السنة الثانية بكلية الصحافة . . ومن بعد تخرجها عملت محررة بمجلة آخر ساعة حتى رحيلها . .

وقد أنجب موسى صبرى ثلاثة أولاد ذكور هم « أشرف وأكرم وأمجد» . . تماماً مثل حسنين هيكل . . وكلهم أيضاً لم يدخلوا بلاط صاحبة الجلالة كعادة البعض حين يورثون أعمالهم لأبنائهم من بعدهم ، بل التحقوا ببعض الوظائف وبعض الأعمال العامة والخاصة .

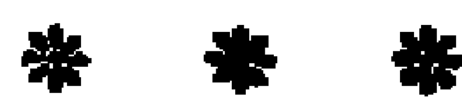
ورغم اختلاف بيئة ونشأة كل من هيكل وموسى صبرى . . فإن الأول قد فضل اتباع عادات أهل الصعيد الذين ينتمى إليهم موسى صبرى . . والعكس كان صحيحاً . . فإن الأخير ، رغم ارتباطه وانتمائه

لأهل الصعيد حتى سنوات شبابه الأولى ، إلا أنه فيما يتعلق بعاداته وتقاليده الشخصية . فقد كان كثيراً ما يقلد أهل البندر أو أهل المدن . . وقد بدا ذلك واضحاً فى حبه للحديث عن نفسه وعن زوجه وأولاده . . بل وعن أبيه وأسرته . . فقد ذكر الكثير من المعلومات عن والده وعن بعض أفراد أسرته فنراه مثلاً يقول : « كان قد حصل على الشهادة الابتدائية من مدرسة إخميم التابعة لمديرية سوهاج . . وكانت أسرة أبيه . . الجد والجدة والأعمام والخالات . . كلهم يسكنون فى بيت واحد . . وقد علمنى أبى منذ بدأت أنطق الكلمات ، أن أحفظ أسماء جدودى حتى سابع جد واسمه « المعلم » نسبة إلى أنه المعلم فى صناعة الغزل . . وحتى الآن لا أزال أحفظ هذه الأسماء : « موسى صبرى كامل ، شنودة، سكر ، بسطورس ، منقريوس ، منصور ، مليكة المعلم .

لقد حصل أبى على الشهادة الابتدائية فى سن صغيرة نسبياً واستهواه أن يتوظف وألا يكمل الدراسة الثانوية حتى يستقل بحياته ويحصل على المرتب الكبير . . وعين كاتباً فى وزارة العدل . . وكان يحضر الجلسات مع القاضى بما يسمى الآن « سكرتير المحكمة » . . وعندما فصل من هذه الوظيفة دخل امتحانات الشهادة الابتدائية من جديد فى العام التالى . . ونجح بتفوق وتقدم بطلب وظيفة إلى مصلحة السجون . . وعين كاتباً بها، ولأنه كان يهوى القانون . . ولعناده فى أن يعود إلى وظيفته الأولى ، سعى بعد ثلاثة أعوام إلى أن يُنقل كاتباً للمحاكم كما كان قبل أن يفصل » .

وبنفس الحب تحدث موسى صبرى عن أمه ولكن حديثه عنها كان دائماً مصحوباً بالنعرة الدينية غير المتعصبة . . فتراه على سبيل المثال يقول : « أمى تحب الكنيسة البروتستانتية ، وهو مذهب اتجهت إليه معظم الأسر الراقية من المسيحيين فى أسيوط . . ولعل هذا ما جذب أمى إليه ، لأنها كانت ترى أنها تنتمى إلى هذه الطبقة لأن والدها محامٍ فى ملوى » .

وفى موضع آخر يقول عن ذات الموضع : « . . وكانت قارئة «دءوبه» للإنجيل وتحفظ آياته وقصصه ، وتجيد الكتابة بلغة عربية سليمة، لأنها درست المرحلة الابتدائية فى مدارس الأمريكان » وعن صفاتها الشخصية يقول ابنها موسى صبرى : « كنت ألمس أن أقاربها ، يحضرون لزيارتها ويكنون لها توقيراً خاصاً ويجلسون أمامها فى حلقة كأنهم تلاميذ صغار بملابسهم القروية وشواربهم الفخمة وهم من بلدة صغيرة اسمها «البياضة» تقع على الجبل فى حدود مدينة ملوى . . وكانوا يجيئون لاستشارتها ، ولكى تفصل فى خلافاتهم ، وهى صاحبة الرأى المطاع » .



ويبدو أن موسى صبرى قد تعمد الحديث بإسهاب عن أصوله العريقة . . وجذور أسرته من ناحية أمه وأبيه حتى لا يترك لغيره القيام بهذه المهمة ويكون أقل منه معرفة . . وحتى لا يحدث له ما حدث

للرئيس السادات حين أثار هيكل قضية نسبه وأصل تسمية أسرته . . هل « السادات أم الساداتى ؟ » . كما مر علينا من قبل . رغم أن السادات قد سطر لنا قصة حياته كاملة بقلمه وقرأها العالم كله . . وحاول قدر المستطاع أن يكشف لنا عن أصوله وجذوره وأهم المعوقات التى اعترضت طريق حياته فى طفولته وشبابه . . والشىء الغريب أن ذلك لم نجده لدى هيكل . . حتى عندما كتب عن بعض ملامح سيرته الذاتية فى كتابه « بين الصحافة والسياسة » . .

وقد سبق أن ذكرنا أننا قد لجأنا إلى مصادر عديدة من أجل معرفة بعض المعلومات الخاصة عن حياة هيكل وجذوره وأصل أسرته . . ونحن قد لا نكون صادقين فى ذلك تماماً . . ولكن ما العمل ؟ . . لقد دفعنا هيكل إلى ذلك دفعاً . . فقد كان علينا أن نتحدث عن جذور وحياة الفرسان الثلاثة ضيوف هذه الأوراق . . كما سبق ورأينا . . فقد اتبعنا نفس المنهج مع السادات من قبله . . وها نحن نتبع نفس المنهج مع موسى صبرى من بعده .

ولنا ملحوظة لا بد من ذكرها فى إطار هذا الحديث الذى نتناول فيه الجذور والأصول . . وهى أنه ربما حاول هيكل إخفاء جانب كبير من جوانب حياته الأسرية . . حيث كان يرى أنها مظلمة . . وربما تسبب له حرجا حين يفصح عنها وهو لايزال رجلاً عاماً ونجماً من نجوم الصحافة العربية والعالمية . . وقد نرى نحن عكس ذلك . . فإن الحديث عن

الجذور والأصول مهما كانت وضيعة وفقيرة . . تعطى لصاحبها قيمة وقوة ونفوذاً . . وتكون بالعكس مصدر احترام من جانب الآخرين . . لأن النجاح الذى وصل إليه كان سيحسب له دون غيره وستكون لأفكاره وسواعده الفضل الأكبر فيما وصل إليه .

والسؤال الذى يفرض نفسه هنا . . هل لو كان والد حسنين هيكل محامياً مشهوراً أو ضابطاً بالجيش . . أو موظفاً صغيراً ؟ . كان من الممكن أن يتحدث عنه هيكل وبنفس الطريقة التى تحدث فيها موسى صبرى عن والده ؟

لقد عرفنا من قبل أن والد هيكل رغم أنه بدأ تاجراً متجولاً فى الأسواق . . أو ما نسميه نحن الباعة الجائلين « فى الأسواق » فقد انتهى به المقام إلى تاجر غلال له دكان كبير وله زبائنه فى السوق . . ونفس الشىء يمكن أن نتحدث عنه بخصوص والدته ، تلك الفتاة القاهرية ـ حسب ما وصلنا من معلومات ـ التى كانت سبباً فى مساعدة الوالد على السير قدماً بخطى واسعة فى مجال التجارة ، والتى كان لها الفضل الأول فى استقراره بالقاهرة . .

ورغم تسليمنا بنظرية هيكل التى أفصح عنها فيما يتعلق بحديث أسراره الخاصة والتى اتبع فيها صديقه عبد الناصر . . إلا أننا ما زلنا على أمل أن يحدثنا هيكل عن حياته الخاصة وعن طفولته وشبابه وأسرته حتى

لا يترك الباب مفتوحاً أمام بعض المعلومات التى قد تكون خطأ أو صواباً . . من منطلق أنه رجل عام ، يهم الناس معرفة كل صغيرة وكبيرة فى حياته وحياة أسرته . .

وحتى لا يأتى رجل يفعل مثلما فعل هو مع السادات حين تناول حياته وجذوره وشكك فى اسم عائلته .

على أن أهم النقاط التى سوف يدور حولها الحديث خلال الأوراق المتبقية . . هى نقطة اختلاف الديانة بين هيكل وموسى صبرى . .

وأحب أن أؤكد فى بداية الأمر على حقيقة هامة ربما يعقلها الكثيرون وهى أننا فى مصر وحتى سنوات قادمة كثيرة لن يكون الدين عامل فرقة أو سبباً من أسباب التفرقة العنصرية بين أبناء الوطن الواحد . . والأسباب كثيرة ومتنوعة . . ولكن كثيراً وبنفس القدر ما تستخدم مسألة الاختلاف فى الدين فى بعض النزاعات الشخصية . . حيث يحاول البعض أن يتمسك بها كعامل ضغط حين وقوعه فى الفشل . . من أجل إعادة الاعتبار . . وكثيراً ما لا يأخذ العقلاء من أبناء الشعب المصرى حتى هذا الدافع الشخصى كسبيل للتفرقة بين الأديان خاصة فيما يخص أبناء الوطن الواحد . .

والسبب الرئيسى فى تناولنا لهذه النقطة . . أنها كثيراً ما أثيرت ولا تزال تثار حين يأتى الحديث عن هيكل وموسى صبرى .

ويبدو أن موسى صبرى كان على قدر كبير من الذكاء حين تناول هذه القضية . . وناقشها بموضوعية ووطنية . . فى كتابه الذى سطر فيه حياته الخاصة والعامة .

والعجيب فى الأمر أن مسألة ديانة موسى صبرى . . كانت آخر ما أثير داخل المجتمع المصرى بصفة عامة وداخل بلاط صاحبة الجلالة بشكل خاص حتى وهو على فراش الموت . .

وبشكل عام لقد عانى موسى صبرى داخل بلاط صاحبة الجلالة من هذه التفرقة من بعض أعدائه وبعض منافسيه . . وللأمانة لم نجد لمثل هـذه التفرقة أى أثر فى كتابات هيكل أو أحد من حوله عن موسى صبرى .

وإن كان يحلو للبعض التلويح بهذه التفرقة كسبب مباشر فى الصراع الذى احتد بين الاثنين داخل مجال الصحافة . . وربما يكون ذلك صحيحاً . . وربما يكون غير صحيح أيضاً . والسبب يرجع إلى شخصية موسى صبرى التى استطاع من خلالها أن يجنب اختلاف الديانة فى صراعه العلنى مع هيكل . . بل ومع غيره من الذين اختلف معهم فى حياته . .

وموسى صبرى يشير إلى ذلك بقلمه حين قال بالحرف الواحد : « لقد استهوانى ترتيل القرآن الكريم كثيراً . . وكنت أضع المصحف تحت مخدة

سريرى ، ووضعت إلى جواره إنجيلاً . . لاعتقادى أن هذا وذاك كلام ربنا . . فلماذا التفرقة ؟ » .

ويبدو أن موسى صبرى قد وعى بفكره ومنذ صغره مشكلة الديانة فى حياته حيث كان يميل إلى المسلمين واللعب مع أطفالهم أكثر من جيرانه من المسيحيين وكثيراً ما اصطدم مع والدته بهذا الخصوص . . فى حين كان والده يقف فى صفه من حيث سماعه للقرآن والتقرب إلى أطفال المسلمين .

وهو يقول عن ذلك : « لم يكن أبى يعرف التعصب . . ولذلك لم يكن يبدى لى أى ملاحظة عندما كنت أفتح الراديو ، لكى أستمع إلى القرآن . . لكن أمى كانت تقفل الراديو غاضبة ، وكانت تنهرنى . . وكان ردى على ذلك أننى اشتريت مصحفاً وبدأت أقرأ فيه ، ونهرتنى وطلبت من أبى أن يعاقبنى ولم يستجب لها » .

ولقد ظل حب موسى صبرى للإسلام ينمو داخل صدره حتى ولو لم يعلن عن ذلك . . إلا مرة واحدة حين قرر وهو فى سن الثامنة والعشرين ـ كما أعلن ذلك بنفسه ـ أن يشهر إسلامه من أجل أن يتمكن من زواج فتاة مسلمة أحبها .

ولولا قبوله لنصيحة والده خوفاً من عدم زواج أخواته البنات لتمسك موسى صبرى بإسلامه .

والسؤال الذى يهمنا وضع إجابة واضحة له : وهل كانت الديانة عائقاً كبيراً فى حياة موسى صبرى داخل بلاط صاحبة الجلالة . . وفى محيط صداقته العامة والخاصة ؟ . . طبعاً لا أستطيع أنا ولا غيرى أن يجزم بهذه الإجابة . . أو يضع لها الكلمات التى تشفى غليل السائلين . . ولكن كل ما هنالك . . بعض الإشاعات أو الأقاويل التى يحلو للبعض تحميلها بأكثر مما يجب . . خاصة داخل حلبة الصراع بينه وبين هيكل .

نذكر منها على سبيل المثال . . ما قيل قبيل وفاته من أنه كان السبب الرئيسى وراء القضاء على شركات توظيف الأموال . . لأن القائمين عليها كانوا مسلمين .

وقد أثبتت الأيام أن هذا الاعتقاد كان خاطئاً ـ لأن التجربة أثبتت ـ وجهة نظر موسى صبرى فيما أثاره بخصوص موضوع هذه الشركات .

ولم تكن هذه هى القصة الأولى التى ربط فيها الناس بين ديانة موسى صبرى وبين موقفه من بعض القضايا الوطنية . . بل كانت هناك قضية أخرى أخطر ، لأنها كانت تتعلق بصراع الفتنة الطائفية الذى تفجر أيام السادات . . وشهد أعنف مواجهة بين أحد رموز الديانة المسيحية وهو البابا « شنودة الثالث » . . وبين رئيس الدولة . . فكان لا بد من ظهور موسى صبرى . . كما كان لا بد من اتهامه بالتحيز لأى من الطرفين . . الإسلامى الذى يمثله صديقه وراعيه « السادات » . . وبين رئيس الكنيسة التى يدين لها . . « البابا شنودة » .

ولقد أفرد موسى صبرى لهذا الصراع وموقفه الشخصى منه فصلاً كاملاً فى كتابه الذى ألفه عن السادات بعنوان « السادات الحقيقة والأسطورة » .

وحين نعود إلى تأثير اختلاف الديانة بين موسى وهيكل فى حلبة الصراع فيما بينهما داخل بلاط صاحبة الجلالة . . نجد أن هذا الاختلاف قد توارى تماماً ولم يظهر فى كتابة كل منهما عن الآخر . . وأنه ظل حاجزاً قائماً داخل الصدور . وربما لم يجد الفرصة المتاحة للتعبير عنه فى حينه . . بل أكثر من ذلك أن موسى صبرى بالعكس كان دائماً يصرح أو يلمح بأنه غير متعصب . . وأن مسألة الديانة أبداً لم تشغلْه فى صراعاته داخل بلاط صاحبة الجلالة . . حتى وهو يكتب مدافعاً عن صديقه السادات . . لقد كان يركز على سماحة المسلمين فى تعاملهم مع أقباط مصر . . والدليل على ذلك قوله : « . . وكان السادات فخوراً بحقيقة تاريخه فى ميت أبو الكوم وهى أن معظم ملاك الأرض فيها من الأقباط . . ومعظم الأجراء فى الأرض مسلمون . . ولم يحدث على مدى مئات السنين أى خلاف بين المالك القبطى والأجير المسلم . . وهذه هى روح الشعب المصرى » (٣٤) .

وإذا كانت مسألة اختلاف الديانة . . لم يكن لها تأثير واضح داخل

---

(٣٤) السادات الحقيقة والأسطورة ـ المصدر السابق (ص ١٠٥) .

حلبة الصراع بينه وبين هيكل . . فإنها كثيراً ما سببت لموسى صبرى العديد من المشاكل داخل مؤسسة أخبار اليوم وخارجها . . خاصة فى الفترة التى شهدت سخونة أحداث الفتنة الطائفية . . والغريب أن الانتقادات كانت توجه له فى هذا الخصوص من البابا شنودة وشيخ الأزهر فى آن واحد .

ومن قبلها كانت هذه المسألة سبباً مباشراً فى خلق العديد من الأزمات بينه وبين بعض العاملين فى مؤسسة أخبار اليوم . . للدرجة التى جعلتهم يرفعون المذكرات والتقارير إلى الجهات الأمنية متهمين فيها إياه بالتحيز ضد المسلمين على حساب المسيحيين . . وكان هو كثيراً ما يدافع عن عدم تعصبه فى هذا الخصوص لأنه كان أولاً وأخيراً صحفياً مصرياً . . وليس صحفياً مسيحياً . . وهذه شهادة خاصة من كاتب هذه السطور فيما يتعلق بهذا الموضوع . . فقد كنت أحد الصحفيين الشبان الذين وافق على تعيينهم موسى صبرى خلال فترة السبعينيات بعد التخرج من قسم الصحافة ـ جامعة القاهرة ـ وكنت ضمن مجموعة كبيرة من شباب الصحفيين . لم يكن بينهم صحفى واحد يدين بالمسيحية ! . . وحتى لو كان موجوداً لوافق موسى صبرى على تعيينه بشرط أن يقضى فترة التدريب التى امتدت لأكثر من عام . . كما وأننى وهذه شهادة للتاريخ ـ طوال السنوات التى كنت على مقربة فيها من موسى صبرى بحكم عملى سكرتيراً للتحرير ـ لم أشهد منه أى نوع من

التعصب . . ولم أسمع زملائى من قبل يتحدثون عنه . . بل العكس لقد كان كثيراً ما يميل إلى الصحفيين من غير المسيحيين . . كما كنت كثيراً ما أحضر إفطاره الدائم معنا خلال أيام شهر رمضان . .

ولا أنسى أبداً تلك الكلمات التى سمعتها كثيراً من الزملاء الذين عملوا معه فى مكتبه . . وكلها كلمات تعبر بصدق عن سماحته وميله إلى عدم التعصب .

الفصل الرابع

الصحافة .. قبل السياسة أحياناً

ما بين الصحافة والسياسة . . كلام كثير ، ومتواصل . . ولم ينقطع بعد . . سواء فى أوساط المثقفين أو داخل أروقة الجامعات أو المعاهد الأكاديمية .

وهذا الكلام الكثير والمتنوع والمتواصل وغير المنقطع . . كثيراً ما يلتقى أصحابه بالقدر الذى فيه يختلفون . . فمثلاً تجد أصحاب القلم من الصحفيين ـ الذين تأخذهم أفراح المهنة وعزة النفس فيها يكتبون ـ يعتبرون الصحافة سباقة فى ميدان الحياة على السياسة . . أو على الأقل ينظر بعضهم إليها على أنها الضوء المبهر الكاشف لكل مساوىء العمل السياسى . .

وفى المقابل تجد العديد من الأكاديميين والفلاسفة ـ وليس الحكام ـ يعتبرون السياسة فى المرتبة الأولى من حيث أنشطة الإنسان فوق هذه الأرض . وأنها لذلك صاحبة الفضل الأكبر فى وجود الصحافة وتمهيد الأرض لها كى تمارس عملها سواء داخل بلاط صاحبة الجلالة أو خارجها .

وعلى أية حال . . فلن نتوغل كثيراً فى ذكر الفروق والاختلافات بين الفريقين . . لأن ذلك ليس من موضوع كتابنا . ولكننا سنحاول فى خلال سطور قليلة أن نربط بين الاثنين « الصحافة والسياسة » وأيضاً لن نبتعد كثيراً عن موضوع هذه الأوراق التى يضمها هذا الكتاب . . فقد كانت الصحافة وما زالت ميدان التقاء رجال السياسة . . وأيضاً ما زال دورها قائماً . . ويحسب لها ألف حساب داخل الملعب السياسى . . وفى المقابل نجد أيضاً أن عالم السياسة ما زال يزخر بالصحافة والصحفيين . . سواء الذين يكتبون عنها فى صحفهم أو الذين اجتذبتهم أضواؤها فتركوا الصحافة وتفرغوا للسياسة .

نضيف إلى ذلك أن كلاً من الميدانين كان وما زال مكان التقاء فرسان هذه الأوراق . . وهم السادات وهيكل وموسى صبرى . . وطبعاً مع اختلاف وتبادل المواقع داخل الصحافة أو السياسة . .

وحتى لا يكون حكمنا فى الحديث عن الصحافة أو السياسة بشكل مطلق . . وحتى نقرب المفهوم العام المقصود لكل منهما داخل هذه الأوراق . . سوف نحاول أن نحدد بالضبط ما الذى نريده من الصحافة وكذلك من السياسة . . من أجل العثور على نقطة التقاء يكون لكل من السادات وهيكل وموسى . . الدور البارز فيها . .

وبحكم عملنا داخل هذا البلاط اللامع الذى تجد جدرانه مبنية من الأوراق وبداخلها رسومات وصور وأخبار . . وعناوين وألوان ، سوف

نبدأ به حديث كشف المفهوم . . أو تحديد المقصود . . إن الصحافة مفهوم واسع وكبير . . وكان لغيرنا من الأساتذة الفضل الكبير فى تحديد هذا المفهوم الواسع . . وبشكل عام فالصحافة حين يأتى ذكرها لا بد وأن يطفو إلى الذهن الصورة والخبر والتحقيق والحوادث والفنون والمقالات والمقابلات ، إلى آخر أنواع الفن الصحفى . . ولكن ما نريده نحن هنا فى هذا المقام وما نبحث عنه . . هو المفهوم السياسى للصحافة . . بمعنى هؤلاء الذين تخصصوا بأقلامهم فى الكتابة عن ولاة الأمر من الحكام ومن يدور فى فلكهم ممن نطلق عليهم السلطة التنفيذية وبعض أعضاء السلطة التشريعية والنيابية .

إذن فليس كل النشاط الصحفى . . هو المقصود بحديثنا هذا . . بل هناك نشاط بعينه . . يحمل المفهوم السياسى . . ويدور فى فلكه من قريب أو بعيد فرسان هذا الكتاب وهم : « السادات وهيكل وموسى صبرى » .

ونفس القاعدة سوف نطبقها فى حديثنا عما نقصده بالمفهوم السياسى . . لأننا وكما نعرف . . فإن لفظ السياسة قد دخل فى كل نشاط بشرى على وجه الأرض . . . فالاقتصاد يراه البعض سياسة . . وأيضاً الفنون . . حتى الأسلحة والحروب يحسبها العديد من الدارسين ممن ينطبق عليهم المفهوم السياسى . . وإذا أخذنا بذلك ، فلسوف نبتعد كثيراً عن الصحافة وعن فرسان هذه الأوراق .

لذلك سوف نقصر حديثنا عن مفهوم العمل السياسى على هؤلاء الذين يتولون أمور الحكم والسلطان فى الدولة . . وإذا ما وسعنا دائرة هذا الاختصاص . . ربما يشمل بعض المحيطين من طبقة الحكام من هؤلاء الذين يدورون فى فلكهم من أصحاب السلطة التنفيذية وبعض رجال التمثيل الشعبى أو النيابى .

ونعتقد أننا بعد هذا التحديد لكل من مفهوم الصحافة والسياسة . . قد استطعنا أن نخلق أرضية مشتركة يتحرك فوقها الثلاثة الذين هم ضيوف أوراقنا هذه . وقبل الدخول فى تفاصيل أكثر ، نوضح ما نقصده من ذلك .

إننا نعنى مثلاً أن الرئيس الراحل أنور السادات . . قد عمل صحفياً فى بداية حياته . . وقبل توليه حكم مصر . . سواء قبل الثورة أو بعدها . . ولم يكن داخل بلاط صاحبة الجلالة مجرد مشرف أو كاتب أو ضيف على البلاط . . بل كان وكما سنرى صحفياً عاملاً داخل أروقة بلاط صاحبة الجلالة . . وكان مهنياً فى هذا المجال للدرجة التى جعلته يواصل مشواره فى العمل الصحفى حتى بعد أن توج حياته السياسية بالاشتراك مع الضباط الأحرار فى ثورة ٢٣ يوليو . . وأيضاً بعد توليه مسئولية حكم مصر بعد رحيل عبد الناصر .

ومن ناحية أخرى نجد فى المقابل وربما على النقيض أن هيكل الذى بدأ حياته صحفياً ولا يزال يثرى الحياة داخل بلاط صاحبة الجلالة ، قد

دخل الحياة السياسية مبكراً سواء أكان شاهداً أم مشاركاً . . وعلاقته بعبد الناصر تشهد على ذلك بقوة . . وبصرف النظر عن الممارسة السياسية لهيكل كشاهد أو كمشارك من وراء الستار ، فإنه بالفعل قد نزل إلى الساحة السياسية مشاركاً فى المسئولية بشكل رسمى حين تم اختياره وزيراً للإرشاد القومى فى أيام حكم عبد الناصر . . ولولا اعتذاره عن ذات المنصب لاستمر فيه طويلاً حتى أيام الرئيس السادات .

ونفس القاعدة يمكن تطبيقها على موسى صبرى . . فقد بدأ هو الآخر حياته صحفياً . . واقترب كثيراً من اتخاذ القرار السياسى سواء قبل الثورة أو بعدها . . وعلاقته الخاصة بالرئيس السادات أيضاً كانت خير شاهد على ارتباطه إلى حد كبير بالعمل السياسى بجانب عمله الصحفى . . ولولا زهده فى تولى المناصب السياسية لكان أيضاً وزيراً مسئولاً فى إحدى الحكومات التى اختارها السادات . . ومن قبل ذلك . . كانت له تجارب سياسية فى مجال الحياة النيابية . . حيث رشح نفسه عام ١٩٥٨ كعضو لمجلس الأمة . . ولولا الظروف المعاندة التى وقفت ضده لكان نائباً برلمانياً من الدرجة الأولى . . ولقد تحقق له ما أراد فى مجال الحياة النيابية حين تم اختياره نائباً برلمانياً فى مجلس الشورى ذلك المنصب الذى ظل يشغله حتى وفاته .

* * *

والآن حان وقت حديث التفصيل بعد الإجمال . . نحاول من خلاله

البحث عن موقع هؤلاء الثلاثة سواء داخل بلاط صاحبة الجلالة أو داخل أروقة الحياة السياسية وقد اتفقنا منذ بداية اللقاء . . أننا نبدأ دائماً الحديث بالسادات . . ثم نتبعه بحديث هيكل وموسى صبرى . .

ففى منتصف عام ١٩٤٨ . . التحق السادات ببلاط صاحبة الجلالة محرراً صحفياً بدار الهلال وبالضبط فى مجلة المصور . . وكان طريقه إلى هذا البلاط الكاتب الصحفى والروائى الكبير الراحل إحسان عبد القدوس . . فبعد الافراج عنه ، والحكم ببراءته فى قضية مقتل الوزير « أمين عثمان » خرج إلى الحياة من أجل البحث عن عمل شريف . . فالتقى بصديقه إحسان عبد القدوس كى يساعده فى إيجاد فرصة عمل له داخل بلاط صاحبة الجلالة . بحكم الصداقة التى كانت بين الاثنين .

وبحكم اتصالات إحسان داخل عالم الصحافة بدأ مع السادات رحلة البحث عن هذه الفرصة . . والسادات يذكر لنا تفاصيل هذه الرحلة فى سطور قال فيها : . . « ذهبت إلى إحسان عبد القدوس وهو صديق قديم لى . . ليبحث لى عن عمل . . قصدنا جريدة الأهرام ولكن لم يكن بها مجالات للعمل . . فاقترحت روز اليوسف . . ولكن إحسان قال إن روزا لا تتحملنا نحن الاثنين ، وكان إحسان وقتها يعمل بروز اليوسف وبدار الهلال كمعيد للصياغة وفى جريدة الزمان ، فى ثلاثة أماكن فى وقت واحد . . ولكن حدث أن استغنى إحسان عن

عمله بدار الهلال ، فأخذنى وقدمنى لأصحاب الدار . . الذين اشتروا منى مذكراتى التى كتبتها فى السجن وبدأوا نشرها . . وفى صباح اليوم التالى أرسلوا فى طلبى من أجل أن أعمل معهم فى دار الهلال بصفة مستديمة وأن أحدد المرتب الذى أريده . . لقد كان هذا أمراً مذهلاً لى . . فقد كنت أعرف أن كبار المحررين عندهم يعملون جميعاً بالقطعة وقبلت العمل على الفور وأخذت مكان إحسان كمعيد للصياغة . واستمر عملى بدار الهلال إلى ديسمبر عام ١٩٤٨ » . . .

ولا شك أن اختيار السادات لأن يعمل صحفياً عقب خروجه من السجن مباشرة فيه ما يؤكد اهتمامه المبكر بالعمل الصحفى واختياره له، وعلى حد قول الدكتور كرم شلبى أستاذ الصحافة بجامعة الأزهر :

« . . لم يكن عملاً عشوائياً ألقى فى طريقه بمحض الصدفة أو مارسه دون إمكانية ودون استعداد . . بل وما كانت مؤسسة مثل دار «الهلال» لتوافق على أن تلحقه بها صحفياً يكتب فى إحدى مجلاتها دون أن يتأكد القائمون عليها من أنه قادر على الكتابة الصحفية وقادر على ممارسة هذا العمل » . .

وبالفعل فقد اجتاز أنور السادات اختباراً غير مباشر أجراه له أصحاب الدار فى ذلك الوقت قبل أن يسمحوا له بالكتابة فى مجلة «المصور» وذلك بأن طلبوا إليه أن يضيف إلى أول حلقة من مذكراته التى قدمها إليهم بعض الأجزاء بحجة أن الجزء المكتوب أقل من المساحة

المخصصة له . وطلبوا أن يتم ذلك بحجة أن وقت العمل لا يحتمل إرجاء كتابتها إلى اليوم التالى ، ولم يكن هذا الطلب من قبل أصحاب الدار وبهذه الطريقة إلا نوعاً من الاختبار « لأنور السادات » للكشف عن قدرته على العمل الصحفى . وعندما تأكد أصحاب الدار من استعداده وقدرته وصلاحيته لهذا العمل نجد مجلة المصور تنشر باسمها تقديماً لكتابات أنور السادات . . .

ولم تكن هذه هى البداية الأولى للسادات فى مجال الكتابة أو الصحافة. . بل سبقتها محاولات متنوعة وجادة . . سواء فى مجال اهتماماته الثقافية أو الصحفية أو الأدبية التى تفجرت فى شبابه . . خاصة فى الفترة التى تلت خروجه من الجيش ، ودخوله المعتقل لأكثر من مرة . .

ويذكر لنا التاريخ أن السادات أثناء اعتقاله فى إحدى المرات . . نجح فى إقناع بقية زملاء السجن فى إصدار صحيفة أو مجلة أسبوعية تتضمن الحوادث العامة . . والتعليق عليها ، ونقد المتهمين . . وبالفعل تحولت الفكرة إلى واقع ملموس فصدرت المجلة الأولى يوم ٢٢ أكتوبر عام ١٩٤٦ باسم (الهنكرة والمنكرة) ورئيس تحريرها هو «وسيم خالد » ثم صدرت المجلة الثانية يوم ٢٦ أكتوبر من نفس العام باسم «ذات التاج الأحمر» ورئيس تحريرها « محجوب الجابرى » .

وبالرغم من أن هذه التجربة تعد عملاً محدوداً بالمقاييس المتعارف

عليها فى العمل الصحفى ، إلا أن أهميتها تتجسد فى كونها تجربة تعكس بوضوح الاهتمامات الأولى لأنور السادات بالعمل الصحفى ، واستعداده له . . ذلك لأن مجرد التفكير فى إصدار هاتين المجلتين وداخل جدران السجن لنشر « الحوادث العامة » والتعليق عليها فيه ما يشير إلى إدراك أنور السادات لطبيعة العمل الصحفى وما يمكن أن تؤديه الصحافة فى الأخبار والتوجيه والترفيه .

وكانت الفترة التى عمل فيها السادات صحفياً بدار الهلال هى التجربة الهامة والأساسية التى استمد منها خبرة واسعة فى مجال العمل الصحفى وخاصة فيما يتعلق باصدار الصحف الأسبوعية . . وبحكم هذه الخبرة المبكرة داخل بلاط صاحبة الجلالة والتى تميز بها السادات عن بقية زملاء مجلس قيادة الثورة . كان طبيعياً أن يتم اختياره من أجل تحمل مسئولية الصحافة وشئون الرقابة . . وهى أحد الأعمال التى أسندت إليه بعد ستة أشهر فقط من قيام الثورة ، إلى أن تولى بعد ذلك مسئولية أول دار صحفية أنشأتها الثورة وهى « دار التحرير للطبع والنشر». التى أصدرت أول جريـدة يومية للثورة وهى جريدة الجمهورية وقد صدر العدد الأول منها يوم ١٧ ديسمبر عام ١٩٥٣ . . وصدرت عنها كذلك مجلة التحرير . . فى أول يناير عام ١٩٥٤ وهى التى كانت تصدر قبل ذلك شهريـاً ولفترة محـدودة . . توقفت بعدهـا ، إلى أن أعيد إصدارها مرة أخرى عن دار التحرير وأصبحت مجلة اسبوعية

منتظمة الصدور يتولى أنـور السادات مسئوليتها إلى جـانب جريـدة الجمهوريــة[٣٥] .

وبعمل أنور السادات فى صحافة الثورة . تبدأ مرحلة جديدة فى حياته كصحفى . . ذلك لأن مسئوليته فى هذه المرحلة لم تعد تقتصر على مجرد مقال يكتبه أو رأى يعبر عنه ، بل أصبحت مسئولية كاملة فى إصدار جريدة يومية ومجلة أسبوعية . بكل ما يتطلب ذلك من اختيار للعاملين وتحديد للهدف ووضع الخطوط ومتابعة التنفيذ .

وحتى بعد أن انخرط السادات كلية فى العمل السياسى فى أواخر عام ١٩٧١ . حين تم اختياره رئيساً لمصر . . خلفاً للرئيس الراحل عبد الناصر . . لم ينقطع أبداً عن العمل الصحفى سواء من حيث الإشراف أو الكتابة . . وقد تجلى ذلك بوضوح فى الفترة التى أعقبت انتصارات أكتوبر عام ١٩٧٣ وما بعدها . . حيث فكر السادات فى إصدار صحف جديدة تعبر عن مرحلة ما بعد الحرب والانتصار . . فكلف أولاً الكاتب الصحفى أنيس منصور لإصدار مجلة أسبوعية اختار لها السادات اسم «مجلة أكتوبر » ما زالت تصدر حتى يومنا هذا . . ثم كلف الكاتب الصحفى إبراهيم سعدة لاصدار صحيفة أسبوعية وأيضاً اختار السادات لها اسم « جريدة مايو » .

---

(٣٥) السادات وثورة ٢٣ يوليو ــ د . كرم شلبى (ص ٤٥) .

ولم يتوقف الأمر عند اختياره لعناوين المجلة أو الصحيفة الجديدة . . بل كان يشارك فى وضع التصور العام للماكيت واختيار الأبواب الثابتة وعناوينها . . بل كان كثيراً ما يشارك فى كتابة مقال الصفحة الأخيرة . . خاصة فى جريدة مايو التى ما زالت هى الأخرى تصدر حتى يومنا هذا .

هذا على مستوى الصحف الجديدة ومشاركته فى إنشائها . . أما فيما يخص الصحف التى كانت وما زالت قائمة . . فكان السادات يشارك فى اختيار رؤساء التحرير ورؤساء مجلس الإدارة . . ويرجع إليه الفضل فى تقنين العمل الصحفى وإلحاقه بأحد المجالس النيابية ألا وهو «مجلس الشورى» و « المجلس الأعلى للصحافة » . . وهما هيئتان حكوميتان تابعتان للحزب الوطنى ، يشرفان مالياً وإدارياً على إصدار الصحف بطريقة غير مباشرة . . ويشاركان فى تعيين رؤساء التحرير الجدد . . وهو تقليد أرساه السادات . . ولا يزال قائماً حتى الآن . .

وبخلاف ذلك . . هناك العديد من القضايا الصحفية التى فجرها السادات أيام حكمه وكان أكثرها إثارة . . رغبته فى إلغاء نقابة الصحفيين . . وتحويلها إلى نادٍ للصحافة أسوة بما هو قائم الآن فى الولايات المتحدة الأمريكية .

وبشكل عام . . فقد برع السادات داخل بلاط صاحبة الجلالة . . سواء وهو خارج الحكم أو بداخله . . ولما كنا نتحدث عنه وعلى وجه

الخصوص فى الفترة التى سبقت توليه مسئولية حكم مصر . . فإنه بات يقيناً أن نلقى بعض الأضواء على سمات كتاباته الصحفية بأنواعها . . وربما نحاول عمل حصر لعدد الأعمال الصحفية التى نشرها . .

ولعل أبرز ظاهرة تلفت نظر الباحث فى كتابات السادات الصحفية هى أن هذه الكتابات شملت أنواعاً وأشكالاً عديدة من فنون التحرير الصحفى . . فإلى جانب « العمود والمقالات الافتتاحية » ، كتب أنور السادات التحقيق الصحفى ومختلف أنواع المقالات . ونجد نماذج عديدة لكل من هذه الأنواع والأشكال لفن التحرير الصحفى فى كتاباته(٣٦) .

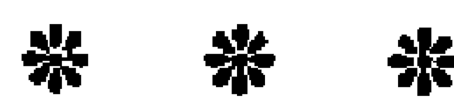
والشى الغريب أن السادات لم يبتعد كثيراً عن الحياة السياسية حتى وهو داخل بلاط صاحبة الجلالة ، خاصة فى الفترة التى حمل فيها عبء إصدار صحيفة يومية بعد ثورة يوليو . . فقد كان الأساس الذى انطلق منه فى عمله الصحفى الجديد حين تولى رئاسة جريدة الجمهورية والإشراف على صحف دار التحرير . . هو أن تكون هذه الصحف تعبيراً عن الثورة التى شارك فى أحداثها . . وكان من بين ضباطها فى مجلس قيادة الثورة . ليس هذا فقط بل كان يحرص على أن تدعو هذه

---

(٣٦) السادة وثورة ٢٣ يوليو ـ المصدر السابق . (ص ٢٧) .

الصحف للأهداف التى يؤمن بها وأن تلتزم فيها تنشره بتوخى الحقائق فتنشر «الحقائق لا الأوهام»وتقول للناس كل صباح حقيقة جديدة (٣٧).

وإذا ما حاولنا عمل إحصاء سريع لعدد الأعمال الصحفية التى نشرها السادات أثناء عمله الصحفى داخل بلاط صاحبة الجلالة . قطعاً سوف نجد صعوبة فى ذلك . . ليس للسادات وحده . . بل لكل من هيكل وموسى صبرى . . ولكننا بشكل عام نقول بالنسبة للسادات فقد نشر مذكراته التى كتبها فى السجن فى مجلة المصور بدءاً من ٣٠ يوليو ١٩٤٨ وحتى ١٣ أغسطس عام ١٩٤٨ . ثم انقطع بعد هذه الفترة عن الكتابة الصحفية حتى عام ١٩٥٤ ، حين بدأ من جديد نشاطه الصحفى فى ٥ يناير ١٩٥٤ بكتابة المقالات . . وكان أول مقال فى هذه السلسلة الطويلة التى استمرت لأكثر من أربع سنوات مقال بعنوان «درس من وراء القضبان » . وقد بلغ عدد الأعمال الصحفية المتنوعة التى كتبها السادات حوالى ٦٥٠ عملاً صحفياً متنوعاً ما بين مقال وقصة ومذكرات ومقالات . . وكذلك عرض لبعض الكتب . غير ما كتبه فى جريدة مايو بعد إصدارها فى عام ١٩٧٨ . .



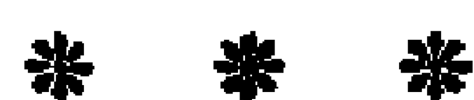
وفيما يتعلق بالنشاط السياسى للسادات . . فقد سبق وتناولناه فى

---

(٣٧) من مقال للسادات نشره فى الجمهورية بتاريخ ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ تحت عنوان «هذه الدار» .

فصل بأكمله بعنوان « من القرية إلى القصر » . . ومجمل القول قبل أن نفترق . . لنبدأ رحلة جديدة مع فارس آخر من فرسان هذه الأوراق . . أن السادات دخل فى دائرة أصحاب السلطان . . ابتداء من عام ١٩٧٢ . . حين تم تنصيبه رسمياً رئيساً لمصر . . بعد إجراء الانتخابات الشعبية . . وظل يتمتع بصفة ولى الأمر ورب العائلة المصرية لمدة وصلت لأكثر من ثمان سنوات وبالضبط حتى حادث اغتياله فى ٦ أكتوبر عام ١٩٨١ وما تلاه من أحداث انتهت بانتخاب نائبه حسنى مبارك رئيساً لمصر خلفاً له .

وكلنا يعرف بطبيعة الحال أن هناك علاقة وثيقة جداً بين تأليف الكتب وبين العمل داخل بلاط صاحبة الجلالة ، لذلك نجد أن السادات تمكن من إشباع غريزته الأدبية والثقافية حين وضع ثلاثة كتب كان آخرها كتابه « البحث عن الذات » .



وحين يأتى الدور بالحديث عن هيكل لا بد لنا من التوقف ولو للحظات قبل الانطلاق مع أحداث عالمه الخاص داخل الصحافة والسياسة . . من أجل بيان نقطة هامة تتعلق بهذا الحديث . . ألا وهى أننا قد تناولنا من قبل حياة هيكل داخل بلاط صاحبة الجلالة من حيث بدأ إلى أن انتهى . . لذلك سنقصر وقفتنا مع هيكل هذه المرة داخل عمله الصحفى على بيان ما تم إغفاله آنفاً ثم ذكر بعض الذى مضى على سبيل ربط الأحداث صحفياً وسياسياً .

وبشكل مجمل . . لقد بدأ هيكل العمل الصحفى محرراً بجريدة «الأجيبشيان جازيت» فى فبراير عام ١٩٤٢ . . ومن قبل هذا التاريخ بقليل التحق للعمل بروز اليوسف موظفاً فى مكتب صاحبة الدار السيدة « فاطمة اليوسف » .

ويبدو أن اقترابه فى هذه الفترة المبكرة من بلاط صاحبة الجلالة . . قد دفعه دفعاً من أجل أن يكمل دراسته العالية فالتحق بالجامعة الأمريكية . . وتمكن خلال عامين من إتقان اللغة الإنجليزية التى مكنته بدورها من العمل بجريدة تصدر باللغة الانجليزية وهى «الإجيبشيان جازيت» عام ١٩٤٢ . . ثم التحق بدار أخبار اليوم فى مايو عام ١٩٤٦ . . وقد عمل مراسلاً حربياً أثناء حرب فلسطين فلمع اسمه فى سلسلة المقالات والتحقيقات التى كتبها أثناء الحرب . . وقد عين رئيساً لتحرير مجلة آخر ساعة فى يونيو عام ١٩٥٢ ثم رئيساً لتحرير جريدة الأخبار اليومية مع غيره من رؤساء التحرير فى أبريل عام ١٩٥٦[٣٨].

ثم تولى هيكل رئاسة تحرير جريدة الأهرام اعتباراً من العدد (٢٥٨٠٢) للسنة الثالثة والثمانين من عمرها والصادر فى أول أغسطس عام ١٩٥٧ ـ فحل اسمه كرئيس تحرير محل اسمى رئيسى التحرير السابقين « أحمد الصاوى محمد وعزيز مرزا » . وقد عين هيكل رئيساً لمجلس إدارة مؤسسة الأهرام فى ٨ أغسطس عام ١٩٦١ ثم عين رئيساً

---

(٣٨) هيكل والأخلاق الصحفية ـ المصدر السابق (ص ١٧) .

لمجلس إدارة « مؤسسة الصحافة العربية » التى ضمت صحف الأهرام وأخبار اليوم ودار المعارف فى ١٧ أكتوبر عام ١٩٦٥ .

وقد عمل هيكل داخل بلاط صاحبة الجلالة محرراً للحوادث ثم كاتباً للتحقيقات الصحفية . . وأول سلسلة من هذه التحقيقات كتبها فى أخبار اليوم كانت عن « الخُط وعصابته المشهورة فى الصعيد » ثم عن وباء الكوليرا ثم عن حرب فلسطين . ثم الحرب الأهلية فى شمال اليونان ثم كوريا والصين والهند وإيران وتأميم البترول هناك .

أما أول مقال كتبه هيكل فى جريدة الأهرام فكان بعنوان « بصراحة » تحت عنوان «السر الحقيقى فى مشكلة عمان» بتاريخ ١٩٥٧/٨/١٠ . . وذلك بعد عدة أيام من توليه رئاسة تحرير الجريدة .

أما آخر مقال كتبه ضمن سلسلة مقالات تحت عنوان « بصراحة » كان مقال « الظلال والبريق » الذى نشر بتاريخ ١٩٧٤/٢/١ . . وبشكل عام فقد بلغ عدد المقالات والتحقيقات الصحفية التى كتبها هيكل فى جريدة الأهرام ٧٣٤ مقالاً وتحقيقاً صحفياً . . هذا بالإضافة إلى ستة وعشرين محضراً رسمياً لجلسات محادثات الوحدة الثلاثية بين مصر والعراق وسوريا .

ولقد حاولنا خلال هذه الإطلالة السريعة أن نعطى صورة عن نشاط هيكل داخل بلاط صاحبة الجلالة فيما يخص أعماله الصحفية المتنوعة . . ولعلنا لكى نكمل الصورة قبل الانتقال إلى الشق الثانى فى الحديث عن

هيكل داخل الحياة السياسية المصرية والعربية والأجنبية . . علينا أن نتحدث أيضاً وبشكل مبسط عن مؤلفاته مثلما فعلنا مع السادات من قبل.

لقد ألف هيكل أكثر من عشرين كتاباً سياسياً من أبرزها « إيران فوق بركان » . . « العقد النفسية التى تحكم الشرق الأوسط » . . « أزمة المثقفين» . . « ماذا يجرى فى سوريا » . . « عبد الناصر والعالم » . . «النار فوق الأرض المقدسة» . . « ماذا تريد أمريكا ؟ » . . « لمصر . . لا لعبد الناصر » . . « الطريق إلى رمضان » . . « خريف الغضب » . . «ملفات السويس » . . « أحاديث الصحافة بين الصحافة والسياسة » . . « مدافع آيات الله » . . « تحقيق أمام المدعى الاشتراكى » . . «الناس والحرب » ثم « آفاق الثمانينات » . . ثم « حرب الخليج ـ أوهام القوة والنصر » . .

أما فيما يتعلق بالحديث عن هيكل والحياة السياسية . . فقد عين رسمياً فى منصب وزير الإرشاد القومى فى ٢٦ ابريل عام ١٩٧٠ . . وظل بهذا المنصب حتى قدم استقالته بعد وفاة عبد الناصر فى ١٨ أكتوبر عام ١٩٧٠ كى يتفرغ على حد قوله لرئاسة مجلس إدارة مؤسسة الأهرام ورئاسة تحرير جريدة الأهرام . . ثم عين بعد ذلك مستشاراً صحفيا لرئيس الجمهورية فى ٢ فبراير عام ١٩٧٤ . . ولم يستمر فى هذا المنصب السياسى والإعلامى طويلاً حيث بدأت الخلافات تدب بقوة بينه وبين الرئيس السادات .

والسؤال الذى نطرحه هنا بهذه المناسبة . . هل تعيين هيكل فى هذه المناصب السياسية . . كان بداية دخوله الحقيقى لميدان العمل السياسى . . أم كانت هناك بدايات أخرى ؟

الواقع أن هيكل قد ارتبط بالحياة السياسية المصرية منذ توليه رئاسة مجلة آخر ساعة ثم انخراطه فيما بعد فى رئاسة تحرير « الأخبار والأهرام » وإن بدا ذلك على الساحة السياسية فى صورة غير مباشرة . . خاصة فى الفترة التى سبقت أحداث ثورة ٢٣ يوليو وارتباطه الوثيق برجلها الأول جمال عبد الناصر . . وقد عبر هيكل عن هذه البداية بقلمه حيث ذكر لنا فى الصفحة الواحدة والأربعين من كتابه « بين الصحافة والسياسة » . . « . . وحين استقر بى المقام فى القاهرة بعد خمس سنوات من التجوال ، اكتشفت أن أبواب السياسة المصرية تفتحت أمامى على مصراعيها » . وهو يدلل لنا على ذلك بقوله فى موضوع آخر من نفس الكتاب « وأتذكر على سبيل المثال أنى حين عدت من فلسطين لأول مرة بعد أن كتبت سلسلة تحقيقات بعنوان (النار فوق الأرض المقدسة) تلقيت دعوة من رئيس الوزراء فى ذلك الوقت محمود فهمى النقراشى (باشا) يطلبنى إلى مكتبه ليسألنى عما رأيت ويدقق فى سؤاله ، ولم تكن مصر قد قررت دخول الحرب » .

وتلخص لنا كتابات هيكل مكانته السياسية قبل الثورة . . ودوره المحدود آنذاك الذى اقتصر فى الغالب على استغلال صداقاته

لهؤلاء الساسة المصريين كمصادر حيوية لعمله الصحفى .

أما دوره السياسى المشارك فى المسئولية فقد اتضح أكثر من ذى قبل منذ ارتباطه بجمال عبد الناصر الذى لعبت الصدفة دورها الكبير فى التعرف عليه . . والارتباط به إلى حد الظل ، بل إلى حد التأثير الفعلى فى مجريات الأمور السياسية التى كان ينطق بها عبد الناصر ، والتى كان يخطط لها هيكل . . حتى باتت كل مقالاته السياسية هى المصدر شبه الرسمى التى يتلقفها القراء للوقوف على بواطن الأمور فيما يتعلق بالسياسة الناصرية . رغم ترديده المستمر بأنه لم يكن يعبر عن رأى القيادة السياسية . . أيام عبد الناصر !! .

لقد كانت العلاقة بين الاثنين رغم هذا التكذيب من جانب هيكل . . علاقة قوية ومتينة إلى أقصى الحدود . . تلك التى وصفها هيكل بنفسه فى كتابه « عبد الناصر والعالم » الذى ألفه عام ١٩٧٢ ـ بأنها «علاقة حظ وشرف» . .

إن هيكل على حد تعبير الكاتب الكبير أنيس منصور لم يكن بالنسبة لعبد الناصر الصدى والظل . . لقد كان الصوت والضوء معاً ، فقد كان حريصاً على أن يؤكد للقارىء أن المعنى لعبد الناصر والشكل له ، وكان كثيراً « أى هيكل » ما يسرف فى الشكل تأكيداً لذاته ، وفى كثير من الأحيان عندما كان ينقل لنا رأياً لعبد الناصر يقول : « . . وسمعته يقول بالحرف الواحد . . مع أنه ليس فى حاجة إلى أن يقول ذلك . . ولكن

هذه العبارات فى الوقت الذى يؤكد لنا أنه قريب وأنه استطاع أن يرى ويسمع الألفاظ من مخارجها فإنه فى نفس الوقت يريد أن يوهمنا أن الذى يكتبه عادة شىء مختلف مع أنه فى نفس الحالتين يقول نفس المعنى وبأسلوبه هو ، إنه بذلك يدفع عن نفسه صفة أنه ينقل ما يريده عبد الناصر وهو المعنى الذى استقر عند القراء منذ بدأت علاقته به [٣٩] .

لقد كان هيكل قبل وفاة عبد الناصر اللسان الرسمى المتحدث باسم الدولة ، العالم والعليم ببواطن الأمور ، بل المشارك فى رسم سياسة الحاضر والمستقبل على مائدة السياسة العليا . كما كانت الجماهير تقبل على سطوره وما بين سطوره لتعرف أخبار الدولة واتجاهاتها والمقبل من خطواتها . ليس هذا فقط . . بل إن السفارات المصرية فى الخارج كانت تنتظر سطور مقالات هيكل كى تستوحى منها الصورة الرسمية للموقف السياسى .

والحديث عن علاقة هيكل السياسية والصحفية بعبد الناصر . . تطول وتطول إلى درجة أن هذه الأوراق ربما لا تتسع لهذا الحديث . . ولكننا نحاول قدر الإمكان أن نضع أيدينا على أبرز الأنشطة السياسية التى مارسها هيكل فى ظل عبد الناصر أو العكس . .

هذه الأنشطة التى بدأت مع الساعات الأولى لأحداث الثورة والتى

(٣٩) محمد حسنين هيكل ـ صداقة الحظ مع الشرف ـ أنيس منصور ـ مقال بآخر ساعة نشر فى ١٩٧٢/٥/٣ .

تجلت فى تلك الوساطة التى كان يقوم بها هيكل بين « الهلالى باشا » رئيس وزراء مصر وبين الضباط الأحرار الذين نفذوا حركة الجيش . تحت إشراف عبد الناصر باعتباره رئيس تنظيم الضباط الأحرار . . وبعد اللقاء الرسمى الأول بينهما فى فبراير عام ١٩٥٣ والذى أسفر عن نجاح هيكل فى اقناع عبد الناصر بإعداد كتابه عن فلسفة الثورة . . ثم بعد نجاح عبد الناصر نفسه فى الفوز بأعلى المناصب السياسية . . اقترب هيكل أكثر وأكثر من الأخير . . الأمر الذى مكنه من أن يكون شاهداً حياً على تاريخ لقاءات عبد الناصر بكل الشخصيات السياسية داخلياً وخارجياً بل أكثر من ذلك . . أن أول تكليف رسمى لهيكل فى مجال الحياة السياسية . . كان من عبد الناصر عام ١٩٥٥ حين قرر اختياره مستشاراً سياسياً له أثناء انعقاد مؤتمر باندونج فى أندونيسيا . . كما كان من بين المستشارين الذين أفضى لهم عبد الناصر باعتزامه تأميم قناة السويس عام ١٩٥٦ .

وخير تعبير لدينا عن مجمل الأنشطة السياسية التى مارسها هيكل من موقع الظل . . ذلك التعبير الذى قاله السادات لموسى صبرى : « . . كان هيكل أخطر مركز قوة فى عهد عبد الناصر . . لأنه كان يتولى الدعاية للنظام . . كان المخرج الفنى . . لذا أشركه عبد الناصر فى كل تفصيلات الأمور لدرجة أن هيكل اقتنع فعلاً أنه شريك فى الحكم » .

وقد حاول هيكل أن يستمر متألقاً فى عالم السياسة حتى بعد رحيل رفيقه جمال عبد الناصر . . فلم يكتف بالمنصب السياسى الذى تم تعيينه فيه سواء كوزير للارشاد القومى أو كمستشار لرئيس الجمهورية . . بل أراد أن يكون هو مهندس السياسة المصرية حتى أيام السادات . . وهذا المعنى يوضحه لنا الكاتب الإذاعى ضياء الدين بيبرس الذى قال : « بينما كان هيكل فى حياة عبد الناصر يؤكد أنه لا يعبر عن رأى القيادة السياسية ، فيهز الناس رؤوسهم باسمين ويزيدون يقيناً بأنه صوت سيده . فإنه فى عهد السادات بدأ فيما نشر عن قصد أو غير قصد حريصاً على إعطاء الانطباع بأنه يعبر عن النظام . . كان يوضح دائماً أن السادات اتصل به ليستشيره أو أن الرئيس قد أرسل إليه كريمته ذات صباح تدق بابه لتستدعيه إلى بيته فى غفلة من رقابة التليفونات أو كيف طلب منه السادات أن يذهب سراً إلى أمريكا ليتفاوض مع كيسنجر[٤٠].

وفى وسط مشاغل هيكل السياسية التى شهدت أعنف أيامها كما سبق وذكرنا أيام عبد الناصر . . لم ينس أبداً مهنته الصحفية حتى وهو يخطط مع صديقه لتأميمها . . وتحويلها إلى أبواق تنعق باسم عبد الناصر ليلاً ونهاراً . .

ولسوف نترك هيكل نفسه يعبر لنا عن ذلك حيث قال بالحرف

---

(٤٠) هوامش على قصة محمد حسنين هيكل ـ ضياء الدين بيبرس .

الواحد : «انقضت سنوات ١٩٥٧ ، ١٩٥٨ ، ١٩٥٩ ، وبدأ عام ١٩٦٠ . . لم يكن هناك شيء إلا إشارات جمال عبد الناصر بين حين وآخر عن أوضاع الصحافة المصرية . . منذ أول يوم فى الثورة لم يكن راضياً عن الظروف المحيطة بملكية الصحافة فى مصر . كان يعتقد أن «آل زيدان» أصحاب دار الهلال و « آل تقلا » أصحاب الأهرام و « آل نمر » أصحاب المقطم قد أدوا دورهم فى مرحلة معينة من تاريخ مصر . لكن مصر الآن أمام مرحلة جديدة لا يستطيعون مسايراتها . وكانت له تجربة مزعجة مع « آل أبو الفتح » أصحاب المصرى كما أن علامة استفهام ظلت أمامه طوال الوقت على « آل أمين » وكانت بينهما مناقشات طويلة امتدت من ١٩٥٢ إلى ١٩٦٠حول ملكية الصحافة فى مصر ، لم يكن راضياً عن الملكية الفردية أو العائلية للصحف » [٤١] . وبقية قصص تأميم الصحافة المصرية معروفة لنا جميعاً ، ودور هيكل فيها أيضاً معروف وواضح لأصحاب المهنة أو غيرهم من المتابعين للأحداث وقتذاك .

ولعل آخر الأنشطة السياسية التى مارسها هيكل طويلاً . . بخلاف المناصب السابق ذكرها . . هو تأييده لترشيح السادات رئيساً لمصر . . خلفاً لعبد الناصر هذا التأييد الذى ترك أكثر من علامة استفهام فى وقته . . وتبارت الأقلام والألسنة فى تعليله جعل هيكل يشارك مع السادات

---

(٤١) بين الصحافة والسياسة ـ حسنين هيكل ـ (ص ٧٥) ـ مصدر سابق .

فى هذه الفترة فى اختيار أول رئيس وزراء لمصر بعد فترة حكم عبد الناصر . . وهو الدكتور « محمود فوزى » . . بل أكثر من ذلك هو الذى أقنع الدكتور فوزى من أجل قبول هذا المنصب . . فذهب إليه فى بيته الذى كان يقيم فيه قرب مدينة البدرشين من أجل هذا الغرض .

* * *

والآن جاء الدور على موسى صبرى كى نكشف النقاب عن موقعه داخل بلاط صاحبة الجلالة وكذلك داخل الحياة السياسية المصرية . . ومن الأمور التى لزم التنويه عنها . . أننا سوف نتبع نفس الأسلوب الذى اتبعناه منذ لحظات حين تحدثنا عن هيكل داخل هذين المجالين . . وبالطبع سيكون لحديث السياسة الأفضلية باعتبار أننا قد تناولنا حديث الصحافة فى حياة موسى صبرى من قبل . . ولكن نظراً لحاجتنا الماسة فى ربط الأحداث السياسية والصحفية فى حياة هذا الفارس . . فقد رأينا أن نشير وبسرعة إلى حياة موسى صبرى الصحفية . . ثم نعقبها بحديث السياسة . . وربما لن تستغرق هذه الإطلالة سوى سطور معدودة .

إن صلة موسى صبرى بالصحافة ترجع إلى سنوات ما قبل الجامعة . . حيث كان هاوياً للكتابة الصحفية واصدار المجلات . . ففى سنوات الدراسة الثانوية أقنع بعض زملاء جمعية الشبان المسيحية بإصدار مجلة أسبوعية يكون هو نفسه رئيساً لتحريرها . . كما اشترك وهو فى الجامعة فى إصدار مجلة الحقوق التى كانت تصدر مرة واحدة خلال العام

الدراسى . . وحتى بعد تخرجه من الجامعة . وفى محاولة منه لتحقيق حلم والده فى أن يكون محامياً أو أن يسلك طريق القضاء . . دخل إلى بلاط صاحبة الجلالة شاكياً وزارة الحقانية التى رفضت تعيينه فى النيابة العامة لصغر سنه فى عام ١٩٤٣ ، فسعى للقاء بعض الصحفيين الكبار مثل مصطفى أمين وفكرى أباظـة من أجل حل هذه المشكلة .

وتقابل بالفعل مع الكاتب الصحفى مصطفى أمين الذى تجاوب مع مشكلته فكتب عنها مقالاً ، استجابت على إثره الحكومة لمشكلة موسى صبرى . . وصدر قرار بتعيينه فى النيابة العامة . . ولولا القبض عليه فى هذه الفترة لتغيرت حياته تماماً . . بل إن موسى صبرى قد قابل أيضاً الدكتور طه حسين لنفس الغرض .

ويبدو أن الحظ لم يتخل عنه حتى وهو وراء القضبان فى معتقل الزيتون . . حيث تقابل مع جلال الدين الحمامصى الذى أقنعه بمصاحبته داخل بلاط صاحبة الجلالة . . وقد كان . . إذ رضخ موسى صبرى لإرادة أستاذه جلال الحمامصى وظل ملازماً له داخل أروقة هذا البلاط حتى فرقهما الموت . . فقد كان المرحوم الكاتب الكبير جلال الدين الحمامصى كاتباً متفرغاً فى دار أخبار اليوم حتى يوم رحيله . . فى الوقت الذى كان فيه موسى صبرى رئيساً لتحرير جريدة الأخبار . .

وعلى مدى أكثر من ٥٠ عاماً . . ركب موسى صبرى قطار الصحافة. . هذا القطار الذى تحرك من أولى محطاته عام ١٩٤٣ وظل

يسير بسرعة الصاروخ حتى وصل إلى نهاية المحطات وتوقف إلى الأبد فى عام ١٩٩٢ .

وموسى صبرى قد ذكر لنا بقلمه فضل أستاذه جلال الحمامصى عليه داخل هذا البلاط المرمرى حيث قال بالحرف الواحد : « . . وداخل معتقل الزيتون فى عام ١٩٤٣ نبتت بذرة اشتغالى بالصحافة . . وكان جلال الدين الحمامصى هو الذى أنبت هذه البذرة » .

ولعلنا نريد أن نعرف كيف كانت البداية حتى تكتمل فى أذهاننا الصورة لملامح كفاح موسى صبرى داخل عالم الصحافة .

والبداية كانت بعد خروجه من المعتقل وبعد اقتناعه بفكرة جلال الحمامصى أن يدخل إلى الصحافة بدلاً من الحقوق . .

لذلك حينما علم موسى صبرى بأن حزب الكتلة الذى كان يرأسه مكرم عبيد قد قرر إصدار صحيفة يومية باسم « الكتلة » . . يشرف عليها أستاذه جلال الحمامصى . . توجه إلى مكتبه من أجل أن يعمل تحت رعايته فى هذه الجريدة ، فاعتذر له بحجة أن الجريدة جديدة وتحتاج إلى صحفيين محترفين وليسوا هواة . .

ولم ييأس موسى صبرى فتوجه للعمل فى جريدة « بلادى » التى أصدرها الحزب السعدى . . وبالفعل نجح فى أن يجد له مكاناً فى هذه الجريدة . . ويرجع الفضل فى ذلك إلى أستاذه وصديقه الدكتور فؤاد

حسنين الذى عرفه بالكاتب الصحفى عبد العليم سمهان مدير تحرير جريدة « بلادى » . وفى هذه الجريدة تمكن موسى من العمل داخل مجلس النواب مندوباً صحفياً وبرلمانياً . ولم ينس موسى صبرى أبداً أن يكون بجوار أستاذه جلال الحمامصى . . لذلك حينما عرف بأنه قد أصدر صحيفة « أخبار الأسبوع » فى عام ١٩٤٤ ذهب إليه عارضاً المشاركة فى العمل معه فى الصحيفة الجديدة . وكانت فرحة موسى صبرى كبيرة حين وافق الحمامصى على أن يعمل معه بمرتب ١٦ جنيهاً فى الشهر ، فاستقال من « بلادى » . . وعمل بالجريدة الجديدة حتى عام ١٩٤٧ . . وحين أغلقت الصحيفة أبوابها انتقل موسى صبرى مع استاذه جلال الحمامصى للمرة الثانية للعمل فى جريدة « الأساس » . . وهى جريدة يومية كانت تصدر عن الحزب السعدى الحاكم . . وقد تولى موسى تحرير الصفحة الأدبية . ومن جريدة « الأساس » انتقل إلى جريدة جديدة هى « الزمان المسائية» التى أصدرها « إدجار جلاد باشا » فى ذلك الوقت . وفى عام ١٩٤٩ استقال موسى صبرى مع جلال الحمامصى من جريدة الزمان وكان ينوى الالتحاق بالعمل صحفياً فى جريدة الأهرام . . ولكنه فضل الارتباط للمرة الأخيرة بأستاذه الحمامصى . . فانتقل معه للعمل فى دار أخبار اليوم فى أول يناير عام ١٩٥٠ . وقد ظل موسى صبرى يعمل بدار أخبار اليوم بنجاح منقطع النظير . . حيث تم تعيينه نائباً لرئيس التحرير . ثم رئيساً لتحرير مجلة « الجيل » التى كانت تصدر عن ذات الدار . . وتم له ذلك فى مارس عام ١٩٥٤

حيث تم وضع اسمه على المجلة فى هذا التوقيت بجانب عمله فى جريدة الأخبار كنائب لرئيس التحرير .

وقد استمر موسى صبرى على ذلك الحال لمدة خمس سنوات وبالضبط من مارس ١٩٥٤ وحتى آخر ديسمبر عام ١٩٥٩ حين استقال من دار أخبار اليوم وانتقل إلى العمل بجريدة الجمهورية رئيساً للتحرير عام ١٩٦٠ . . على إثر أزمة نشبت بينه وبين مصطفى أمين بسبب تعيين أحمد بهاء الدين ضمن رؤساء تحرير الأخبار .

ولقد اختار موسى صبرى فى هذه الآونة أن يعمل مع الضابط صلاح سالم الذى تولى رئاسة مجلس إدارة دار التحرير . وقد استمر رئيساً لتحرير جريدة الجمهورية حتى عام ١٩٦٨ . . إذ عاد من جديد إلى جريدة الأخبار رئيساً للتحرير . . ولكنه لم يستمر فى منصبه هذا طويلاً حيث تم نقله من جديد إلى جريدة الجمهورية رئيساً للتحرير بدون عمل .

وكان السبب فى ذلك سلسلة المقالات التى كتبها عن قصة الذهب التى اتهم فيها المشير عامر والتى تفجرت أثناء محاكمة الضباط المسئولين عن هزيمة عام ١٩٦٧ .

ولمدة عامين ظل خلالهما موسى صبرى صحفياً بلا عمل داخل دار التحرير . . ولولا أن ساعده الحظ من جديد وتولى صديقه أنور السادات

الاشراف على صحف أخبار اليوم مع أوائل عام ١٩٧٠ لما عاد موسى من جديد إلى دار أخبار اليوم . . فقد نجح أنور السادات فى إقناع جمال عبد الناصر بضرورة عودة موسى صبرى إلى بيته الأول الأخبار . وقد كان . . فجاء الأخير إلى جريدة الأخبار أوائل عام ١٩٧٠ ، واستمر بها هذه المرة حتى وفاته فى عام ١٩٩٢ . .

وقد حالفه الحظ للمرة الثالثة فجاء صديقه السادات رئيساً لمصر بعد وفاة عبد الناصر . الأمر الذى ثبت وجود موسى صبرى داخل أخبار اليوم . . فعين بجانب عمله رئيساً للتحرير رئيساً لمجلس إدارة المؤسسة .

وما نحب أن نؤكده بالنسبة لموسى صبرى خلال مشواره الطويل داخل بلاط صاحبة الجلالة أنه كثيراً ما التقى بغريمه الأول هيكل ، وكثيراً ما وقف الأخير فى طريقه عقبة أخرته كثيراً . . فلم يلحق بقطار الحياة السياسية بنفس القدر والقوة التى وصل إليها هيكل داخل نفس الحياة . وفى المقابل كان السادات على عكس هيكل خير سند لموسى صبرى داخل بلاط صاحبة الجلالة وداخل الحياة السياسية أيضاً .

وكما كان لنا وقفة مع مؤلفات كل من السادات وهيكل داخل بلاط صاحبة الجلالة نقول إنه بالنسبة لموسى صبرى . . فقد بلغ إنتاجه الصحفى ما بين تحقيق صحفى وخبر وحوار ومقال سياسى . . ما يقرب من ألف موضوع ومقال . أما السمة الرئيسية لهذا الإنتاج الغزير فكانت المقال السياسى الملتهب الذى برع فى كتابته خاصة فى الفترة التى تولى فيها السادات حكم مصر . . ونستطيع أن نقول إن ٩٠٪ من هذه

المقالات كانت من أجل الترويج لحكم السادات ولمبادئه ، وعلى وجه الخصوص فى الفترة التى أعقبت ما سمى فى حينه بثورة التصحيح . .

أما إنتاجه الأدبى والسياسى فى مجال تأليف الكتب فقد بلغ أيضاً ثلاثة عشر كتاباً ما بين كتب تاريخية ورحلات صحفية . . بالإضافة إلى كتبه فى الرومانسيات والتى بلغت ثمانية كتب فى مجال الرواية وسبعة فى الحب والعشق .

ولا يتبقى لنا خلال هذه الرحلة سوى الحديث عن عالم موسى صبرى السياسى . . كيف بدأ ؟ وكيف انتهى ؟ مع التأكيد على حقيقة هامة . . وهى أن موسى صبرى لم يعين فى منصب سياسى . . رغم أنه كان قد تردد أن السادات عرض عليه أحد المناصب الوزارية لكنه رفض .

وبخلاف ذلك فقد ظل موسى صبرى مرتبطاً بالسادات ارتباطاً شخصياً وصحفياً وسياسياً . . وتجلى ذلك فى اختياره لكتابة خطبه السياسية والقومية . . بجانب صلته القوية بالسيدة جيهان السادات التى اختارته هى الأخرى لكتابة بعض خطبها العامة . للدرجة التى جعلتنا داخل بلاط صاحبة الجلالة نفهم الخطوط العريضة لسياسة السادات من خلال كلمات مقال موسى صبرى . . ولكنه والحق يقال لم يصل إلى ما وصل إليه هيكل فى هذه الخصوصية ولا فيما وصل إليه أيام عبد الناصر .

لقد تحدثنا عن موسى صبرى داخل الملعب السياسى . . وهو على

وشك أن ينتهى بدوره وحياته . . فما بالنا لا نبدأ هذا الحديث . . كما بدأناه مع غيره ، كى نتلمس عالمه السياسى منذ سنوات حياته الأولى .

لقد انغمس موسى صبرى فى الحياة السياسية المصرية منذ دخوله الجامعة عام ١٩٣٩ حين قرر الاشتراك فى المظاهرات ، وحضور اجتماعات حزب الوفد ، لدرجة جعلته يدخل السجن معتقلاً سياسياً وهو لا يزال فى سنّ الثامنة عشرة من عمره . وقد تبلور عمله السياسى أكثر وتقدم خطوة إلى الأمام ، بل عدة خطوات حينما دخل بلاط صاحبة الجلالة . . والتحق بالعمل مندوباً برلمانياً فى جريدة « بلادى » فى عام ١٩٤٤ . .

وفى الفترة التى امتدت به من أوائل الأربعينات وحتى قيام ثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ كان شاباً حائراً مثل غيره من الشباب لا يعرف إلى أين وكيف الأمل ؟ . حيث كانت الحياة السياسية الحزبية قد انحدرت إلى أسفل ، والقصص عن النساء واستهتار الملك فى كل بيت والعائلات الكبيرة هى التى تحكم مصر . . والمجالس النيابية هى مجالس المصفقين والاتهامات بتزوير الانتخابات مستمرة والسفير البريطانى هو الحاكم بأمره[(٤٢)] .

وموسى صبرى طوال حياته الصحفية كان دائماً يسعى إلى لقاء رجال

(٤٢) ٥٠ عاماً فى قطار الصحافة ـ موسى صبرى ـ المصدر السابق .

السياسة والزعماء . . فقد عرف الدكتور محمد حسين هيكل رئيس حزب الأحرار الدستوريين . . وعرف مكرم عبيد باشا النجم المسيطر فى حزب الوفد قبل فؤاد سراج الدين . كما عرف على ماهر باشا الزعيم المستقل الذى أُبعد عن الحكم لسنوات طويلة وساءت علاقته بالملك . وإبراهيم عبد الهادى رئيس الحزب السعدى . . وهو الرجل الذى حكم عليه بالإعدام فى ثورة ١٩١٩ . . وكيف انتهى به العمل السياسى إلى أن أصبح رئيساً لديوان الملك .

وكان لقاء موسى صبرى دائماً بهؤلاء السياسيين فرصة طيبة قد مكنته من الاقتراب كثيراً من كواليس الحكم خاصة داخل أروقة مجلس الوزراء، إذ حضر تشكيل الوزارة قبل ٢٣ يوليو مرتين . . المرة الأولى كانت حضوره لتأليف وزارة على ماهر باشا فى ٢٦ يناير عام ١٩٥٢ . . والتى جرت فى عوامة بعد منتصف الليل . . وقد غامر موسى صبرى كثيراً من أجل الوصول إلى هذا المكان للدرجة التى جعلته يستخدم سيارة إسعاف للوصول إلى هناك .

أما المرة الثانية فكانت حين علم بتكليف حسين سرى باشا لتأليف الوزارة بعد استقالة الهلالى باشا . . لقد ظل موسى صبرى داخل منزل رئيس الوزراء لمدة ثلاثة أيام يراقب كل شىء بعد أن تمكن من دخول الفيلا من الباب الخلفى . . لقد كانت تجربة مثيرة فى حياته كما ذكرها لنا فى أوراقه الخاصة .

وعلى مدى ثلاثة أيام لم تؤلف الوزارة . . فقد كان حسين سرى يقيم فى فيلته والملك فاروق فى نادى السيارات على شاطىء الاسكندرية يلعب القمار . . وكان هناك وسيطان بين رئيس الوزراء وبين الملك من أجل اختيار الوزراء الجدد . وفى نهاية الأمر ترك موسى صبرى فيلا حسين باشا سرى فى الساعة الثانية بعد منتصف الليل وفى جيبه كشف بأسماء الوزراء الجدد .

ليس هذا فقط بل كان موسى صبرى بحكم علاقاته داخل الأوساط السياسية قريباً إلى حد كبير من الأحداث التى تجرى خلف الكواليس فيما يتعلق بحركة الجيش . . وهو ما سوف نتناوله بتفصيل أكثر فى الفصل القادم .

وبعد نجاح حركة ٢٣ يوليو وسيطرة رجال الجيش على الحكم فى مصر فيما سمى بعد ذلك بثورة يوليو وضباط تنظيم الأحرار . . حاول موسى صبرى الاستمرار داخل الحياة السياسية المصرية ، ليس كصحفى ممارس وقريب من مصدر الأحداث والأخبار السياسية ، بل كرجل سياسة نزل إلى الشارع من أجل خوض تجربة دخوله عضواً فى البرلمان . .

والحقيقة أن موسى صبرى لم يتمكن من إتمام هذه الخطوة إلا بعد مرور خمس سنوات على الثورة واستقرار الأمور لجمال عبد الناصر ولبعض رفاقه داخل سلطان الحكم فى مصر . .

لقد قرر موسى صبرى ترشيح نفسه عضواً فى مجلس الأمة نائباً عن

دائرة قصر النيل فى عام ١٩٥٧ . . ضد المرشح مجدى حسنين أحد نجوم الثورة فى ذلك الوقت . والشيء الغريب أن هذه الخطوة التى ظن موسى صبرى أنها سوف تقربه إلى عالم السياسة الذى ساد بعد ثورة ٢٣ يوليو . . قد أبعدته أكثر من ذى قبل ، ووضعته فى القائمة السوداء . كما تم النظر إليه عن أنه من خصوم الثورة .

ولم يكن الأمر سهلاً كما يتصوره أى إنسان إذ تسببت هذه الخصومة فى وقفه عن العمل وعزله من رئاسة تحرير الأخبار أكثر من مرة . . بل كانت الفرصة الكبيرة التى ينتظرها خصمه العنيد هيكل من أجل أن يقضى عليه داخل الحياة السياسية . فى الوقت الذى زحف فيه بقوة داخل هذه الحياة . . كما سبق ومر بنا منذ سطور قليلة . . وقبل أن نفترق نسوق بعض وقائع هذه القصة لما لها من دلالة كبيرة ونتائج هامة ظلت تطارد موسى صبرى حتى وفاة جمال عبد الناصر ؛ ولولا تولى صديقه ورفيق السجن أنور السادات السلطة لربما ظل موسى صبرى يعانى من هذه الخصومة حتى وفاته . . ولكن الله كان رفيقاً به ، فعجل بوفاة عبد الناصر ، وبالتالى قد ساهم فى سرعة سحب البساط من تحت أقدام خصمه العنيد محمد حسنين هيكل . .

لقد أعلن جمال عبد الناصر عن فتح باب انتخابات مجلس الأمة الجديد فى عام ١٩٥٧ . . وذكر أن هذه الانتخابات ستكون حرة ١٠٠٪ . . وكانت دعوة لكل المشتغلين بالعمل العام أن يتقدموا . . ومن

ثم قرر موسى صبرى أن يدخل المعركة الانتخابية ، واختار دائرة قصر النيل فى القاهرة ، وكانت تضم أحياء الزمالك وجاردن سيتى ومعروف والمنيرة . . وكان خصمه فى هذه المعركة الصاغ مجدى حسنين أحد الضباط الأحرار ورئيس مديرية التحرير التى قامت باستصلاح أرض الصحراء .

والغريب فى هذه القصة أن الكاتب الصحفى مصطفى أمين قد نصح موسى صبرى ألا يقدم على هذه الخطوة ولكنه أصر . . رغم علمه بموقف هيكل المعارض لهذه الخطوة . .

المهم بدأ موسى صبرى فى نشر إعلاناته الانتخابية فى مكان ثابت فى باب المجتمع فى جريدة الأخبار . . وكانت عبارة عن عدة أسطر قليلة لم تتجاوز الثلاثة أسطر . . كما تفنن بخلاف ذلك فى اختيار ألوان من الدعاية الانتخابية المثيرة : ومنها على سبيل المثال ـ اختياره لبعض طلبة الجامعة لتوزيع منشوراته على المنازل والمحلات التجارية . . كما استعان بفنان كبير مثل عبد الحليم حافظ من أجل أن يغنى له نشيداً انتخابياً .

وكانت دعوته الانتخابية قائمة على أنه سيكون النائب الوحيد الذى سوف يقول « لا » تحت قبة البرلمان . . مما شجع بعض الشخصيات العامة على إعلان تأييدها لموسى صبرى . . وقد أبلغ مجدى حسنين عبد الناصر بهذا النشاط الكبير الذى يقدم عليه منافسه للفوز فى

الانتخابات . . بل أبلغه أن موسى صبرى ينفق ببذخ . وأن السفارة الأمريكية هى التى تمول حملته الانتخابية .

واحتدت المعركة الانتخابية بين الاثنين . . ولكن موسى صبرى فوجىء قبل إجراء الانتخابات بأيام قليلة بقرار من جمال عبد الناصر يعلن فيه إقفال ٥٥ دائرة انتخابية على المرشحين فيها من الضباط الأحرار . أو بمعنى آخر عدم السماح بمنافس لهم فى هذه الدوائر .

وبذلك انتهت المعركة لصالح منافس موسى صبرى . . ونجح مجدى حسنين عضواً فى مجلس الأمة .

وكما سبق وذكرنا . . لقد أثرت هذه المعركة التى حسمت لغير صالح موسى صبرى على حياته الصحفية والسياسية . . حيث وضع فى القائمة السوداء التى تضم الممنوعين من السفر إلى الخارج . . وقد استمر اسمه بهذه القائمة ولم يرفع حتى بعد وفاة عبد الناصر .

ولولا هذه الوفاة المفاجئة لما تغير الحال كثيراً بالنسبة لموسى صبرى . . ولكن تغيير هذه الأوضاع جاءت فى صالحه إلى حد كبير . . ويكفى أن السادات قد قربه إليه وإلى كواليس الحكم طوال فترة حكمه التى انتهت فى أعقاب الاغتيال الشهير عام ١٩٨١ . .

بل أكثر من ذلك فقد ظل موسى صبرى فى نفس موقعه حتى بعد هذا التاريخ ، كما دخل البرلمان ضمن الأعضاء المعينين بقرار من رئيس الجمهورية . . وظل عضواً به حتى وفاته فى عام ١٩٩٢ .

الفصل الخامس

وأين كانوا ليلة الثورة ؟

ربما تكون كلمات السؤال الذى نستهل به حديث هذه الأوراق من البساطة وعدم الأهمية فى نظر البعض مما يجعلهم يصرفون النظر عن البحث الجدى عن إجابة شافية له .

وقد يكون عذرهم فى ذلك نظرتهم الضيقة للأمور . . وبالذات فيما يخص هيكل وموسى صبرى . . باعتبار أن الاثنين كانا خلال هذه الفترة التى سبقت أحداث ليلة ٢٣ يوليو من الصحفيين المصريين المشهورين داخل المجتمع بوجه عام ، وذلك بحكم موقعهما داخل بلاط صاحبة الجلالة . لذلك من المفروض أنهما قد عرفا الحدث فور وقوعه .

ولكننا ومن وجهة نظرنا وجدنا هناك نوعاً من المشاركة الفعالة والخطيرة لفرساننا الثلاثة فى الحدث نفسه . . وليس كما يعتقد البعض أنهم كانوا من المتفرجين أو من هؤلاء الذين يجلسون داخل المكاتب انتظاراً لوقوع مثل هذه الأحداث .

إن التاريخ يقول : إن كلا من السادات وموسى صبرى وهيكل كانوا على علم مسبق بحدوث حركة الجيش ليلة الثالث والعشرين من يوليو

.. وطبعاً مع اختلاف موقع كل منهم واقترابه أو ابتعاده عن ذات الحدث. ومع التسليم بعدم الحاجة إلى تفصيل دور كل منهم فى صنع هذا الحدث التاريخى أو المشاركة فيه ، لأن ذلك كان ولا يزال معروفاً للجميع . . إلا أننا سنكون مضطرين إلى ذلك خلال السطور القليلة القادمة وقبل أن نعيش سوياً أوراقاً بطولها وعرضها باحثين عن هؤلاء ليلة الثورة . . من أجل أن نذكّر الناس بدور كل منهم فى هذه الأحداث أولاً بأول . .

فالسادات أولاً وأخيراً كان ضابطاً فى الجيش المصرى . . وقد كرس حياته داخل العسكرية وخارجها من أجل تحقيق حلم حياته بالمشاركة فى ثورة عسكرية على الانجليز والملك . . وبصرف النظر عن التضحيات التى قدمها من أجل الوصول لهذه المشاركة . . فقد نجح بالفعل فى هذا العمل . . وكان مشاركاً أساسياً فى وقوعه رغم الاختلاف بين البعض فى ماهية هذا الدور وأهميته . . ويكفيه هنا هذا الاختيار الذى وقع عليه بالإجماع من أجل إذاعة بيان الثورة صباح ٢٣ يوليو . وما تلا ذلك من مواقع متقدمة شارك فيها من أجل تأكيد مفهوم الثورة داخليًّا وخارجيًّا . وقد تناول هذا الدور سواء بالسلب أو الإيجاب عشرات المؤرخين ومئات الكتب العربية والأجنبية .

وهيكل رغم عمله الصحفى فى هذه الفترة إلا أنه أيضاً كان مشاركاً فعلياً فى ليلة الثورة ، وهذا ما سوف نعرفه بعد قليل . . لقد كان هيكل

فى ذلك الوقت رئيساً لتحرير آخر ساعة . . وصحفياً سياسياً مشهوراً باتصالاته مع رجال الأحزاب المصرية التى كانت موجودة قبل الثورة . وكان على علاقة ببعض ضباط الجيش الذين نفذوا الثورة من أول ساعة قاموا فيها بهذا العمل . كما كان من بين القلة الذين كانوا يعرفون بالحدث ويؤمنون بضرورة وقوعه . . وإن كان فى هذا التوقيت لم يكن يعرف بالضبط موعد التنفيذ . .

لقد كان هيكل على علاقة متميزة بعدد لا بأس به من رجال السياسة المصرية . . وأيضاً بعض ضباط الجيش . وكان فوق كل ذلك صحفيًّا لا يبحث عن الخبر . . بل يشارك فى صنعه . وكلنا يعرف مدى الموقع المتقدم الذى احتله هيكل منذ سنوات الثورة الأولى وحتى رحيل عبد الناصر .

ونفس الكلمات تنطبق حرفيًّا على موسى صبرى . . وإن كان العديد من المؤرخين ينكرون دوره فى تلك الأحداث حيث أثبتت المؤلفات التى صدرت عن أحداث ثورة ٢٣ يوليو . . وجود تعمد مقصود لإغفال هذا الدور فى المشاركة فى هذه الأحداث .

وربما كان السبب فى ذلك يرجع أساساً إلى ارتباطه أولاً وأخيراً بمصطفى أمين ذلك الكاتب الصحفى الذى اعتبره بعض ضباط تنظيم الأحرار يقف فى خندق ضد الثورة . . مع أن مصطفى أمين ذاته كان من أوائل الذين بادروا بإعلان التأييد لحركة ضباط الجيش . . ولعل علاقة

الخصومة الطويلة بينه وبين هيكل . . كانت أحد الأسباب التى صورته فى أذهان رجال الثورة وخاصة فى ذهن جمال عبد الناصر الذى سيطر عليه هيكل نفسه . . أنه يقف فى خندق الخصوم .

وبالنسبة لموسى صبرى الذى كان من أشد المغالين فى تأييدهم للثورة منذ الساعات الأولى . . فقد فشل فشلاً ذريعاً فى توصيل معنى هذا التأييد بالشكل الذى يرضى عنه الضباط . . وقد تكون علاقته المتوترة بهيكل فى هذه الآونة أحد الأسباب أيضاً . . نضيف إلى ذلك السبب الذى سبق وسقناه من قبل فيها يتعلق بموقفه السياسى داخل الحياة السياسية المصرية . . عندما رشح نفسه ضد أحد ضباط الثورة .

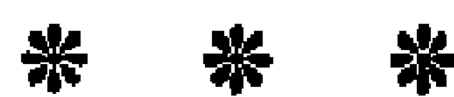
وعلى أية حال . . لقد آن الأوان من أجل إنصاف هذا الرجل . . باعتباره مشاركاً حقيقياً فى أحداث الثورة وإن لم يكن من رجالها . . مثله مثل هيكل تماماً . . وربما يكمن الفرق فى إسراع هيكل بالتعرف على جمال عبد الناصر واحتوائه . . ثم لعبة الحظ التى خدمت هيكل نفسه حين تمكن صديقه عبد الناصر من الاستئثار بالسلطة والتهام « كعكة » الثورة وحده .

ولو كان السادات ـ الضابط المشارك فى نفس الأحداث . والعضو السياسى النشط داخل مجلس قيادة الثورة ـ قد تمكن من إحراز هذا النصر المبكر داخل مجلس الضباط . . والانتصار على الخصوم . . والفوز

بأعلى المناصب . . لانقلبت الأوضاع . . وأصبح موسى صبرى فى المقدمة . . تماماً مثل هيكل . . ولأصبح هيكل فى موقع موسى صبرى وربما فى موقع أقل منه . . وهذا بالضبط ما حدث فى أوائل السبعينيات . . عندما حقق السادات نفس ما حققه جمال عبد الناصر . . واستطاع الفوز بأعلى المناصب السياسية . . الأمر الذى أتاح الفرصة أمام صديقه وزميل زنزانته موسى صبرى كى يتقدم الصفوف ويفوز بنفس المكانة التى كانت لهيكل لدى عبد الناصر . . مع اختلاف طفيف بحكم اختلاف الظروف وعامل الزمن .

وبناء على ما تقدم لا شك أننا أصبحنا فى حاجة إلى إعادة ترتيب الأوراق والأدوار . . وهذه مهمة المؤرخين الذين يجب عليهم إعادة النظر فى تلك الشخصيات التى لعبت أدواراً بارزة فى أحداث حركة الجيش بصرف النظر عن التصنيفات المعهودة . . والتى كانت من قبل المقياس الطبيعى غير العادل الذى تم بناء عليه تقييم هؤلاء الأشخاص .

وربما تكون كلماتنا القادمة عن أدوار الفرسان الثلاثة داخل أحداث حركة الجيش هى البداية من أجل تصحيح مسار هذا التاريخ . ولسوف نترك كل فارس من فرسان هذه الأوراق يتحدث إلينا وإليكم من واقع أوراقه الخاصة مع بعض التأكيدات التى ربما نعثر عليها فى أوراق غيره ممن عاصروه. ولسوف نعكس البدايات التى اتفقنا عليها آنفاً . . بحيث نترك الحديث أولاً لكلمات موسى صبرى ثم هيكل ونختتم بالسادات .



وقبل المزيد من التفاصيل . . نكرر من جديد صيغة السؤال الذى بتينا عليه كلمات أوراق هذا الفصل . .

أين كان كل من موسى صبرى وهيكل ليلة وقوع أحداث الجيش ثم الثورة ؟

ومن أجل تقديم إجابة محايدة . . كان علينا أن نعود إلى الوراء بعض الأيام التى سبقت ليلة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ . . كما كان علينا أن نسبقها ببعض الأيام أيضاً . . والسبب فى ذلك يرجع إلى تلك الظروف والملابسات التى صاحبت الحدث . . بل وفرضت التحرك قبل الموعد المحدد من قبل لجنة القيادة فى تنظيم الضباط الأحرار . . وبطبيعة الحال كان لا بد وأن نعرف هل كان فرساننا الثلاثة على علم بهذه الملابسات أم لا؟

أما فيما يخص معرفة الأسباب التى قد تدفعنا إلى التقدم بعد وقوع الحدث عدة أيام . . فهو أن ملامح حركة الجيش وثورة يوليو لم تتضح معالمها ولم تتأكد إلا بعد خروج الملك فاروق من البلاد . .

وكذلك وقوف الضباط الأحرار وحدهم داخل الساحة العسكرية وأيضاً الساحة السياسية . . حيث وجدوا أنفسهم الحكام الفعليين لمصر . . وبسرعة مذهلة لم يتوقعوها .

* * *

يقول موسى صبرى كامل . . الذى كان وقت وقوع حادث حركة الجيش وما قبلها بأيام نائباً لرئيس تحرير الأخبار :

« كان ذلك يوم ١٩ يوليو عام ١٩٥٢ . . وهذا مشهد لن يضيع من ذاكرتى أبداً . . الساعة الواحدة والنصف صباحاً ، كنت أجلس مع الدكتور محمد هاشم أحد الشباب السياسيين البارزين آنذاك بحكم كونه زوج كريمة حسين سرى باشا ووزير الداخلية . . حيث قال لى : إن محمد وصفى رئيس حرس الوزارات تقدم إليه بمذكرة يقترح فيها اعتقال عشرة من ضباط الجيش ، يرى أنهم يتزعمون حركة التذمر داخل الجيش . . وقد رفض محمد هاشم هذا الاقتراح لأنه بعد التحرى اتضح أنهم يمثلون الضباط الشرفاء الذين يدافعون عن كرامة الجيش . وأنه يرى حرصاً على الصالح العام يجب إجابة مطالب الجيش . . » وأضاف : «وحوالى الساعة الثانية بعد منتصف الليل سمعنا وقع أقدام عسكرية . . وكان القادم الفريق محمد حيدر باشا بملابس مدنية . . الذى قال إنه جاء رسولٌ من عند الملك لحل الأزمة . . واقترح خروج حسين سرى عامر ومحمد نجيب من الجيش وتعيين محمد هاشم وزيراً للحربية ، وأصبح يوم ٢٠ يوليو ، وجاء حيدر للقاء حسين سرى فى الساعة الثامنة . . وقال له حسين سرى باختصار : إن البلد فى موقف خطير وإن تذمر الجيش سوف يتحول إلى ثورة من ساعة إلى أخرى ، وأنه لن يعدل عن استقالته » .

بل أكثر من ذلك إنه في صباح ٢٢ يوليو ، تسلم حسين سرى من حافظ عفيفى رئيس الديوان كتاب الملك بقبول استقالته . . وفى اليوم السابق كلف الملك نجيب الهلالى بتأليف الوزارة .

وقد قصدت وزميلى على حمدى الجمال إلى منزل الهلالى الذى عرفنا منه أنه سيحدد موقفه بعد تناول طعام الغداء مع فريد زعلوك . . وبعد الغداء فهمنا من الهلالى أنه قد وضع خمسة شروط لقبول الوزارة .

وبناء على ذلك قيل لنا إن حلف اليمين سيكون أمام الملك فى الصباح التالى وهو يوم ٢٣ يوليو . وأراد الهلالى باشا أن يصدر فى المساء بياناً من مجلس الوزراء ، بأنه تقرر إخراج كريم ثابت من الإذاعة وإبعاد إلياس أندراوس من القصر . . إلا أن فريد زعلوك أقنعه بتأجيل ذلك إلى الغد . ولكن هذا الغد قد أتى بجديد . .

لقد بدأ موقف خطير يتفجر فى العاشرة والنصف مساء . . لقد كنت وقتها فى مدينة الاسكندرية أتابع آخر هذه الأحداث . . ونظراً للإرهاق الذى عانيته خلال الأيام السابقة . . قصدت « البنسيون » الذى أسكنه فى حى كليوبترا حوالى التاسعة مساء هذه الليلة . .

ولم أعرف بعدها ماذا حدث . . ولكننى فوجئت فى الصباح ببيان يلقيه أنور السادات من الإذاعة . . لقد عرفته من صوته ، فلم يذع اسمه مع تلاوة البيان . فأسرعت على الفور إلى مقر الوزارة فى حى «بولكلى»

وهناك عرفت أن الهلالى قدم استقالته . . وأنه فى الطريق إلى لقاء الملك .

وفيما بعد عرفت تفاصيل ما حدث هذه الليلة التى نمت فيها . . فكانت كلها أحداث مرتبطة بالساعات التى سبقت الحدث . . ولعل أهمها هو تلقى أخبار عن ثورة الجيش فى الساعة العاشرة والنصف من مساء ٢٢ يوليو . وكانت إجراءات حلف اليمين قد انتهت فى الخامسة بعد الظهر . . وفى هذه الليلة أيضاً عرفنا أن قوات الثورة ـ والكلام لايزال على لسان موسى صبرى ـ استولت على محطة الإذاعة وأنها ستذيع بيانا فى الساعة السابعة صباحاً . .

ويكمل موسى صبرى شهادته للتاريخ بقوله : لقد كان الشعب منذ الصباح الباكر يتجمع فى كل شوارع وميادين القاهرة والإسكندرية يصفق ويهلل . . وفى الساعة العاشرة من صباح ٢٣ يوليو استدعى الفريق حيدر كبار ضباط الجيش كى يخبرهم بأنباء الثورة وطلب منهم المقاومة . . ولما عادوا إلى مكاتبهم فى معسكرات الإسكندرية استطاع الضباط الشبان اعتقالهم فى نفس المعسكرات . . كما قرر الضباط الأحرار اعتقال حيدر باشا فى الإسكندرية .

وفى الصباح الباكر يوم ٢٤ يوليو قررت العودة إلى القاهرة . . وقصدت فيلا على ماهر بالجيزة . . وكانت الساعة السابعة صباحاً . . وهناك عرفت أنه سوف يتوجه حالاً إلى الإسكندرية لمقابلة الملك ، فأسرعت إلى محطة القاهرة وركبت القطار الخاص الذى ركب فيه على

ماهر مع عدد من ضباط الجيش . . وفى القطار جلس على ماهر يقرأ المذكرة التى تسلمها من قيادة الثورة بمطالب الجيش . . وروى لنا على ماهر أن السادات قصد إليه فى منزله أمس ومعه إحسان عبد القدوس وطلب منه تشكيل الوزارة . . وصلنا الإسكندرية فقصد على ماهر فندق «سان استيفانو» واتصل بالقصر من أجل تحديد موعد لقاء مع الملك فاروق . . وفى الساعة الخامسة من نفس اليوم عُقد مجلس الوزراء ودعا على ماهر مندوبى الصحف ليتلو عليهم بياناً جاء فيه أن جلالة الملك وافق على معظم مطالب الضباط .

وفى يوم ٢٥ يوليو وكنت ما زلت مقيماً فى الإسكندرية حضر أنور السادات لمقابلة على ماهر فى دار الوزارة . . فى الوقت الذى وصلت فيه قوات الجيش إلى الإسكندرية فى مواقع قريبة من قصر الملك . . لقد تكلم السادات مع على ماهر عن مطالب الجيش ولم يفاتحه عن المفاجأة الكبرى . . وسهرنا فى الفندق حتى الصباح ونحن نتوقع أن حدثاً ضخماً سيقع بين لحظة وأخرى . .

وكان الملك أيضاً ساهراً مع زوجته ووالدتها وأقاربها فى رأس التين . . لقد انتقل من المنتزة كى يتحصن ضد مفاجأة الثورة .

وفى يوم ٢٦ يوليو اتصل الملك بعلى ماهر فى الفندق فى الثامنة صباحاً كى يبلغه بأن هناك ضرب نار . . فأسرع إلى رأس التين ونجح فى وقف إطلاق النار من القوات المحاصرة للقصر . . ومن بعدها عاد على ماهر

إلى الرياسة . . وهناك فوجىء بطلب من قيادة الثورة بعزل الملك فاروق على أن يغادر البلاد قبل السادسة من المساء .

وفى هذه الآونة كان السنهورى يكتب صيغة التنازل وسليمان حافظ يحصل على توقيع الملك . . والسفير الأمريكى يرجو تأمين الملك . . ثم على ماهر يطلب وداعاً رسمياً لفاروق ويرفض طلب رجال الصحافة أن يشهدوا اللحظات الأخيرة .

لقد شاهدنا مع أهل الإسكندرية العلم الأخضر الكبير الذى كان يرتفع فوق أعلى مكان فى قلعة الملك ينسلخ من ساريته ويهبط حتى اختفى . وفى حوالى الساعة الثامنة من مساء نفس اليوم . . كنت فى مكتب الأخبار بالإسكندرية أكتب قصة هذه اللحظات المثيرة .

وكان أول اتصال لى بالثورة حديثاً تليفونياً مع أنور السادات وهو فى ثكنات الجيش بمصطفى كامل بالاسكندرية ، بخصوص موضوع إلقاء القبض على مصطفى وعلى أمين . . وكان رد السادات إن هذا الموضوع سيفصل فيه خلال وقت قصير . . فالثورة لن تظلم أحداً . وفى الصباح التالى حضر السادات إلى مجلس الوزراء فى حى بولكلى وسألته عن القضية . . فأعلن أنه تبينت براءتهما . .

وكنا فى هـذا الوقت لا نعرف أسماء أعضاء مجلس الثورة ، وكان ذلك ممنوعاً مـن النشر ، ولكنهم حضروا إلى « أخبار اليوم » وعقدوا

مؤتمراً صحفياً مع المراسلين الأجانب رووا فيه قصة الثورة .

* * *

وماذا عن موقع هيكل ليلة الثورة .. ؟

وهذه المرة أيضاً سوف نلجأ إلى الشهادة الحية التى سجلها هيكل . . والتى قال فيها :

« كانت الأيام الخمسة السابقة على قيام الثورة صباح ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ أياماً لا تنسى . يوم ١٨ يوليو التقيت مصادفة بالبكاشى جمال عبد الناصر والصاغ عبد الحكيم عامر حيث كنت فى زيارة لمحمد نجيب فى بيته . . ودار بيننا نقاش ساخن حول ما يجرى فى البلاد ودور الجيش فيه . .وبدأ جمال عبد الناصر يسألنى بإلحاح فى بعض التفاصيل، وشعرت أن اهتمامه به أكبر مما يحتمله حديث عابر بين صحفى وبين ضابط فى الجيش .

ومن ثم سألنى هل نستطيع مواصلة الحديث لأن الموضوع يهمه ، واقترحت عليه أن نذهب إلى مكتبى بأخبار اليوم ، فقال لا . . ليس فى أخبار اليوم . . ولماذا لا نذهب إلى بيتك ؟ . . وفى صباح اليوم التالى كنت فى سيارتى مسرعاً على الطريق الصحراوى إلى الإسكندرية ، فقد اتصل بى الدكتور محمود حافظ يقول لى : إن الهلالى باشا يريدنى فى الإسكندرية لأن الملك عرض عليه رئاسة الوزارة . . بل قد صدر بالفعل

التكليف الرسمى لنجيب الهلالى بتشكيل الوزارة . وحين عاد الهلالى باشا لم أكن سعيداً بما حدث وسألته : كيف قبل ذلك ؟ .

وبخلاف ذلك كنت فى أعماقى أشعر أن شيئاً ما سوف يحدث فى القاهرة ولم أكن أتمنى أن يحدث هذا الشىء فى مواجهة نجيب الهلالى ولم أقل شيئاً .

والتقيت ليلتها مع الأستاذين مصطفى وعلى أمين فى فندق سيسل بالإسكندرية وتبادلنا أخبار التشكيل الوزارى الجديد . . وفى الصباح الباكر قلت للاثنين إننى ذاهب إلى القاهرة على الفور . . فى حين راح على أمين يلح على أن أبقى فى الإسكندرية حتى تتم مراسم تشكيل الوزارة بحكم صلتى الوثيقة برئيس الوزراء الجديد . .

فإن الأستاذ مصطفى أمين أحس بغريزة المخبر الصحفى فيه أن هناك شيئاً وراء عودتى المسرعة إلى القاهرة .

وباختصار فى الساعة الثانية والنصف من صباح يوم الأربعاء ٢٣ يوليو كنت فى مقر هيئة أركان حرب الجيش . . وكان قد أصبح مقراً لقيادة حركة جديدة قامت بها مجموعة من الضباط الشبان للاستيلاء على السلطة . . لقد رأيت بعينى تاريخ مصر يتغير فى فجر يوم صيف . ووسط حركة التاريخ نفسه تذكرت مهنتى فاتصلت بأخبار اليوم تليفونياً لأجد عامل التليفون يخبرنى بأن مصطفى أمين يبحث عنى من

الإسكندرية . وقد أخبرنى عبر أسلاك التليفون أن ضباطاً فى الجيش تحركوا من ثكناتهم ونزلوا إلى الشارع . . فقلت له إنى أعرف . . وقد سألنى عن رقم التليفون الذى أتكلم منه حتى يستطيع أن يتصل بى مباشرة لأن الظروف بالغة الخطورة . . ولم يكن الموقف كله مما لايسمح بأى خطوة طائشة . . قلت لمصطفى أمين أن ينتظر ، والتفت إلى عبد الحكيم عامر وكان فى الغرفة التى كانت من قبل مكتبا لمساعد اللواء حسين فريد رئيس هيئة أركان حرب الجيش المصرى سابقاً .

وقلت لعامر إن الأستاذ مصطفى أمين على الخط . . حولونى إليه من سنترال أخبار اليوم وهو يطلب رقم التليفون هنا . . وهاج عبد الحكيم عامر رافضاً إلا أن جمال عبد الناصر قد وافق على إعطائه رقم التليفون .

وباختصار أيضاً . . فى فجر ذلك اليوم وصباحه الباكر اتصل بى مصطفى أمين مرتين . . ثم اتصل بى نجيب الهلالى باشا مرتين أيضاً . . ولسوف تظل تفاصيل ما دار فيهما محفوراً فى ذاكرتى ، فضلاً عن أنها مسجلة بالنص فى أوراقى .

دق التليفون فى المرة الأولى ورفعت السماعة على صوت يتأكد من شخصيتى ثم يقول لى إن « دولة الباشا » معى على الخط . وجاءنى صوت الهلالى (باشا) العميق العريض كما أعرفه ، وإن بدا هذه المرة مثقلاً بنبرة مهمومة تحسها الأذن ـ قال الهلالى باشا :

ـ هيكل . . أنا أعرف أنك فى وضع صعب وربما كنا نحملك أكثر مما

تحتمل ، ولكن بما أن الظروف قضت بأن تكون حيث أنت الآن فى هذه اللحظة فليس أمامنا ولا أمامك إلا أن نحمل مسئولياتنا . وأنا أكلمك من أجل « البلد » وأرجو أن يكون ذلك واضحاً « للجماعة » عندك .

واستطرد الهلالى (باشا) يسألنى :

ـ ماذا تريد « الجماعة » عندك ـ إننى أريد منك أن تسأل من تعتقد أنه يستطيع الرد منهم ، ولن أسألك من هو ؟ .

ورجوته أن ينتظر على التليفون لحظة .

كان معى فى الغرفة الصاغ سعد توفيق ورجوته أن يدعو جمال عبد الناصر ، وكنت قد لمحته قبل لحظات يمر فى الردهة أمامى . وذهب سعد وعاد ومعه جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر فى إثره ، ونقلت سؤال الهلالى (باشا) كما هو .

ـ ورد جمال عبد الناصر « قل له إذا أراد أن يعرف ماذا نريد فإنه يستطيع سماعه فى البيان الذى سيذاع بعد نصف ساعة من راديو القاهرة» .

ونظرت فى ساعتى لا إرادياً وكانت الساعة السادسة وعشر دقائق بالضبط ، ورفعت سماعة التليفون التى كانت على المكتب ونقلت رد «الجماعة» على سؤال رئيس الوزراء .

ولم ييأس الهلالى (باشا) ، بل أمسك بخيط الحوار الذى بدا واهياً

من اللحظة الأولى لا يستطيع تحمل أى شد أو أى جذب ، وقال :

ـ طبقاً للمعلومات الموجودة هنا فإن ما تطلبه « الجماعة » هو تغيير وتطهير قيادة الجيش . فهل تستطيع أن تنقل لهم أننى على استعداد للذهاب الآن إلى القصر واستصدار مرسوم من الملك بتعيين أى ضابط كبير يثقون فيه قائداً عاماً للقوات المسلحة ثم يقوم هو بالتشاور معهم على أن يتم ما يرونه من تغييرات وتبديلات . إن التغيير على هذا النحو سوف يتم فى إطار دستورى يجنب البلد مخاطر « الفرقعة » التى ستحدثها إذاعة بيان من الراديو .

ونقلت سؤال الهلالى لجمال عبد الناصر وكان رده :

ـ قل له شكراً . . ولكن الفرقعة مقصودة فى ذاتها أيضاً .

ويبدو أن الرد كان مفاجئاً لطبيعة الهلالى (باشا) كمحام وفقيه قانون، فقد سكت لحظة لم أسمع فيها من الناحية الأخرى إلا تعبيرات صوت يهمهم وكأنه يحاول استيعاب معنى ومدلوله .

لكنه لم ييأس أيضاً . . تمالك نفسه ثم سألنى :

ـ هيكل . . هل من تنقل إليه أسئلتى واحد من المسئولين وهل فيهم من يملك أن يتحدث عنهم ؟

وقلت دون دون رجوع إلى أحد : نعم .

قال : هل هو اللواء نجيب ؟ سمعنا أنه منهم ؟

قلت : أرجو إعفائى من الرد .

ويظهر أن هذه الأسئلة القصيرة كانت لتمالك النفس ثم العودة مرة أخرى إلى الأسئلة الأوسع والأكثر تحديداً ، فقد قال لى الهلالى (باشا) :

ـ هل تستطيع أن تسألهم ماذا يريدون منى أن أفعل ؟ ماذا يطلبون من الوزارة ؟ هل يطلبون أن نستقيل ؟

وكان السؤال مفاجئاً بالنسبة لجمال عبد الناصر ، لكنه رد بسرعة :

ـ نعم . . قل له إننا نريد استقالة الوزارة .

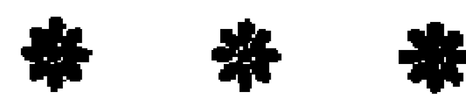
وفتحت عينى على آخرها فى دهشة ثم وضعت كفى على بوق سماعة التليفون لأقول لجمال عبد الناصر : « ولكنه رجل وطنى وأمين » . وقال جمال عبد الناصر : « ليس هذا هو المهم الآن . . قل له أن يستقيل » . ولم يكن هناك مفر ، ومثقلاً بالأسف نقلت للرجل :

« نعم هم يريدون أن تستقيل الوزارة » . وقال الهلالى (باشا) بسرعة « طيب . . طيب . . » . وانتهت المكالمة الأولى .

ووقفت مع جمال عبد الناصر لحظات أستوضحه فى بعض ما دار ، وكان فيما قاله تلك اللحظات لمحات ملفتة للنظر فى قدرته على التصور والتصرف .

قال مثلاً : إن « الفرقعة » التى يتخوف منها (صاحبك) سوف تكون إعلاناً بأن شيئاً ما وقع فى مصر .

ثم قال : لم يكن موضوع تغيير الوزارة قد خطر ببالى ، ولكن عندما اقترحه صاحبك طلبته على الفور لأن حدوثه إشارة إلى أن قيام وسقوط الوزارة فى مصر لم يعد فى يد الملك .



وبعد أن أذيع البيان جاءتنى مكالمة الهلالى (باشا) الثانية ، ولم يكن مطلوباً منى أن أقوم بدور الترجمة الفورية بينه وبين أحد . كان يريد إبلاغى رسالة واضحة وقاطعة . . أنقلها إلى « الجماعة » وفق ما أراه : أنه سوف يذهب إلى القصر ويقدم استقالة وزارته ، وسوف ينصح الملك ألاَّ يقاوم وأن يتجنب تكرار مأساة سبقت فى تاريخ مصر . . لكنه رأى من واجبه فى نفس الوقت أن يكون الطرف الآخر ـ « الجماعة » ـ واعياً الظروف وأن يتصرف بما لا يعطى مجالاً لأحد ليشعل ناراً تحرق الجميع .

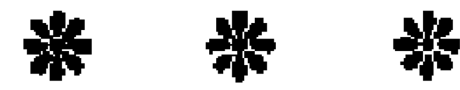
وبالفعل ذهب نجيب الهلالى بعد ذلك وقدم استقالته وقدم معها نصيحته ورجاءه للملك بألاَّ يسير فى الطريق الذى سلكه عمه توفيق من قبل فيقاوم حركة جيش مصر مستعيناً بجيش أجنبى . وعلى أية حال فإن الملك وان تظاهر بالقبول أضمر شيئاً آخر ، فقد جرب بالفعل أن يستنجد بالإنجليز ولم تكن هناك قوات برية كافية فى قواعد منطقة قناة

السويس ، كما أن المسافة الواسعة من ميناء «فاليتا» فى مالطة إلى ميناء الإسكندرية فى مصر لم تكن فيها غير مدمرة بريطانية واحدة .

(وفيما بعد وافق جمال عبد الناصر على اقتراح منى بزيارة الهلالى (باشا) فى بيته ليقول له إن طلب استقالته لم يكن إهانة موجهة إليه شخصياً ، وإنما كان موضوعاً آخر أكبر من أى شخص . وكنت ثالثهما فى هذا اللقاء) .

وتوالت الحوادث يلحق بعضها بعضا حتى خرج الملك من ميناء الإسكندرية عصر يوم ٢٦ يوليو وانحدرت وراء شمس النظام الملكى فى مصر إلى مغيب .

وتغيرت صورة كل شىء فى مصر بعدها .



السلطة والسياسة . حقائق القوة وموازينها . وكنا قد اتفقنا ـ الأستاذان مصطفى وعلى أمين وأنا ـ على اجتماع منظم فى أخبار اليوم نبحث فيه الأوضاع الجديدة ونقرر فيه خطوط سياسة صحف ومجلات الدار.

وفجأة ، إذا بالسلطة الثورية الجديدة فى مصر تعتقل الأخوين مصطفى وعلى أمين ضمن من اعتقلتهم من حاشية القصر ورجال الملك .

وذهبت إلى لقاء جمال عبد الناصر فى مبنى رئاسة أركان حرب الجيش

المصرى بكوبرى القبة وكان قد أصبح مقراً لمجلس (القيادة) كما عرف وقتها ، أو مجلس قيادة الثورة كما عرف رسمياً فيما بعد .

والحقيقة أننى ذهبت محتجاً . قلت له :

ـ إن القبض على صاحبى أخبار اليوم فى هذا الظرف حكم عليهما ما لم يكن هناك دليل لا أعرفه . ثم إن الحرج يمتد منهما إلى الدار نفسها وكل من فيها .

وكان رد جمال عبد الناصر : « إنه ليس لى الحق أن أنظر إلى المسائل من زاوية شخصية على هذا النحو » . ثم أضاف : « إن الناس كلهم يعلمون بالشكوك والظنون المحيطة بمواقفهما وارتباطاتهما ، وعلى أية حال فإن اعتقالهما إجراء وقائى بعد معلومات وصلت تفيد أن الأستاذ مصطفى أمين أجرى اتصالات يوم قيام الثورة مع جهة أجنبية خارج مصر . وبما أن الظرف لا يحتمل أية مناورات فإنه أصدر أمر الاعتقال حتى تنجلى الحقائق .

وعدت فى المساء ومعى الأستاذ التابعى نرجو ونلح .

ثم عدت صباح اليوم التالى أشرح الضغوط التى أحسست بها فى دار أخبار اليوم بالأمس . ثم دخلت أمام جمال عبد الناصر وآخرين من أعضاء مجلس قيادة الثورة فى شرح مفصل لعلاقة الصحافة فى مصر بالسياسة ومن ثم علاقتها بالسلطة واحتمالات التجاوز فى ظل الظروف الموضوعية السائدة .

وأخيراً تقرر الإفراج عن الأستاذين مصطفى وعلى أمين وأخذتهما معى، ومعنا الأستاذ محمد التابعى والأستاذ كامل الشناوى، وذهبنا إلى مجلس قيادة الثورة . وهناك قدمتهما لجمال عبد الناصر وآخرين من أعضاء مجلس الثورة، وكان لقاء يستحق المتابعة الدقيقة فقد استجمع الأستاذ مصطفى أمين كل مواهبه ليدافع عن نفسه أمام السلطة الجديدة ويشرح مواقفه . ثم رحلنا جميعاً نلح فى كلمة تصدر عن المجلس تبرىء أصحاب أخبار اليوم أو ترد إليهم شرفهم على حد التعبير الذى استعمله الأستاذ على أمين .

ونأتى لشهادة أنور السادات . . والتى يقول فيها :

فوجئنا فى يوم ١٨ يوليو عام ١٩٥٢ بالملك يصدر أمراً بإلغاء انتخابات مجلس إدارة نادى الضباط . . وهى الانتخابات التى كان تنظيم الضباط الأحرار قد كسبها من الضباط الموالين للسرايا . . وعرفنا أن الملك يعتزم تغيير الوزارة وأن وزير الحربية فى الوزارة الجديدة هو اللواء حسين سرى عامر الذى يعرف الكثير عن الضباط الأحرار . . وبتحليل بسيط وصل عبد الناصر إلى حقيقة تفرض نفسها علينا . . إما نحن وإما حسين سرى عامر الوزير القادم والذى يعرف الكثير عن حركة الضباط الأحرار .

ولم يتردد عبد الناصر . . فقد اتخذ قراراً بقيام الثورة قبل تولى هذا الوزير لمهام منصبه . . وكان معنى ذلك أن تقوم الثورة فى يوليو بدلاً من

نوفمبر عام ١٩٥٢ . . وفى يوم ٢١ يوليو أرسل لى عبد الناصر رسالة مع حسن إبراهيم تسلمتها فى مطار العريش يطلب منى فيها أن أنزل إلى القاهرة يوم ٢٢ يوليو لأن الثورة قد تحدد لقيامها ما بين ٢٢ يوليو و ٥ أغسطس . . وفعلاً وصلت القاهرة يوم ٢٢ يوليو . . ولكننى لم أجد عبد الناصر فى انتظارى على محطة السكة الحديد كعادته ! فقلت فى نفسى لا بد أن الوقت لم يحن بعد . . لذلك توجهت إلى بيتى واصطحبت زوجتى إلى السينما ولكن عندما عدت إلى البيت فى منتصف الليل وجدت بطاقة من عبد الناصر يطلب منى فيها أن أقابله فى منزل عبد الحكيم عامر الساعة الحادية عشرة مساء . وعلمت من البواب الذى سلمنى هذه البطاقة أن عبد الناصر قبل أن يترك البطاقة أتى إلى بيتى مرة فى الساعة الثالثة مساء ومرة أخرى فى العاشرة . .

وعلى ذلك غيرت ملابسى وأخذت مسدسى معى وتوجهت إلى منزل عامر فلم أجده فذهبت إلى ثكنات الجيش فى العباسية . . ولم أكن أعرف كلمة السر بطبيعة الحال ، فمنعونى من الدخول وعندما تبينوا رتبتى طلبوا منى أن الزم بيتى . . فهذه هى الأوامر بالنسبة للضباط العظام .

ناورت وحاولت كثيراً ولكن دون فائدة . . وفى آخر مرة رأيت عبد الحكيم عامر وهو ينظم مرور القوات . . ناديت عليه ، ولم يكن فى موقف يستطيع فيه أن يرانى ولكنه تعرف على صوتى . . وقد عرفت منه أن القيادة قد سقطت إثر نجاح قواتنا القادمة من معسكر « الهاكستيب » بقيادة يوسف صديق .

أخذت عربتى وتوجهت إلى رئاسة الجيش حيث كان عبد الناصر الذى طلب منى أن أتصل تليفونياً بجميع وحداتنا للاطمئنان على حسن تنفيذ الخطة الموضوعة . فنزلت إلى حجرة التليفونات بالطابق الأرضى وأخذت فى ممارسة عملى المكلف به . وحدث أن اتصل حيدر باشا وزير الحربية فى ذلك الوقت يطلب توصيلها لضابط النوبتجى فأوصلته بعبد الناصر . وبعد قليل اتصل مرة أخرى وطلب توصيله بسلاح المدرعات، فأصدرت أمرى للعساكر بإهماله .

وفى الساعة الثالثة صباحاً أتت جميع التمامات من جميع الوحدات فأبلغنا عبد الناصر والزملاء أعضاء مجلس قيادة الثورة . . وفى الحال اتصل عبد الناصر تلفونياً باللواء محمد نجيب فى بيته بحلمية الزيتون وأرسل عربة مدرعة أتت به إلينا فى الفجر .

لقد كانت فرصتى كبيرة . . لذلك ما أن طلع صباح ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ حتى هرعت إلى الإذاعة أعلن ميلاد الثورة .

ثم بعد ذلك كان علينا أن نواجه مسئولياتنا تجاه البلاد بعد نجاح الثورة . . وكان أولها بطبيعة الحال تكليف وزارة لإدارة شئون البلاد ، ولكن من يكون رئيسها . . بعد مناقشة لم تدم طويلاً اتفقنا على أن أصلح الموجودين هو على ماهر باشا . . واتفق أعضاء مجلس قيادة الثورة على قيامى بمهمة الاتصال به . . فتوجهت إلى منزله مع صديقى إحسان

عبد القدوس . . وأبلغناه بالتكليف من قبل الثوار . . وبعد تردد وافق على هذا التكليف . . خاصة بعد المكالمة التى تلقاها من الإسكندرية حيث اتصل به الملك فاروق كى يبلغه موافقته على تعيينه رئيساً للوزراء وأنه سوف يستقبله مساء نفس اليوم بالإسكندرية . وقبل سفره اتصلنا به نطلب منه انتظارنا بعد ظهر ٢٣ يوليو لمقابلة الملك حتى يحمل مطالبنا إليـــه .

لقد كان مطلبنا الحقيقى هو رحيل الملك عن البلاد . . ولكن كان علينا أن نخفى هذا إلى أن يتم انتقال قواتنا إلى الإسكندرية فى هدوء . . وبناء عليه اصطنعنا بعض المطالب التافهة وذهبنا بها أنا وعبد الناصر إلى على ماهر وسلمناها إياه ، وسافر الرجل إلى الإسكندرية بعد ظهر ذلك اليوم لمقابلة الملك .

وفى الليل اتصل بنا على ماهر من الإسكندرية ، وقال إن الملك قد قبل طلباتكم كلها . . وبناء عليه فإن على ماهر يرى أن يحضر اثنان من مجلس قيادة الثورة إلى الإسكندرية ليسجلا اسميهما فى دفتر التشريفات . .

وفى هذه اللحظات كانت قواتنا جاهزة للتحرك فى صباح ٢٤ يوليو . . بل بدأت فعلاً فى التحرك ناحية الإسكندرية . . ولما علم الملك بذلك أبلغ على ماهر الذى اتصل بنا يستفسر . . فقلت له إن هذه القوات قادمة إلى الإسكندرية لتأمين المرافق كما فعلنا فى القاهرة . .

وإننى سأحضر إلى الإسكندرية فى المساء . . وبالفعل أخذت مع محمد نجيب طائرة عسكرية إلى مطار النزهة ومنه إلى « بولكلى » وهو مقر رئيس الوزراء الصيفى حيث دخلنا على رئيس الوزراء الذى كان مضطرباً بسبب أنباء وصول قواتنا إلى الإسكندرية .

وبعد أن تركت عل ماهر توجهت إلى معسكر مصطفى كامل مقر قيادة قوات الإسكندرية حيث كان هناك زكريا محيى الدين . . من أجل إتمام حصار القصر الملكى . . إلا أن زكريا أبلغنى أنه لن يكون مستعداً لمحاصرة قصر رأس التين وقصور الملك الأخرى قبل أن نوجه له الإنذار إلا فى الساعة السابعة من صباح يوم ٢٦ يوليو . . لأن الجنود بعد هذه الرحلة الشاقة من القاهرة إلى الإسكندرية لا بد لهم من راحة .

ولم يكن هناك مفر من التأجيل حيث كان الموعد المتفق عليه سابقاً هو الساعة السادسة مساء ٢٥ يوليو . . واضطررنا لتأجيله إلى الساعة التاسعة من صباح ٢٦ يوليو .

ولكن قبل أن يتم اللقاء مع على ماهر كان زكريا محيى الدين قد حاصر بالجزء الأكبر من قواته مقر الملك حينذاك وهو قصر التين حيث نشبت معركة بين القوات وبين الحرس الملكى . . أصيب فيها عدد من الحرس . . فانزعج الملك وسحب قواته ثم اتصل بعلى ماهر . .

وفى التاسعة من صباح ٢٦ يوليو ، اتجهت ومعى اللواء محمد نجيب

إلى بولكلى وبعد أن دخلنا حجرة على ماهر . . لم أضيع وقتاً ففتحت الحقيبة التى فى يدى وأخرجت منها الإنذار الموجه من مجلس قيادة الثورة وهو بخط يدى إلى الملك وبدأت أقرأه ، وفيه طلبنا من فاروق مغادرة الأراضى المصرية فى الساعة السادسة مساء اليوم ٢٦ يوليو عام ١٩٥٢ . . وإن لم يفعل ذلك فإن عليه أن يتحمل المسئولية كاملة .

وفى العاشرة والنصف ، أى بعد ساعة ونصف من تسليم الإنذار اتصل بى على ماهر رئيس الوزراء من مقره وبعد عودته من مقابلة الملك وأبلغنى أن فاروق قد قبل الإنذار ورجانى أن ألحق به فى مكتبه للاتفاق على صيغة التنازل . . فقد كان مطلبنا فى الإنذار أن يتنازل الملك عن عرشه لإبنه الأمير أحمد فؤاد .

ذهبت إلى مكتب على ماهر مع أحد الزملاء وهو المرحوم صلاح سالم حيث أطلعناه على صيغة التنازل ، وفيها أن يوضع الأمير أحمد فؤاد تحت الوصاية . . فقد كان وقتها طفلاً صغيراً . ووافقنا على الصيغة ثم أرسلناها إلى الملك فوقعها . . وعلى الفور اتصلت بقائد « المحروسة » وهو يخت الملك الخاص وطلبت إعداده للإبحار بالملك وأسرته فى السادسة مساء على أن يعود اليخت إلى مصر بمجرد انتهاء المهمة .

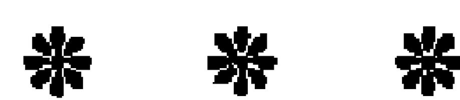
وفى معسكر مصطفى كامل جلسنا نتقبل التهانى . . انتظاراً لحلول ساعة الرحيل . . ثم بعد ذلك اتصلت بالميناء فعرفت أن كل شىء على

ما يرام بالنسبة لليخت ، وإجراءات خروج الملك على ظهرها ، أصدرت أوامرى لمدفعية السواحل بعدم التعرض « للمحروسة » وهكذا فى السادسة من مساء ٢٦ يوليو غادر الملك فاروق الأراضى المصرية . . وكان فى وداعه من رجال الثورة على اليخت محمد نجيب وجمال سالم وحسين الشافعى . .

أما أنا فقد وقفت على ظهر البارجة إبراهيم فى الميناء أراقب الطائرات وهى تحوم حول اليخت « المحروسة » تحيى الملك مودعة إياه . .

وفى مساء ٢٧ يوليو ١٩٥٢ أى بعد خروج الملك بيوم واحد دعانا عبد الناصر كمجلس قيادة الثورة إلى الاجتماع فى القيادة . . وافتتح الاجتماع بقوله : إن المرحلة الأولى من مراحل الثورة نجحت بخروج الملك أمس ، واليوم نحن المسئولون عن البلاد ، وبناءً عليه يجب أن نتخذ قراراً فى أمر مهم ، ولكن قبل اتخاذ هذا القرار يرى من واجبه أن يتنحى عن رئاسة الهيئة التأسيسية ، فقد انتهت هذه الهيئة بنجاح الثورة ونحن اليوم أسميناه « مجلس قيادة الثورة » . وبالنسبة لى شخصيًا فقد أنهيت كل ما كنت أطمع فيه منذ الصغر . . والآن وقد تحققت الرسالة وشاركت فى الحدث من البداية إلى النهاية فقد أعلنا الثورة وأخرجنا الملك وواجهنا الانجليز .

لقد كانت هذه هى حقيقة مشاعرى منذ البداية . .



ومن أوراقهم الخاصة سمعنا شهادة كل منهم . . وعرفنا أين كانوا ليلة ٢٣ يوليو . . والأيام التى سبقتها بقليل أو التى لحقتها أيضاً بقليل . . ورغم أن الأحداث قد ارتبطت بأشخاص آخرين سواء من داخل حركة الجيش والمحيطين بها من العسكريين . . أو من الصحفيين الذين تابعوا من موقع متقدم أحداثها . . مثل مصطفى أمين وعلى أمين وجلال الدين الحمامصى وعلى حمدى الجمال . . وإحسان عبد القدوس وأحمد أبو الفتح . . إلا أننا لم نجد على أرضية هذه الأحداث من دقات منتظمة سوى لأقدام كل من موسى صبرى وهيكل . . من خارج العسكريين .

وقد التقيا سوياً مع فارسهم الثالث « الضابط أنور السادات » الذى كان قريباً منهم إلى حد كبير . سواء بحكم عمله الصحفى كما سبق وبينا أو لصداقته لموسى صبرى كزميل زنزانة أو لعلاقته بعبد الناصر الضابط الذى عرفه هيكل وارتبط به قبل وبعد الثورة . .

وعلى أية حال . . لم يكن قصدنا من ذكر هذه الشهادات الشخصية . . إعادة تسجيل كلمات سبق أن قالها غيرنا فى مناسبات عديدة . . ولكن القصد كان فى الأساس هو الاستمرارية فى إيضاح السمات المشتركة فى حياة كل من هؤلاء الثلاثة سواء داخل بلاط صاحبة الجلالة أو خارجها . .

ومن ناحية أخرى فقد قصدنا إلقاء الأضواء المبهرة على دور الصحفى المصرى الذى اقترب كثيراً من مصدر هذه الأحداث . . بل

وشارك فى صنع بعضها بحكم علاقاته داخل المجتمع السياسى المصرى قبل ٢٣ يوليو ، وما نقصده . بطبيعة الحال . دور موسى صبرى . . ذلك الدور الذى ربما لم ينصفه فيه أحد غيرنا . . مع أنه فى تصورنا دور يساوى دور هيكل فى نفس الحدث قبل وقوعه . . وقد لعبت الصدفة دورها فى إتمام هذه العلاقة .

وأعيد وأكرر أنه لولا تلك النظرة التى اتسمت بالخصومة بين أعضاء مجلس قيادة الثورة وبين موسى صبرى ، لما تجرأ المؤرخون على إهماله وتناولوا مسيرة حياته ودوره السياسى والصحفى تماماً كما تناولوا غريمه هيكل . . وبنفس القدر . . أو على الأقل قد حاول بعضهم عمل مقارنة متساوية بين الرجلين سواء فيما يخص نشاطهما داخل بلاط صاحبة الجلالة أو داخل حياة مصر السياسية . .

الفصل السادس

الخلافات .. الجذور والأسباب والنتائج

ونحن نقلب فى الأوراق من أجل الوصول إلى تأصيل محايد لذلك الخلاف الهائل الذى نشب بين كل من السادات وهيكل وموسى ، والذى ظهرت نتائجه فى العديد من الصور شاهدنا بعضها ، وتاهت بقية ملامح الصور وسط الأحداث . . قد اكتشفنا العديد من الحقائق التى تبلورت عن هذا الخلاف بل وشكلت النسبة الغالبة فيه .

ولقد رأينا أن نقدم هذه الحقائق فى سطور قليلة ، قبل الانطلاق . . للبحث عن الجذور والأسباب والنتائج . . ومن بعدها نحاول أن نعيش فى قلب هذه الخلافات التى لم تخف عن أحد سواء داخل مصر أو خارجها . . وإن فات غيرنا حصرها أو مناقشتها . .

●● **وأولى هذه الحقائق** : أن جذور الخلاف بين الفرسان الثلاثة تمتد إلى سنوات ما قبل حادث ٢٣ يوليو . . ربما بعام أو أكثر . . والتاريخ يسجل لنا ذلك فى أوراقه الصفراء .

ودون الدخول فى تفاصيل ذلك الآن . . نقول : إن الخلاف بين هيكل والسادات وموسى صبرى . . ترجع جذوره بالضبط إلى عام ١٩٥٠ .

ومنذ عودة السادات إلى الجيش وإعادة انضمامه لتنظيم الضباط الأحرار . . أما بالنسبة لموسى صبرى فيعود إلى توقيت دخوله دار أخبار اليوم فى أوائل الخمسينيات مع أستاذه جلال الدين الحمامصى . . فى الوقت الذى كان فيه هيكل نائباً لرئيس تحرير الأخبار . . وسكرتيراً لتحرير مجلة آخر ساعة.

●● والحقيقة الثانية : هى أن هذا الخلاف قد ازدادت ضراوته بعد أحداث ٢٣ يوليو . . وسطوع نجم هيكل بارتباطه الغريب بجمال عبد الناصر دون غيره من ضباط تنظيم الثورة .

ولسوف نلاحظ فى السطور القادمة وفيما يتعلق بهذه الحقيقة . . أن الخلاف بين هيكل وبين السادات بعد أحداث ٢٣ يوليو . . لم يتبلور أو يأخذ صورة العلنية بالقدر الذى كان عليه خلافه مع موسى صبرى . . وقد يكون السبب فى ذلك هو تشابه المهنة لكل منهما . . والتنافس داخل بلاط صاحبة الجلالة . . وقد ظهر ذلك جلياً فى سعى موسى صبرى الدائم من أجل الفوز بمنصب رئيس التحرير مثلما فاز به هيكل من قبل داخل دار أخبار اليوم وخارجها . . وقد ظل على سعيه هذا حتى تمكن بالفعل من الفوز بمنصب رئيس تحرير مجلة الجيل . . ولما فشل فى الفوز برئاسة تحرير الأخبار . . فضل أن ينتقل إلى مؤسسة دار التحرير رئيساً لتحرير جريدة الجمهورية التى أسسها صديق الاعتقال أنور السادات .

أيضاً سوف نعرف أن جذور هذا الخلاف قد نبتت على أرض أخبار

اليوم . . واستمرت طويلاً ولكن فى غير صالح موسى صبرى . . الأمر الذى جعله يعوض ما فاته فى أخريات أيامه . ومحاولته الفوز بمنصب رئاسة تحرير الأخبار ورئاسة مجلس الإدارة رداً على ما حصل عليه هيكل لمدة سنوات طويلة حين تربع على عرش رئاسة تحرير الأهرام . . وكذلك رئاسة مجلس الإدارة .

●● أما الحقيقة الثالثة : فهى أن الخلاف بين موسى صبرى وهيكل كان أخطر من خلاف هيكل والسادات . . وقد يعود ذلك لطول مدة هذا الخلاف الذى نشأ منذ أن وضع موسى صبرى أقدامه على عتبات دار أخبار اليوم . . وظل ساخناً حتى وفاة الأخير ، رغم أن العديد من الصحفيين وأيضاً بعض المؤرخين ينكرون هذه الحقيقة . . ولا هدف لهم من ذلك سوى التقليل من شأن موسى صبرى داخل بلاط صاحبة الجلالة . . فكيف يكون منافساً . . أو على خلاف مع هيكل . . ظاهرة الصحافة المصرية ؟

ولعلنا نعتقد أن السبب الرئيسى وراء هذا الإغفال يعود إلى موقف موسى صبرى المبكر من ثورة يوليو إذ اعتبره جمال عبد الناصر راعى الثورة الأول وزعيمها يقف مع المعارضين الآخرين فى خندق الخصوم . . وما دام موسى صبرى فى نظر جمال عبد الناصر قد أصبح خصماً للثورة . . فقد ظـلت هذه النظرة مسيطرة على كل الذين ارتبطوا بثورة يوليو فى مجال الإعلام وأيضاً كل الذين داروا فى فلك هيكل .

●● **والحقيقة الرابعة :** أن الخلاف بين هيكل والسادات لم يأخذ شكل الصراع العلنى إلا فى مراحله الأخيرة . . خاصة فى الفترة التى شعر فيها السادات بأن هيكل يقف ضده مع خصومه سواء فى الداخل أو فى الخارج . . ونستطيع أن نحدد الفترة التى اتسمت بسخونة الأحداث بين السادات وهيكل . . وهى فترة ما بعد عام ١٩٧١ . . حتى عام ١٩٧٥ . . ورغم أيام الهدنة القليلة . . إلا أنه سرعان ما عاد التوتر بينهما من جديد . . الأمر الذى أدى بالسادات فى النهاية إلى وضع هيكل فى السجن ضمن اعتقالات سبتمبر الشهيرة .

وليس معنى ذلك أن السادات قد حاول ومنذ وصوله لكرسى الحكم أن يصفى خلافاته مع هيكل . . أو أن يتغاضى عن مواقف هيكل ضده سواء قبل الثورة أو بعدها . . بل العكس . . لقد كان السادات يتحين الفرص من أجل أن يجهز على غريمه . . وحتى فى المناسبات التى لم يكن يملك فيها قوة الردع . . كان يعطى الضوء الأخضر لصديقه موسى صبرى كى يتولى عنه هذه المهمة . . وقد عبر كل من السادات وهيكل فى كتاباتهما عن كل ذلك وبتفاصيل مذهلة .

●● **الحقيقة الخامسة :** هى أنه قد لوحظ وجود تشابه غريب فى توقيت بداية الخلاف بين كل من هيكل والسادات وموسى صبرى . . كما لوحظ كذلك فى هذا الخلاف أن البداية كان مصدرها هيكل نفسه . . وليس السادات أو موسى صبرى . ولا شك أن ذلك له معان عديدة

ومتنوعة ، وإن دل على شىء فإنه يدل على إحساس هيكل بالتفرد والعظمة والتفوق أيضاً . . بصرف النظر عن مجالات عمل المنافسين له . . مع ملاحظة هامة سبق قولها وهى أن الخلافات بين كل من هيكل وموسى لم تنقطع أو تخمد مع مرور الأيام . . بل بالعكس كانت تشتعل فى كل الأوقات . . وفى كل المناسبات . . سواء داخل بلاط صاحبة الجلالة أو خارجها .

●● **والحقيقة السادسة والأخيرة** : هى أن هيكل قد عبر علانية عن عمق خلافاته مع السادات . . وقد ذكر ذلك كثيراً سواء فى بعض كتبه التى خصصها لمديح صديقه الراحل جمال عبد الناصر أو للنيل من عدوه السادات ، أو ما ذكره كثيراً أيضاً فى العديد من أحاديثه الصحفية ومقالاته الدورية . .

بينما لم يفصح لنا عن خلافاته مع موسى صبرى . . فى الوقت الذى يعلم فيه الجميع جذور هذا الخلاف وأسبابه . . وقد ترك هذه المهمة لبعض تلاميذه الذين كانوا ينتهزون العديد من الفرص التى لاحت لهم خاصة بعد رحيل السادات كى يتحدثوا بغموض عن هذا الخلاف . . الأمر الذى جعل موسى صبرى نفسه يسارع بتخصيص جزءٍ كبيرٍ من أوراق مذكراته للحديث عن خلافاته مع هيكل . . من حيث الجذور والأسباب والنتائج .

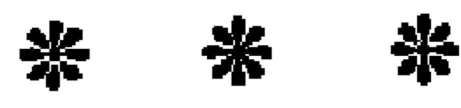
وفى المقابل . . لم يصدر من السادات أى كلام مكتوب نستطيع من

خلاله أن نتلمس مدى عمق هذا الخلاف بينه وبين هيكل . . حتى وهو يكتب مذكراته . . لم يشر من قريب أو من بعيد للوقائع التى ذكر بعضها هيكل أو التى جمعتهما معاً . . بينما كان ينتهز كل فرصة كما سبق وذكرنا من أجل أن يكيل له الضربات . . وفى غير وجود هذه الفرص . . كان يسمح للغريم الثانى أن يواصل الضرب تحت الحزام .

وكانت هذه هى الفرصة الذهبية لموسى صبرى كى يكيل لهيكل بنفس مكياله . . أيام حكم عبد الناصر . . لذلك نلاحظ وابتداء من عام ١٩٧٢ ذلك الدور الإعلامى الخطير الذى لعبه لتشويه صورة هيكل ومحاولة هدم امبراطوريته التى صنعها مع جمال عبد الناصر . . سواء بكتابة المقالات أو بتأليف الكتب . . أو بالكتابة عن السادات . . مما شجع العديد من المفكرين والصحفيين الآخرين الذين ذاقوا مرارة أيام عبد الناصر . . للمشاركة فى هذه المذبحة العلنية . . وطبعاً نذكر منهم مصطفى أمين وأنيس منصور وثروت أباظة . .

وما نحب أن نؤكد عليه فى البداية هو أننا لن نستطيع مناقشة هذه الحقائق الست منفردة بحيث تكون كل حقيقة على حدة . . بل سيكون حديثنا شاملاً بحيث نصل فى نهايته إلى أن نضع أيدينا ونحن مستريحوا الضمير على جذور الخلافات بين الفرسان الثلاثة . . وأسبابها ونتائجها التى ما زال بعضها ماثلاً أمامنا حتى سنوات قريبة ولعلها تبرز بين الحين

والآخر فى كتابات بعض المحيطين بهيكل أو بعض المختلفين مع السادات . .



وحين نلجأ للترتيب الذى ارتضيناه من البداية نجد أننا مضطرين أن يكون حديث الخلاف وجذوره وأسبابه ونتائجه أولاً بين السادات وهيكل . . ثم بين هيكل وموسى . . وأيضاً لن يكون هذا التقسيم جامداً . . بحيث نتمكن من فصل هذه الخلافات وحصرها إلى جانب هـذا أو ذاك . . والسبب هو تداخل الأحداث والشخصيات . . ورغم ذلك سوف نحاول قدر الإمكان توفير نوع من التوحيد . . سواء فى الحدث أو فى الشخصية أو فى المناسبة .

لقد عبر السادات عن عمق خلافاته مع هيكل فى أول حديث له بعد توليته حكم مصر . . وكان يحضره هيكل ضمن مجموعة من الصحفيين المصريين . .

وقال السادات موجهاً حديثه لهيكل : « تفتكر ان الناس فى مصر هيفضلوا لفترة طويلة يقرأوا لصحفى واحد فقط . . هو هيكل ؟ . . المفروض إن ده وضع لازم يتغير . . وفوراً » .

ولم يمهله هيكل كى يكمل جملته . . فرد عليه غاضباً : على أية حال إن كان كلامك ده حقيقى . . وإن الناس كانت بتقرأ فى الصحف

لكاتب واحد . . فهذا وضع أحسن مما هو حادث الآن . . إن كل الصحفيين فى مصر الآن يكتبون لقارىء واحد . . هو السادات [٤٣].

ولسنا فى حاجة إلى الغوص وراء كلمات هذه السطور القليلة . . كى نستدل منها على عمق الخلاف الذى بدا واضحاً بين هيكل وبين السادات منذ أواخر عام ١٩٧٠ . . لأن الأحداث اللاحقة التى وقعت بعد هذا التاريخ قد بينت هذا العمق أكثر وأكثر .

والسؤال الذى يفرض نفسه هنا وبقوة . . هل هذه العبارات الجافة التى تم تبادلها بين السادات وهيكل كانت هى البداية لبذور هذا الخلاف . . ؟! أم كانت هناك علامات لهذا الخلاف ظلت تحت سطح الرمال . . خامدة حتى جاء وقت نبشها السادات وأفصح عنها . . ؟

لا شك أنه كانت هناك بالفعل جذور عميقة لهذا الخلاف . . يكشف لنا هيكل عن بعضها فى أوراقه الخاصة . . حيث يقول فى « يوم ١٥ يناير ١٩٥٠ عاد أنور السادات مرة أخرى إلى سلك ضباط الجيش المصرى . . ولكن إدارة الجيش وجدت أنه ربما كان من الأفضل ألاّ يبقى ضابط تختلف الآراء فى مثله فى القاهرة . . ولهذا فقد أرسل للخدمة فى «رفح » على حدود سيناء الشمالية » . .

---

(٤٣) من حديث غير مكتوب أو مسجل للأستاذ هيكل مع كاتب هذه السطور . . فى مقابلة خاصة . . تمت قبل الإعداد لهذا الكتاب . .

ولما كان هيكل من الصحفيين المصريين القليلين الذين اهتموا بشئون الجيش وأحواله قبل تاريخ ٢٣ يوليو . . فقد كان دائم التنقل داخل وحداته العسكرية والالتقاء ببعض القادة الذين كان على مقربة منهم بدءاً من الفريق حيدر باشا وزير الحربية فى ذلك الوقت . . ومروراً بصغار الرتب العسكرية .

وفى إحدى زيارات هيكل لبعض الوحدات العسكرية . . التقى لثانى مرة بالضابط أنور السادات ـ ففى مقر الفرقة الأولى للمشاة فى رفح ـ يقول هيكل « رأيت أنور السادات وقضيت يوماً كاملاً معه . . كنت فى ذلك الوقت قد فرغت من تغطية حرب فلسطين كصحفى وكنت دائم العودة إلى مسارح العمليات . . وكنت أحرص على زيارة قطاع غزة مرة كل سنة على الأقل . . وكان أن التقيت بأنور السادات فى إحدى هذه المرات . . ولم تكن هذه أول مرة نلتقى فيها ، فقد وجدته ذات مساء فى بيت (يوسف رشاد) المطل على النيل فى الجيزة . . كنت هناك ضيفاً على العشاء مع آخرين وذهبت مبكراً بعض الشىء حتى أسمع من « يوسف رشاد » بعض ما يجرى ، وعندما دخلت وجدته جالساً مع شخص عرفت ملامحه على الفور من متابعة وقائع محاكمة قتلة « أمين عثمان » . . ومع ذلك فإن يوسف رشاد قدمه لى باسمه وتبادلنا حديثاً عابراً ثم استأذن وانصرف وربما من أثر هذا اللقاء ـ والحديث لا يزال لهيكل ـ فإن السادات أقبل على بحرارة عندما لمحنى هذه المرة ، ولم يتركنى طوال اليوم

وأصر على دعوتى للغداء فى بيته رغم أنه كان يعيش وحده بين رفح والعريش . . . ثم اكتشفت أن الهدف من إلحاحه على صحبتى هو أنه أراد أن يعرض على كتاباته لأرى ما إذا كان يمكن نشر بعضها فى مجلة آخر ساعة التى كنت أرأس تحريرها فى ذلك الوقت . . كانت الكتابات التى قدمها إلىّ فى ذلك اليوم مجموعة من القصص القصيرة تملأ دفتراً كبيراً مكتوبة كلها بخطه . كذلك قدم لى رواية طويلة بعنوان « أمير الجزيرة » وأخذت القصص معى إلى القاهرة وافترقنا .

وبطبيعة الحال . . لم ينشر هيكل أى قصة من القصص التى تسلمها من السادات فى العريش . . والتى كانت كما أكد هيكل بخط يد السادات . . والأمر هنا لا يحتاج إلى تعليق . . فالسادات كما هو معروف عنه . . لا ينسى أبداً المواقف التى شعر خلالها بالضعف أو الإهانة من جانب الآخرين . . لذلك ظلت هذه الواقعة تعيش فى ذهنه حتى آن الأوان للرد عليها . . ولكن بشكل أعنف .

وأما المرة الثالثة التى تقابل فيها هيكل مع السادات . . فكانت ليلة الثورة حين شاهده يدخل إلى مقر القيادة وكانت الساعة الثالثة صباحاً . . ويبدو أنه لم يتم بينهما أى اتصال فى هذه اللحظات . . وإن كان هيكل قد سجل بعض انطباعاته الشخصية عن هذه المرة أيضاً حيث قال : « . . وكان السادات فى هذه الليلة مشدوهاً وهو يسمع من عبد الحكيم عامر بأن كل شىء قد تم تنفيذه بأقصى درجة من النجاح . .

وساعتها سمعه هيكل يقول : انه سوف ينزل إلى بدروم القيادة حيث «سويتش» التليفونات لكى يتأكد من حسن عمله » .

ومنذ هذه الليلة ظل هيكل يرقب السادات عندما عرف بأنه أحد رجال تنظيم « الضباط الأحرار » . . . . كما أخذ يبحث عن مكان هذا الرجل داخل مجلس قيادة الثورة وعن دوره المؤثر . . ويبدو أن لهفة هيكل على احتواء الرجل الأول داخل مجلس قيادة الثورة قد أجلت استمرارية خلافاته مع السادات إلى حين . . فى نفس الوقت الذى كان فيه السادات يعيش بجوار هيكل وعلى مرأى منه . ويرقب محاولاته المتعددة لإحكام السيطرة على عبد الناصر . . كما كان يتحين الفرصة تلو الأخرى من أجل أن يكيل لهيكل عند رفيق السلاح والثورة وحاكم مصر.

وقد جاءت هذه الفرصة فعلاً . . حين اكتشف عبد الناصر خطورة هيكل فى أواخر أيامه . . وقد تحدث السادات نفسه عن هذه الفرصة فى إحدى لقاءاته الصحفية المتعددة . .

عندما صدر التعديل الوزارى وكان هيكل يخشى إخراجه من الأهرام ثم إخراجه من الوزارة بعد ذلك . . لأن هيكل كان أول من يعلم أنه من عادة عبد الناصر أن يقسم قراراته ويظهرها قراراً بعد قرار ، كما أن هيكل كان متضايقاً لأنه وضع فى مرتبة واحدة مع سامى شرف .

لقد ذهب هيكل إلى منزل أحد الصحفيين بالأهرام وعقدوا

اجتماعاً . . وكان سامى شرف يراقب هذا المنزل بأجهزة تصنت ثم أخذ الشريط وقدمه إلى عبد الناصر . . الذى استمع إلى الشريط واتصل بالسادات على الفور وشكا له من هيكل .

وفى اليوم التالى التقى السادات بهيكل وقال لـه : « جرى لك إيـه . . أنت أهبل . . الراجل عاوز يشغلك معاه تقوم تهرب » .

لقد قرر عبد الناصر فعلاً تعيين هيكل وزيراً للاعلام . . فى مقابل سامى شرف وزيراً لرياسة الجمهورية . . وعندما سأل عبد الناصر السادات فى هذا التعديل قال له : « كويس وضربة فى الصميم . . ! » .

وهيكل نفسه يؤكد لنا هذه الواقعة . . حين قال : « . . وأعترف بأن التوتر أصابنى يوم أصدر عبد الناصر قراراً بتعيينى وزيراً للإعلام . . يومها كنت فى بلدة « برقاش » . . وعدت إلى الأهرام فبعثت برسالة اعتذار لعبد الناصر عن هذا المنصب . . وفى اليوم التالى جاءنى السادات وكان يوم شم النسيم عام ١٩٧٠ فى محاولة لإقناعى بقبول المنصب الوزارى . . وأبلغنى بأن عبد الناصر قال له إنه لا مجال لقبول الاعتذار » .

لقد شعر السادات فى قرارة نفسه أن الوقت فى صالحه وتصور أن هذه اللحظة هى البداية . . ويبدو أن السادات كان محقاً إلى أبعد الحدود فى هذا الإحساس . . فقد خدمه الحظ . . وعجل برحيل عبد الناصر . .

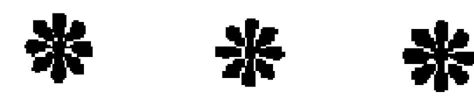
وتم اختياره بمشاركة هيكل نفسه رئيساً لمصر .. الأمر الذى هيأ له الفرصة الكاملة من أجل تصفية بقية حساباته .

ونستطيع بسهولة أن نتعرف على المرحلة الثانية من مراحل الصراع والخلاف بين الاثنين ، من تلك الكلمات التى أعلنها السادت فى بداية حكمه لمصر .. حيث قال بالحرف الواحد « .. نشأ محمد حسنين هيكل كمركز قوة آخر .. كان يتولى الدعاية للنظام .. ولكل قرارات النظام .. كان هو المخرج الفنى .. وقد أشركه عبد الناصر فى كل تفصيلات الأمور لدرجة أن هيكل اقتنع فعلاً بأنه شريك فى الحكم .. وكانت هذه هى عقدته معى بعد أن توليت المسئولية . لم يستطع أن يدرك أن مفاتيح شخصيتى مختلفة تماماً عن مفاتيح شخصية عبد الناصر . ويبدو أنه كان متصوراً أننى غير منتبه لهذا الوضع » .

وابتداء من عام ١٩٧١ .. كان الخلاف قد بدأ على أشده .. واحتل رقعة واسعة من أحاديث الناس همساً وتصريحاً .. وهيكل يعترف بذلك فى أوراقه الخاصة .

ولسوف نتوقف عند هذا الحد من ذكر تفاصيل هذا الخلاف .. ثم سرعان ما نعود إليه مرة أخرى .. لأننا سوف نبدأ حديثاً ومن نوع جديد من أنواع هذه الخلافات . وشخصية أخرى طالما اصطدمت طويلاً مع هيكل وتأثرت إلى حد بعيد بأسباب الخلاف بينه وبين السادات .. وكانت بينهم أرضاً صلبة التقوا فوقها جميعاً داخل حلبة الصراع .

إن الدور الآن على موسى صبرى نبحث معه ومع الآخرين عن جذور خلافه مع هيكل . . ولسوف نلاحظ كثيراً اشتراكه مع السادات فى العديد من مواقف هذا الخلاف . . سواء فى مراحله الأولى أو الأخيرة .



يقول موسى صبرى فى رده على سؤال حول موضوع هذه الخصومة :
«إن التعبير الصحيح الذى يجب أن يتطابق مع الحقيقة أن ما بينى وبين هيكل هو خصومة وخلافات وليست عداوة . . ولهذه الخصومة أصل وجذور . . فعندما عمل هيكل معنا فى الأخبار ورغم أنه أعطانى المسئولية الأولى ، والتى كنت أرفضها ، فلم يكن من الممكن أبداً أن يكون هيكل رئيساً لمجلس إدارة الأهرام والأخبار فى نفس الوقت . كان خلافى مع هيكل خلافاً مهنياً ثم . . إن هيكل كان المفتى . . كما كان مشاركاً فى إصدار القرار . . كان يشارك فى حكم مصر . . ورأيى أن هيكل قد قضى على مهنة الصحافة فى عهد عبد الناصر ولا شك فى ذلك . . فقد كنا نكرر نكتته هى « أن الصحف تصدر فى أندونسيا ما عدا الأهرام » [(٤٤)] .

وبالرجوع إلى تاريخ هذا الحوار . . اكتشفنا أن الكاتب الصحفى محمد مصطفى قد أجراه فى سنوات ما بعد الثمانينات . ولذلك نجد أن

(٤٤) نجوم الصحافة شهود على العصر ـ محمد مصطفى (ص ٥٦ ـ ٥٧) .

موسى صبرى لم يفصح كثيراً عن جذور ذلك الخلاف . . الأمر الذى جعلنا نجتهد فى البحث داخل كل مؤلفاته . . من أجل العثور على هذه الجذور .

ولم يطل بنا البحث . . فقد اكتشفنا أن موسى صبرى قد خصص العديد من فصول كتبه التى أصدرها ابتداء من عام ١٩٧١ وما بعدها من أجل هذا الغرض . .

وعلى وجه الخصوص كتابه (٥٠ عاماً فى قطار الصحافة) . . الذى كشف لنا فيه عن عمق هذه الجذور . . وأسباب هذا الخلاف وهذه الخصومة وليس هذا العداء . . « كما كان يحب أن يؤكد هو دائماً ! » .

إن بذور الخلاف بين هيكل وموسى . . قد نبتت كما ذكرنا على أرض أخبار اليوم . . منذ أن وضع الأخير قدمه لأول مرة داخل هذه الدار . . حين عرض عليه أستاذه جلال الحمامصى أن يعمل بجانبه فى أخبار اليوم . . وبعد أن تحدث فى شأن تعيينه مع أصحاب (الدار) مصطفى وعلى أمين . . وفى اليوم السابق على المقابلة التى تم تحديدها له مع مصطفى أمين . . زاره الأديب الراحل عبد الرحمن الشرقاوى وكان من قبل يعمل فى أخبار اليوم .

ويقول موسى صبرى عن تفاصيل هذه الحكاية : « . . ولما قلت له إننى سأعمل فى أخبار اليوم . . فاجأنى بأن محمد حسنين هيكل وكان

يجلس مع محررى أخبار اليوم بالأمس ، وقال لهم إن موسى صبرى لن يعمل فى أخبار اليوم ولن يدخلها » .

ويؤكد موسى صبرى على صدق هذه الرواية بقوله : « ولولا أن ناقل الراوية هو عبد الرحمن الشرقاوى لما صدقت . . لأننى لم أعرف هيكل من قبل ، إلا مرة عابرة ، عندما جاء إلى مبنى جريدة « الزمان » ليزور صديقه محمد عبد النبى . . بل إننى كنت معجباً به لتحقيقاته فى فلسطين . وأكد لى الشرقاوى صدق روايته لأنها حدثت فى حضوره . لقد سمعت هذه الحكاية من عبد الرحمن الشرقاوى ليلة أول يناير عام ١٩٥٠ . . وقبل أن أدخل أخبار اليوم » .

ولما نقل موسى هذا الرأى الذى صدر عن هيكل لمصطفى أمين صاحب الدار . . صمم على تعيينه فى أخبار اليوم محرراً برلمانياً . . ونقل هذه الرغبة إلى أخيه « على » الذى رحب به هو الآخر . .

ويبدو أن هذا الموقف العدائى المبكر لهيكل من ذلك الصحفى الجديد فى أخبار اليوم قد نبع فى الأساس من خلاف هيكل مع مصطفى أمين . . لأنه واضح من الرواية أن جلال الحمامصى هو الذى أقنع مصطفى أمين كى ينضم إلى أسرة أخبار اليوم فى الوقت الذى كان فيه هيكل نائباً لرئيس تحرير مجلة آخر ساعة والذى كان يميل فى تعاملاته وعلاقاته الشخصية أكثر ناحية على أمين .

ولقد عبر لنا هيكل بنفسه عن خلافاته المبكرة مع مصطفى أمين فى أكثر من مناسبة . . كما أشيع داخل بلاط صاحبة الجلالة أن الأخير قد استغنى عن خدمات هيكل أكثر من مرة أثناء غياب وسفر أخيه « على » الذى كان بعد رجوعه سرعان ما يعيد هيكل إلى أخبار اليوم من جديد .

وما نود أن نشير إليه فى هذا السياق أن بدايات الصراع بين كل من هيكل وموسى صبرى قد ظهرت وهما فى السنة الأولى أو الثانية داخل بلاط الصحافة المصرية . وهذا ما توضحه لنا قاعدة حساب السنين فى عمر كل منهما . .

إن الخلاف بالنسبة لموسى قد بدأ منذ أوائل عام ١٩٥٠ . . معنى ذلك أن عمره كان فى هذه الفترة خمسة وعشرون عاماً ، فى مقابل عمر هيكل الذى كان فى ذلك الوقت ستة وعشرين عاماً ومن ناحية أخرى نجد أن موسى صبرى فى ذات الفترة . . لم يكن قد قضى سوى أكثر من ثلاث سنوات صحفياً محترفاً . بدءاً بالعمل فى صحيفة الأساس ثم الزمان . . ثم أخبار اليوم . . وكذلك هيكل لم يكن قد قضى هو الآخر أكثر من هذه السنوات الثلاث حيث بدأ عمله الصحفى محترفاً فى جريدة « الإجيبشيان جازيت » ثم انتقل مع أستاذه محمد التابعى إلى دار أخبار اليوم محرراً فى مجلة آخر ساعة .

ومنذ هذا الوقت المبكر بات على الاثنين أن يعيشا داخل بلاط

صاحبة الجلالة فوق فوهة بركان . . يثور أحياناً ويخمد أحايين كثيرة ، ثم سرعان ما يثور من جديد حين يجد من يشعل له الفتيل من داخل البلاط أو من خارجه .

وفى تصورنا أن كلاً من هيكل وموسى قد أصبحا ومنذ خلافهما الأول تحت رحمة غيرهما من أساتذة صناعة المؤامرات وكذلك الحكايات . . ولم لا . . ؟ فقد كان العديد من هؤلاء الأساتذة يصنعون الأحداث سياسياً واجتماعياً . . فهل كانوا سيعجزون عن صنع مثل هذه الحكاية الصغيرة؟ خاصة وأن بطليها فى هذه الفترة المبكرة كانا صغيرين فى السن والخبرة .

ويبدو أن الأحداث التى تلاحقت بعد هذا التاريخ قد ساهمت هى الأخرى فى تعميق جذور هذا الخلاف بين هيكل وموسى صبرى . ولعل أهمها نجاح ضباط الجيش المفاجىء فى اقتلاع عرش الملكية فى مصر ثم ما أعقبه من نجاح . . فاز به هيكل وحده دون غيره من الصحفيين . . وقد ساعده ذكاؤه المبكر فى إحراز هذا النجاح على غير ما تصور الآخرون . . خاصة عندما بادر بالاقتراب من جمال عبد الناصر . . حتى قبل أن يتم فرضه رئيساً لمصر . . فى الوقت الذى تأخر غيره إلى الصفوف الخلفية ، بل واختفوا تماماً عن الصورة .

وكان من حظ موسى صبرى العاثر . . أنه اصطدم بالثورة ورجالها منذ البداية ، فى الوقت الذى اقترب فيه هيكل أكثر . . وتمكن ببراعة من الجلوس داخل تجويف عقل الرجل الأول والمدبر لها . . الذى أصبح بعد

سنوات عديدة رجل مصر الأول . ورجل الأمة العربية . . ومن هنا فقد ازداد الخلاف وتعمقت جذوره داخل تربة أخبار اليوم . . بل وداخل كل أروقة صاحبة الجلالة . .

والحق أن موسى صبرى قد وجد نفسه وحيداً داخل الساحة . . ومنذ هذه الفترة المبكرة . فى حين التف حول هيكل عشرات من الصحفيين وغير الصحفيين فى كل المؤسسات الإعلامية . . وقد ظلوا طويلاً يحتفظون بأماكنهم التى مكنتهم من توجيه ضربات مباشرة ومؤثرة ضد موسى صبرى تحت سمع وبصر جمال عبد الناصر وكذلك أمام هيكل نفسه . .

ويعترف موسى صبرى أنه خلال الفترة من عام ١٩٥٧ إلى عام ١٩٧٠ قد ناله الكثير من أذى رجال الثورة وفى مقدمتهم جمال عبد الناصر وهيكل . . إذ تم الاستغناء عن خدماته أكثر من ثلاث مرات . . وبات صحفياً عاطلاً فترة لا بأس بها . حتى أثناء الفترة القليلة التى حاول أن يهرب فيها من جحيم هيكل وشبحه الذى ظل يطارده فى دار أخبار اليوم . . حين قرر الانتقال إلى صحف الثورة والعمل بمؤسسة التحرير للصحافة والنشر . . صحفياً يدعو لأفكار عبد الناصر . . عسى أن يجد ذلك صدى طيباً فى نفس هيكل وعقل عبد الناصر . .

ولم يشفع عند أصحاب النفوذ آنذاك علاقة موسى صبرى

بالسادات . . لأن الأخير كان يعيش هو الآخر فى هذه الفترة على هامش الحياة السياسية . . سواء بالنسبة لعبد الناصر أو بالنسبة لأحداث مصر بشكل عام ، إلا من فترات قليلة ظل فيها السادات على علاقة طيبة بعبد الناصر . . الأمر الذى جعل منه خير مراقب للعديد من الأحداث التى شارك فى صنعها جمال عبد الناصر ورسمها هيكل .

وكما سبق وذكرنا فإن الخلاف بين هيكل وموسى . . لم يكن خلافاً ضيقاً . . بمعنى أنه لم يكن يقتصر على الاثنين فقط . . بل امتد كى يشمل جبهات متعددة داخل بلاط صاحبة الجلالة أو خارجها . . وإن بدا ذلك على استحياء فور اشتعال الخلاف، ثم أخذ طابع العنف من بعد ذلك .

وموسى صبرى ينقل لنا العديد من صور المعاناة التى واجهته فى حياته من جراء خلافه مع هيكل . . فهو يقول : فى الأيام الأولى لى داخل أخبار اليوم وأثناء مرورى فى الطرقة التى تنفتح عليها حجرات التحرير ، سمعت صوتاً عالياً يقول فى سخرية : « هو ده موسى صبرى اللى بيقولوا عليه ؟ » . ووقفت ونظرت إلى الغرفة التى صدر منها الصوت، فإذا به جليل البندارى وحوله عدد من الأشخاص ، وبادرنى بلهجة ساخرة . . أنت موسى صبرى ؟ . . وضحك . . وضحك من حوله . وشعرت أنه تعمد التهوين من شأنى . . ولم أرد عليه . . وعلمت بعد ذلك أنه صديق قريب جداً من هيكل وأنه أراد استقبالى بهذا الأسلوب الكاريكاتيرى سخرية منى وإرضاء لهيكل » .

ولم يمر على هذه الواقعة سوى سنوات عديدة ، حتى جاءت سنة ١٩٥٣ بالمزيد من الخلافات بين الاثنين . . الأمر الذى جعل موسى يقدم استقالته من أخبار اليوم بعدما تم تعيين هيكل رئيساً لتحرير آخر ساعة . . والسبب كان يرجع إلى مشاكل مهنية متعددة تتعلق أولاً وأخيراً بنظرة هيكل غير المريحة لموسى صبرى . . وعدم تقديره لما يكتبه على صفحات مجلة آخر ساعة . . ورغم تصفية هذا الخلاف فى حينه إلا أن هذه الكلمات التى ذكرها موسى صبرى فى أوراقه الخاصة يمكن أن نستدل منها على الكثير . . حيث قال : « . . وعلى أثر تقديمى هذه الاستقالة . . دعانى مصطفى أمين إلى مكتبه حيث وجدت هيكل . . وقال مصطفى أمين إنه لا يريد الدخول فى تفصيلات أسباب الاستقالة . . ولكنه يدعونا إلى أن نمد أيدينا . . ونبدأ صفحة جديدة . . وانتهت الأزمة شكلاً . . ولكن بقى ما فى النفوس كما هو » .

لقد ظل هيكل يرتب الأوراق بعد هذا اللقاء . . ويُعد لضربة قوية ضد موسى صبرى حتى بعد أن ترك أخبار اليوم إلى الأهرام . فقد أقنع عبد الناصر بتعيين أحمد بهاء الدين رئيساً لتحرير الأخبار بدلاً من موسى . . . رغم أن موسى كان يعمل أساساً نائباً لرئيس تحرير الأخبار منذ صدورها فى مارس عام ١٩٥٢ ، وكان مسئولاً مسئولية كاملة عن إصدارها . . الأمر الذى جعل موسى يفر ببدنه وبقلمه من قلعة هيكل التى كان لايزال مسيطراً عليها حتى بعد خروجه منها إلى جريدة

الجمهورية على أمل أن يجد مخرجاً وهروباً كريماً من هذا الصراع . وقد ظل هناك سبع سنوات . . ينعم براحة مؤقتة . . ثم سرعان ما عاودته آلام الصراع مع هيكل من جديد على إثر عودته إلى الأخبار مرة أخرى . . فلم يلبث بها سوى عدة أشهر قليلة حتى رتب له هيكل الأمور مرة أخرى ومهد له الطريق من أجل القضاء عليه للمرة الأخيرة . . وبالفعل تورط موسى صبرى فى كتابة عدة تحقيقات صحفية عن قضية الذهب التى أثيرت بعد هزيمة ١٩٦٧ ، مما جعل عبد الناصر يصدر أوامره بعزل موسى من الصحافة . . ونقله إلى جريدة الجمهورية بلا عمل . ويؤكد موسى صبرى أن هيكل كان وراء هذا القرار أيضاً . بدليل عشرات العبارات التى ذكرها فى أوراقه الخاصة عن هذا الموضوع (٤٥) .

وحتى عندما أراد موسى صبرى أن يشارك فى العمل الصحفى بجدية حين نقل تعسفياً إلى جريدة الجمهورية فى المرة الأخيرة ، وحاول أن يحقق بعض الانتصارات الشخصية داخل بلاط صاحبة الجلالة . . لم يمهله هيكل أيضاً كى يحقق ذلك . . وقد ظهرت هذه الرغبة جامحة فى نفس هيكل عندما قرر أن يفسد على غريمه نشوة نصره الشخصى . حين

---

(٤٥) تفاصيل قرار فصل موسى صبرى ودور هيكل فيه ـ تناوله فى كتاب ٥٠ عاماً فى قطار الصحافة . . فى فصل بعنوان « قرار بالفصل من الأخبار بعد اليوم الحزين . ابتداء من ص ٤٢٥ وما بعدها .

نجح فى الحصول على حق نشر مذكرات أكبر قواد الجيش السوفيتى فى الحرب العالمية الثانية فى جريدة الجمهورية عام ١٩٦٩ . . فقد فوجىء موسى صبرى فى صباح الأحد ١١ مايو . . وقبل أن يبدأ النشر فى جريدته بعدة أيام . . أن صحيفة الأهرام التى يرأس تحريرها هيكل قد بدأت فى نشر نفس هذه المذكرات !! .

ويبدو أن موقعة نشر هذه المذكرات كانت آخر المعارك الساخنة بين هيكل وموسى صبرى . . إذ ابتسم الحظ للأخير ولأول مرة منذ أوائل عام ١٩٥٠ . فبعد أن كسب موسى معركة نشر المذكرات التى أوصلها إلى مجلس نقابة الصحفيين واعتذار الأهرام عن هذا الخطأ والتنازل لجريدة الجمهورية التى كان يعمل بها صحفياً مع إيقاف التنفيذ والسماح لها بمواصلة النشر فى حين توقفت الأهرام . . بدأت علامات النصر تبدو له فى الأفق فلم تكد تمر عدة أشهر حتى عاد موسى إلى أخبار اليوم . . رئيساً لتحرير جريدة الأخبار وبمساعدة صديق الزنزانة أنور السادات نائب رئيس الجمهورية . . ثم سرعان ما توترت العلاقات بين هيكل وراعيه الأول جمال عبد الناصر ، بعد واقعة التسجيل التى كان بطلها سامى شرف ، والتى أشرنا إليها من قبل ، مما جعل عبد الناصر يقرر تعيينه وزيراً للإعلام كبداية لإخراجه من قلعته الحصينة . . جريدة الأهرام . ولولا وفاة عبد الناصر لخرج هيكل من الأهرام فى غضون أشهر قليلة . .

ولكن وكما ذكرنا فقد بدأ الحظ يبتسم لموسى صبرى حين جاء صديقه إلى الحكم . . وبدأ بينهما نوع من الالتقاء فى المصالح الشخصية خاصة فى صراعهما ضد هيكل .

وابتداءً من عام ١٩٧١ . . دخل الصراع بين الثلاثة مراحله الأخيرة . ولكن مع حدوث تغير واضح فى ملامح الصورة . . إذ بات هيكل وحيداً داخل حلبة هذا الصراع فى مواجهة السادات وموسى صبرى . . وهو ما كان عليه موقف موسى صبرى قبل هذا التاريخ . إذ كان هو الآخر وحيداً ضد هيكل وعبد العناصر .

ويبدو أن الخلاف الذى طال أمده بين الثلاثة قد قارب على النهاية ولكن فى غير صالح هيكل . . إذ اجتمعت فى يد السادات الغريم الأول كل السلطات . . فى الوقت الذى فشل فيه فى احتوائه كما فعل من قبل مع عبد الناصر . . الأمر الذى فتح الطريق أمام الغريم الثانى « موسى صبرى » كى يتقدم الصفوف . . ويقف بكل همة . . رافعاً قلمه فى وجه هيكل ، كى يضع نهاية قوية لصراعه الطويل داخل بلاط صاحبة الجلالة وخارجه .

ولنا أن نتصور مدى العنف الذى اتسمت به النهاية والتى سوف نتعرف على ملامحها بعد مواصلتنا استعراض تفاصيل آخر مراحل هذا الصراع وهذا الخلاف .

* * *

ورغم ما كان بين هيكل وبين السادات من خلاف أصبح على أشده خاصة فى الفترة التى تلت عام ١٩٧٢ . . إلا أنه لم يكن يسمح بتداول هذا الخلاف علانية . . أو حتى يشار إليه من قريب أو من بعيد . . وهذه نقطة ذكاء تحسب للسادات الذى فضل ألا يدخل فى صراع مباشر مع هيكل إلا بعد أن يتخلص من بقية خصومه . وهذا ما حدث بالفعل .

وفى المقابل حاول هيكل أن يجرب مع السادات . . نفس أسلوبه السابق مع عبد الناصر ، عندما سارع إلى تأييد ترشيحه ثم انتخابه رئيساً لمصر . . مفضلاً إياه على غيره ممن كانوا يحيطون بعبد الناصر ويأملون فى الفوز بهذا المنصب . وكان هدفه من وراء ذلك أن يحسن هذا الموقف الإيجابى من صورته لدى السادات .

بل أكثر من ذلك . . استمر هيكل فى علاقته الطيبة مع السادات ضد خصومه . . وعلى وجه الخصوص ضد على صبرى . . الذى رفض أن يعينه السادات رئيساً لوزراء مصر . . وأيده فى ذلك هيكل . . واقترح بدلاً منه اسم الدكتور محمود فوزى . ولم تتوقف جهود هيكل عند هذا الحد . . بل سارع بعد موافقة السادات إلى منزل الدكتور محمود فوزى كى يقنعه بقبول هذا الترشيح .

ولا شك أن حيلة السادات هذه قد ساهمت كثيراً فى تأجيل استئناف صراعه مع هيكل . . ولكن عندما استقرت له الأمور واستطاع أن يكسب

المعركة من كافة الوجوه . . سياسيًّا وشعبيًّا وصحفيًّا . استدار كى يجهز عليه . . وطبعاً لم يكن موسى صبرى بعيداً عن شد خبل المشنقة ! . بل كان هو عشماوى الذى نفذ حكم الإعدام .

ولما انكشفت هذه الحيلة لدى هيكل وبدأ يشعر بالخطر بعد إخراجه من قلعته بالأهرام ومنع نشر مقالاته الأسبوعية الشهيرة بدأ هو الآخر يفصح بقوة عن خلافاته العنيفة مع السادات . وإن كان قد أخفاها مع موسى صبرى . سواء فى أحاديثه الصحفية أو فى كتاباته خارج مصر . . أو فى مؤلفاته العديدة التى ظل ينشرها بعد رحيل السادات .

وهنا برز دور موسى صبرى بقوة . . وظهرت المصالح المشتركة بينه وبين السادات فى ضرب هيكل والإجهاز عليه . . وقد كان . . حيث تولى موسى قيادة قافلة الصحفيين الذين بدأوا حملة عنيفة ضده وضد مراكز القوى . . بل وضد كل خصوم السادات . . حتى عبد الناصر نفسه لم يسلم من هذه الحملة .

ويبدو أن هيكل لم يكن يتوقع هذه المباغتة من جانب السادات . . فقد وقف بجانبه كثيراً سواء فى اختياره نائباً للرئيس أو رئيساً لمصر . .

وهذا المعنى قد أكده هيكل حين قال : فى الشهور الأولى من رئاسة السادات بدا لى أن آراءنا قد تتوافق وأن تعاونى إلى أقصى الحدود معه قد يكون مفيداً . . وكان من جانبه يرى أننى وقفت بوضوح لا لبس فيه . .

وحين اقترحت اختياره رئيساً لمصر للمدة التى قررها الدستور وهى ستين يوماً . . حتى ترشح الهيئات السياسية والدستورية من تشاء للرئاسة ثم تطرح اسمه للاستفتاء العام . وأحسست أن أنور السادات استراح لما قلت . وفى أول أكتوبر عام ١٩٧٠ ، ويوم الثالث من أكتوبر كتبت للسادات استقالتى وبعثت بها إليه وحاول ملحاً إقناعى العدول عنها . . لقد كانت وجهة نظره أنه فى حاجة إلى ، ثم من ناحية أخرى ماذا يقول الرأى العام إذا عرف أن أقرب الناس إلى جمال عبد الناصر استقال بعد ثلاثة أيام من رئاسة أنور السادات ؟ .

ولا شك أن تلك كانت هى الأخرى محاولة ذكية من جانب هيكل للتعرف على بقايا مكنونات خفايا السادات ورد فعله تجاه ما قام به . . وطبعاً لم يحدثنا هيكل عن هذه الردود . . ولكن غريمه موسى صبرى قد سجل لنا بعضها فى أوراقه الخاصة . وكانت مثار تعليق العديد من الصحفيين الآخرين الذين نشروا نص رسالة الاستقالة وقالوا بأن أسلوبها لا يليق بمخاطبة رئيس الدولة .

ويبدو أن نجاح السادات فى حصد كل معارضيه جملة واحدة بعد ١٥ مايو عام ١٩٧١ . . جعل هيكل يشعر بأن الدور حتماً قد جاء عليه . . وبالتالى لا بد له من بناء خط دفاع يقف وراءه حين تأتى اللحظة المناسبة .

وعليه فقد بدأ هيكل فعلاً يسرب بعض الأخبار التى يشتم من رائحتها باستمرار خلافاته مع السادات . . ومن بعدها عاد وجمع كل نقاط هذا الخلاف ونشرها فيما بعد فى كتاب . وقد قسمها إلى احدى عشرة نقطة . . بعضها كان قبل انتصار أكتوبر عام ١٩٧٣ والبعض الآخر كان ابتداء من عام ١٩٧١ .

لقد أعلن هيكل أنه اختلف مع السادات فى موضوع «سنة الحسم» . وفى الطريقة التى عالج بها مظاهرات الطلبة فى أواخر عام ١٩٧١ . وكذلك موضوع علاج الفتنة الطائفية . . كما اختلف معه أيضاً فى موضوع الوحدة مع ليبيا . ولعل أهم نقاط خلافهما بعد حرب ١٩٧٣ . . كانت بسبب الاتصالات التى أجراها السادات مع الأمريكان . وكذلك بسبب الطريقة التى أخرج بها الخبراء السوفيت . .

ثم جاء الخلاف الأكبر بينهما حول اعتراض هيكل على كيفية الإدارة السياسية لحرب أكتوبر . . . وردود فعل هذه الانتصارات فى كتاباته سواء فى الأهرام أو فى الصحف الأجنبية . . الأمر الذى جعل السادات يضيق أخيراً بهيكل . . ويستدعيه فى أواخر شهر ديسمبر عام ١٩٧٣ . . كى يفصح عن هذا الضيق . . حين قال له بالحرف الواحد : « إن مقالاتك تحدث بلبلة فى الرأى العام العربى كله . . وإنك لم تعد صحفياً . بل أصبحت سياسياً ، ولا بد لك أن تترك الصحافة إلى

السياسة » . ويقول هيكل : إن السبب فى غضب السادات فى هذه الآونة هو مقال كتبته بعنوان « أسلوب التفاوض الإسرائيلى » .

وكان المقال فى الواقع نقداً لأسلوب المفاوض المصرى . . وقد قرأ الرئيس السادات هذا المقال فى طائرة كانت تقله إلى السعودية ، وعاد من رحلته حيث بلغت ثورته مداها . . وفى هذا اللقاء عرض السادات على هيكل . . إما أن يختار العمل فى الوزارة نائباً لرئيس الوزراء أو فى الرياسة مستشاراً للرئيس لشئون الأمن القومى . . فرفض هيكل العرضين . . وانتهت المقابلة بمشادة حامية .

وحين انصرف هيكل من هذه المقابلة ، كان قد أيقن أن أيامه داخل قلعة « الأهرام الصحفية » معدودة . . لذلك أراد فى خلال الأشهر التى سبقت « الخروج الكبير » أن يسجل أكبر نقاط له داخل حلبة صراعه مع رئيس الدولة . . فأخذ يصب جام غضبه على الرئيس وعلى سياسته الداخلية والخارجية ، واستخدم مقاله الأسبوعى « بصراحة » كى ينقل من خلاله هذا الغضب . فكتب مقالاً له نشر فى جريدة الأهرام فى فبراير ١٩٧٤ . وقبل الخروج الكبير بعنوان « الظلال والبريق » . ذلك المقال الذى كان على حد قول الدكتور الحسينى الديب « القشة التى قصمت ظهر البعير » .

لقد جاء توقيت هذا المقال بالغ السوء على السادات . . حيث نشر فى الوقت الذى كان يتفاوض فيه مع هنرى كيسنجر بخصوص فض

الاشتباك الأول بين القوات المصرية والقوات الإسرائيلية . والسبب أن هيكل فى مقاله قد قلل من شأن تلك المفاوضات . . كما انتقد بشدة الاعتماد على أمريكا ، وسخر بتهكم من فكرة قدرتها على أن تفعل شيئاً ما أو تؤثر تأثيراً حقيقياً على موقف إسرائيل .

ولم يكن هذا هو الموقف الأول الذى وظفه فى خلافاته مع السادات أو مع موسى صبرى . . بل سبقه العديد من المقالات عن نفس موضوع المفاوضات ، مما جعل السادات يعجل بضربته الأخيرة ، فقرر رغماً عنه تعيينه مستشاراً صحفياً لرئيس الجمهورية فى ٢ فبراير عام ١٩٧٤ ، كما قرر إعفاءه فى نفس الوقت من رئاسته لتحرير الأهرام . . وندب محمد عبد القادر حاتم نائب رئيس الوزراء للثقافة والإعلام لرئاسة مجلس إدارة مؤسسة الأهرام. كما تم تعيين على أمين مديراً للتحرير . . ثم بعدها بأسبوع تم تعيينه رئيساً لتحرير جريدة الأهرام .

ويعترف هيكل بما حدث له فى هذه الفترة بقوله : « كان الأسبوع الأول من فبراير عام ١٩٧٤ بحراً هائجاً فى حياتى » .

ولا شك أن هذه العبارة قد عبرت أحسن تعبير عما آل إليه هيكل فى صراعه الطويل مع السادات . . ولم يكن أمامه من سبيل سوى اختيار العزلة داخل مكتبه وبيته بعيداً عن الأصوات والأصداء التى بدأت تدوى فى الآفاق سواء فى مصر أو فى خارجها . . حتى النصف الأول من

عام ١٩٧٥ حين بدأت الحملة تهدأ . . على إثر إشارة من السادات الذى طلب مقابلة هيكل على وجه السرعة .

ولم يكن موسى صبرى بالطبع بعيداً عن كل هذه الأحداث . . فقد كان بحكم تواجده المستمر بجوار السادات على علم بكل ما يجرى بهذا الخصوص . . ولم يكتف بالسماع فقط . . بل كثيراً ما كان يسأل السادات عن هيكل وعن مواقفه وخلافاته . . كما كان كثيراً ما ينشر أحاديث السادات الصحفية التى تتناول ذات الموضوع فى صحيفة الأخبار التى أصبح المسئول الأول فيها . بحكم تعيينه رئيساً للتحرير ورئيساً لمجلس إدارة أخبار اليوم .

وكان من قبل ذلك كله صوت السادات المدوى فى الأفق . . ولسانه الذى يرد به على كل مقالات هيكل . وحتى قبل أن يصل الخلاف بينهما إلى ذروته فى عام ١٩٧٤ . حين أدى ذلك إلى خروجه من الأهرام .

لقد بدأ موسى صبرى يرد على مقالات هيكل ابتداء من أواخر عام ١٩٧٢ حين نشر مقالاً له بعنوان « المبشرون بالهزيمة » رداً على ما كتبه فى الأهرام ـ فى مقال نشره يوم ١٢ مارس عام ١٩٧١ ـ والذى أكد فيه هيكل استحالة قتال إسرائيل .

ومن يومها وموسى صبرى يقف بالمرصاد لكل ما يكتبه هيكل فى أى مكان وفى أى صحيفة . وفى أى كتاب . سواء بالرد عليه أو بتفنيد

ادعاءاته . . كما كان يتصور ذلك كل من موسى صبرى والسادات . بل كثيراً ما كان يشير الأخير فى لقاءاته الصحفية وفى بعض خطبه إلى موقف هيكل . . وإن كان لم يفصح عن ذلك صراحة . . ففى الاحتفال بمرور مائة عام على إنشاء جريدة الأهرام ذكر السادات : « كان المفروض قبل حرب أكتوبر أن الصحافة تؤصل قيم المجتمع ولا تهدمها . . بمعنى ألا يكتب أحد أو حتى يشتم من كتاباته روح الهزيمة أو روح الخنوع أو روح التسليم . . لقد انكتب فى صحافتنا استحالة المعركة ، كده بصراحة ، المعركة مستحيلة . . فهل هذا يخدم أهداف شعبنا ؟ وكان المفروض أن تعيش الصحافة المنعطف التاريخى لكل فترة من فترات أمتها . . أنا كنت أتصور أن واجب الصحافة أن تقف معى وتحبذ حتمية المعركة ، فطلع البعض يبشر باستحالة المعركة » .

ومن بعد عودة العلاقات من جديد بين هيكل والسادات . . بدأت لهجة الهجوم تخف إلى حد بعيد . . وقد التزم موسى صبرى نفسه بهذا الاتجاه الذى أقره السادات . . فقد فوجىء بأن السادات قد كلف هيكل بكتابة العديد من « خطبه » الرسمية ومنها على سبيل المثال خطاب السادات الذى ألقاه فى مجلس الشعب عام ١٩٧٥ ، والذى أوضح فيه فشل المرحلة الثانية من خطة فك الاشتباك . . ثم كتب له خطاباً آخر عن إعادة تنظيم العمل الداخلى فى مصر والذى أعلن فيه إسناد رئاسة الوزارة للمرحوم اللواء ممدوح سالم الذى كان فى ذلك الوقت وزيراً للداخلية .

وفى ١٠ ابريل وحسب رواية هيكل دعاه السادات إلى العشاء فى استراحة القناطر عارضاً عليه منصب نائب رئيس الوزراء للإعلام فى وزارة ممدوح سالم . . وفى لقاء منفرد لرئيس الوزراء الجديد مع هيكل قبل توليه المنصب . . أشار عليه بالتعاون معه فى الوزارة الجديدة . . وله مطلق الحرية فى إعادة ترتيب أمور الصحافة .

ويبدو أن هذه الخطوة الجديدة قد أراد بها السادات التقريب بين شريكيه فى الخلاف ـ « موسى صبرى » و « هيكل » ـ بدليل أن ممدوح سالم قد حاول جاهداً إقناع هيكل بتولى هذا المنصب الوزارى . واستعداده لعقد لقاء منفرد بينه وبين موسى صبرى لتصفية ما بينهما . إلا أن هيكل رفض مثل هذا اللقاء متعللاً بأنه ليس هناك موضوع لخلاف يعرفه مع موسى صبرى : والقضية بالنسبة له أكبر من هذا الشخص بالذات . وقد أزاح هيكل الستار عن هذه الواقعة فى حوار نشرته له مجلة المصور فى مارس عام ١٩٨٢ .

ولعلنا نؤكد أن رفض هيكل لعرض السادات بقبول هذا المنصب الوزارى . . ورفضه كذلك عرض رئيس الوزراء عقد لقاء تصفية بينه وبين موسى صبرى . . قد زاد الموقف اشتعالاً على الجبهات الثلاث . . خاصة وقد صدر لهيكل فى ذات التوقيت كتابه الجديد « الطريق إلى رمضان » الذى شعر من خلاله الرئيس السادات أن هيكل يقلل من شأنه وشأن انتصارات أكتوبر .

لذلك سرعان ما عادت رياح الخماسين تهب على هيكل أكثر ضراوة وسخونة . وبدأت من جديد سلسلة المقالات التى بدأت تهاجمه سواء فى الداخل بقيادة المايسترو موسى صبرى . . أو فى الخارج بقيادة مصطفى أمين وبعض الصحفيين اللبنانيين . وكان أعنفها ما نشر فى مجلة الحوادث عن اتهامه بالعمل فى المخابرات الأمريكية كعميل ضد الاتحاد السوفيتى . . بناء على ما أكده « مايلز كوبلاند » فى كتاب صدر له فى هذه الآونة .

وبطبيعة الحال لم يقف هيكل مكتوف الأيدى فى مواجهة هذه الحملة التى شكلت آخر مراحل صراعه وخلافاته مع السادات وموسى صبرى . . بل راح هو الآخر ينشر العديد من المقالات وبشكل منتظم فى بعض الصحف العربية التى بدأت تقف فى خندق الخصوم ضد السادات . . بل وضد مصر . . بعد رحلته الشهيرة إلى القدس وإعلانه الصلح مع إسرائيل . وقد نشر هيكل هذه المقالات فى كتابين هما « لمصر لا لعبد الناصر » و « حديث المبادرة » .

فى حين استأنف موسى صبرى مدفعيته الثقيلة من موقعه الحصين فى قلعة أخبار اليوم . . وانضم إليه مصطفى أمين فى عموده اليومى «فكرة» . . ثم فى مقالاته التى كان ينشرها فى بعض الصحف اللبنانية .

ولم يهدأ بال السادات إلا بعد أن قرر الإجهاز نهائياً على هيكل لما بدر

منه فى حقه وفى حق مصر . . خاصة بعد توقيع اتفاقية كامب ديفيد . فأصدر (قانون العيب) الذى أطلقوا عليه فى حينه قانون « محاكمة هيكل» . . كما حاول السادات بخلاف ذلك أن يدفع هيكل إلى الهجرة من مصر . . ولكنه حين رأى صلابة هيكل فى موقفه الذى استمر هكذا لمدة عام كامل . قرر إحالته إلى المدعى الاشتراكى فى عام ١٩٧٨ . ومنعه من السفر . . حيث تم التحقيق معه بتهمة الإساءة لمصر فيما كتبه فى الخارج.

وجاءت الضربة الأخرى التى أعدها السادات لهيكل . . والتى عبرت عن العنف الذى لجأ إليه الرئيس فى هذا الخلاف حين أصدر أمراً باعتقاله فى ٥ سبتمبر عام ١٩٨١ ضمن حملة الاعتقالات الواسعة التى تمت فى ذلك الوقت .

وبهذا القرار استراح السادات من غريمه . . وأراح صديقه موسى صبرى . . الذى حاول خلال فترة الاعتقال أن يبرر هذا العمل العنيف . مؤكداً على استمرارية خلافه مع هيكل حتى وهو وراء القضبان . بل أكثر من ذلك . . كان قرار السادات أن يكتب موسى صبرى الخطاب السياسى الذى سوف يلقيه أمام الشعب والذى قرر فيه اعتقال هيكل .

والغريب أن موسى صبرى قد كتب فيما بعد فى أكثر من مكان ينتقد فيه السادات لاعتقاله هيكل فى سبتمبر عام ١٩٨١ . . فقد قال فى كتابه

« السادات الحقيقة والأسطورة » . . « ومبلغ تقديرى أن الرئيس السادات لم يكن مقدراً أن هذه الاعتقالات ، مع اعتقال محمد حسنين هيكل ستثير هذه الزوبعة الإعلامية فى صحافة الغرب » .

وربما يكون السبب الرئيسى وراء ذلك ومحاولته تبرئة نفسه من علمه مسبقاً بقرار اعتقال هيكل قد يرجع فى الأصل إلى إحساسه بأن شيئاً ما قد يقع فى الأفق القريب . . وأنه ربما يؤدى الأمر فى النهاية إلى رحيل السادات أو خلعه . . مما جعله يحاول أن يترك لنفسه مساحة معقولة يتراجع من خلالها عن موقفه وعن خلافاته وعن عدائه لهيكل . . وبشكل رأى أنه لا يمس كرامته .

ولكن الله سلم . . . فرغم رحيل السادات كما توقع موسى صبرى ، والإفراج عن هيكل . . إلا أن الأمور قد ظلت على ما هى عليه على الأقل داخل بلاط صاحبة الجلالة . . مما ساعد على استمراره فى موقعه داخل قلعته الحصينة « أخبار اليوم » حتى يوم وفاته . كما ظل هيكل خارج بلاط صاحبة الجلالة ـ كما كان من قبل ـ بناء على رغبته أو بناء على رغبة العهد الجديد .

الفصل السابع

إنجازات شخصية .. إلا قليلا

عندما تناولنا بالحديث المفصل فرساننا السادات وهيكل وموسى . . حاولنا خلال هذه الأوراق أن نقدم صورا طبيعية لهؤلاء . . تحمل ملامحهم الحقيقية . . دون تدخل من جانبنا لوضع أية رتوش قد تؤدى إلى تجميل هذه الصور أو تزيد من قبحها !

وكان السبيل إلى ذلك هو التعامل بحرص مع كل كلمة صادفناها . . كما كان دافعنا الحقيقى مع هذه الشخصيات مجرداً من أى هوى وأى غرض . . ولم نكن نهدف من وراء ذلك سوى الصدق وعدم الميل يمينا أو يسارا . . وعدم التحيز لهذا أو ذاك .

وحتى تكتمل ملامح هذه الصورة التى رسمنا خطوطها الأولى منذ أن التقينا مع السطر الأول داخل هذه الأوراق . . رأينا أن نقدم إنجازات وأعمال كل شخصية من هذه الشخصيات الثلاث . . كل على حدة ودون تعليق من جانبنا أو إضافة . . على أمل أن يدرك غيرنا الهدف من وراء ذكر هذه الأعمال ، وهذه الإنجازات لصاحب الشخصية أو للمهنة التى ينتمى إليها .

ذلك لإيماننا بأهمية تقديم مثل هذه الإنجازات . بصرف النظر عن

قيمتها على المستويين الشخصى والعام . لأن مثل هذه الأعمال من المؤكد أنها سوف تضيف الجديد الذى نسعى إليه دائما ومن وراء هذه الكلمات . . وبالإضافة إلى أنها تكمل ملامح الصورة التى بدأنا فى رسم خطوطها منذ فترة غير بعيدة .

ومن المعروف مقدما أن أى شخصية عامة تحاول أن تترك بصمات واضحة فى تاريخ أى أمة أو أى شعب أو حتى أى مجموعة بشرية ، لابد وأن يكون لها أعمال عديدة ومتنوعة . . وقد اصطلح على تسمية هذه الأعمال بالإنجازات بصرف النظر عن تقييم الآخرين لهذه الأعمال . . لأنه حين يأتى التقييم لابد وأن تتدخل النظرة الشخصية المصحوبة بتأثيرات إعلامية أو نفسية وكثيرا ما تفسد هذه الانجازات . . حتى ولو لم تستقم مع العرف العام لهذه الجماعة أو لهذا الشعب . وهذا ما يفسر لنا فى عديد من الحالات تلك الاختلافات الجوهرية التى نقرأ عنها حتى فى كتب المؤرخين المتخصصين والمشهورين بالموضوعية . أضف إلى ذلك أن عامل الزمن يلعب هو الآخر دوراً أساسياً فى تقييم هذه الأعمال وهذه الإنجازات .

وحتى لا يفهم حديثنا على صفة الإطلاق نرى ويرى غيرنا أن هناك أعمالاً يختلف عليها من حيث التقييم أو القيمة . ومعظم هذه الإنجازات تتعلق بأحداث تاريخية بعينها . . وهى التى يترتب عليها فى الغالب التغيير أو التبديل . . وحتى هذه أيضا ربما تجد من يخالفك فيها الرأى ، خاصة إذا ماتم استعراض تفاصيل هذه الأعمال وهذه الإنجازات . .

ولا يقتصر الاختلاف فى تقييم مثل هذه الأعمال ومثل هذه الإنجازات على ما هو عام أو قومى فقط . . بل إنك كثيرا ما تجد من يخالفك فى تقييم الأعمال والإنجازات الشخصية . حتى صاحب هذه الأعمال . . تجده أحيانا فى لحظة من اللحظات ينتقد نفسه ويعيب عليها مثل هذه الأعمال أو هذه الإنجازات التى أفنى عمره وحياته من أجل تحقيقها . فى الوقت الذى يرى غيره يتمتع بمثل هذه الأعمال . . وحين تحاول تتبع الأسباب لا تستطيع أن تضع يدك عليها بسهوله . وهذه سمة أساسية من سمات البشر حيث كثيرا ما يميلون إلي التغيير والتبديل .

ولعل ذلك ما جعلنا نسوق إنجازات هؤلاء الفرسان دون أن ندخل أنفسنا فى لعبة التقييم هذه . . بل وفضلنا أن نترك هذه المهمة لغيرنا . . وحتما سيقع نوع ما من الخلاف . . وهذا بالطبع ما نرمى إليه من وراء كل ما نكتب . . لأن الكلمات التى لا يختلف فيها الناس كأنما لم تكن . . أى كأنما جاءت ثم رجعت إلى العدم دون أن تقدم الجديد . والجديد الذى نقصده هنا لا يكون سبيله إلى الوجود إلا بالاختلاف فى الرأى وفى الموضوع . . فالاختلاف يولد الرغبة فى المزيد من استبيان الحقائق . . وهكذا دائما ما تتولد الأفكار من بعضها حتى يصل الإنسان إلى الحقيقة المجردة أو الحقيقة العليا ، التى لا يزال الفلاسفة حتى الآن يبحثون عنها !

وما نود أن نؤكد عليه قبل استعراض هذه الأعمال . . أنه لا غرض لنا من وراء ذكرها أى نوع من التشهير أو الحط من قدر صاحبها . . لأن

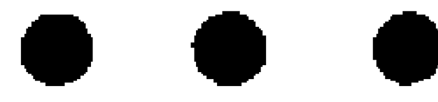
مثل هذه الأعمال وهذه الإنجازات موجودة فعلا بيننا . . ويشعر بها غيرنا . . وكل ما هنالك أننا ربما نكون أول من يجمع هذه الإنجازات ويرتبها ، ويسوقها فى كتاب واحد لأهداف علمية تسهل على الغير مناقشتها أو التسليم بها أو حتى رفضها .

وحتى لا يكون فى النفس حرف واحد يسبب سوء الفهم من وراء هذا القصد . . نقول: إن كلا من السادات وهيكل وموسى صبرى شخصيات مصرية هامة . لعبت أدوارا غاية فى الأهمية كل فى مجاله . . ورأينا من واجبنا أن نقدم أعمال تلك الشخصيات على قدر المستطاع بدون تحيز . بجانب أننا رأينا أن عدم تقديم أعمالهم الشخصية والعامة سوف يجعل الصورة غير مكتملة الملامح وبالتالى من الممكن أن تظهر بها بعض الظلال ربما فى جوانبها أو فى أطرافها .

ولاشك أن حديث الإنجازات التى تحققت فى حياة كل من الفرسان الثلاثة . . هو حديث جدير بالعناية والاهتمام ، بل وبالمزيد من الدراسة . . لأنه قد جرى العرف أن أى شخصية فى أى مجتمع من المجتمعات تستمد كيانها ووجودها ودورها مما تقدمه من أعمال وإنجازات . . وقد يختلف البعض فى تقييمها ولكنها فى النهاية . . إنجازات قد قدمت إضافات إلى حياة هؤلاء سواء بالنسبة لهم أو بالنسبة للآخرين .

وكما مر بنا . . فقد لمسنا كثيراً وعن قرب دور كل من هؤلاء الفرسان فى حياة مصر سواء بالسلب أو بالإيجاب . . واتفقنا على أن الصراع الذى

تفجر فيما بينهم إن دل على شىء فهو يدل فى المقام الأول على حركة الحياة ورغبة الإنسان فى التغيير . . وهذا ما يدفع العديد من الناس إلى المزيد من المعرفة حتى ولو كان بتتبع ما بين السطور .



حين بحثنا طويلا فى حياة الرئيس السادات من أجل عمل إحصاء سريع لأهم الأعمال والانجازات التى ارتبطت باسمه - سواء التى سجلها هو وكان شاهداً عليها . . أو التى سجلها غيره وشاركه فى صنعها - وجدنا أن هذه الإنجازات تنحصر فى ستة أعمال بارزة . . استطاع أن يحققها على مدى عمره الذى امتد لأكثر من ستين عاما .

ولسوف نسوق هذه الأعمال الستة أولا على سبيل الإجمال . . ثم سرعان ما نعود إلى تفصيلها . . وهى طريقة نعتقد أنها تريح الذهن ولا ترهق العقل فى ملاحقة السطور والعبارات .

وهذه الأعمال هى :

● قضية التجسس ضد الإنجليز لصالح الألمان .

● وقضية الاغتيالات التى اشترك فى التخطيط لها وتنفيذ عدة عمليات منها وكان أشهرها مقتل وزير المالية « أمين عثمان » . . وهى القضية التى سجلت أعلى نقاط فى تاريخ السادات وكفاحه السياسى قبل ثورة ٢٣ يوليو .

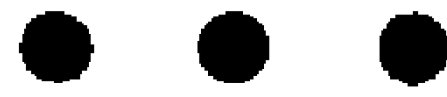
● أما الإنجاز الثالث أو العمل الهام الذى شارك فى الإعداد له

بـل وشارك فى تنفيذه هو أحداث حركة الجيش ليلة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .

● ثم الإنجاز الرابع والذى يمثله توليه رئاسة مصر خلفا لعبد الناصر.

● وأما الإنجاز الخامس فيمثله تحقيق أول نصر عسكرى لمصر على إسرائيل عام ١٩٧٣ .

● الإنجاز السادس . . الذى قلب ولا يزال يقلب أوضاع السياسة الدولية شرقا وغربا والذى تمثل فى عقد اتفاق صلح مع اسرائيل . . وتحقيقه أمل كل مصرى وكل عربى فى الانسحاب من الأراضى المصرية المحتلة منذ عام ١٩٦٧ .



وبتفصيل أكثر نقول عن هذه الإنجازات :

بالنسبة للإنجاز الأول والخاص بقضية التجسس ضد الإنجليز . . فله قصة مثيرة رواها السادات فى أوراقه الخاصة . . كما ذكرها أيضا غيره من المؤرخين والصحفيين . ولعلنا نحاول التوفيق بين كل هذه الروايات حتى نخرج بتفصيل محكم للحكاية ومن مصدر واحد نتنسم منه الصدق .

لقد كان اتصال السادات بالألمان أحد السبل التى حاول اجتيازها بقوة من أجل مساندة رفاقه أعضاء تنظيم ضباط الجيش فى مواجهتهم مع الإنجليز الذين كانوا يحتلون مصر آنذاك . ورغم تورط الضابط أنور

السادات فى قضية تجسس أدت به إلى الاعتقال ثم إنهاء خدمته من الجيش . . إلا أن العديد من المؤرخين قد تناولوا هذه الواقعة بشىء من التحيز فيه كثير من الظلم لصاحبها . . والغريب أن مثل هذه القصة لم يتم ترويجها على نطاق واسع إلا بعد ما أصبح السادات رئيسا لمصر وخاصة حين نجاحه فى الإطاحة بأعوان الناصرية . . وقد تناول السادات هذه الرواية بالتفصيل فى كتابه البحث عن الذات وفى الفصل الأول من الكتاب تحت عنوان « من ميت أبو الكوم إلى سجن الأجانب » وقد خصص لحديث هذه القضية أكثر من خمسين صفحة من كتابه المذكور. ويقول ملخص هذه الحكاية التى عرفناها من أكثر من مصدر:

إنه ابتداًء من عام ١٩٤٠ . . كان هناك داخل صفوف الجيش المصرى تنظيم عسكرى يضم أنور السادات وحسن عزت وعبد اللطيف البغدادى وحسن ابراهيم ووجيه أباظه وسعودى أبو على . وذات يوم أرسل أعضاء التنظيم طائرة إلى الخطوط الألمانية وكان الطيار سعودى يقودها . . وتم تفجيرها فى الجو حيث كانت الطائرة تحمل علامة الجيش البريطانى . . وبعد شهر واحد كرروا هذه العملية . . حيث أرسلوا طائرة أخرى يقودها الصول رضوان الذى انقطعت أخباره مثل الطائرة السابقة. لذلك نجدهم على حسب كلام الرواى قد أوقفوا إرسال طائرة أخرى حتى معرفة مصير الطائرتين السابقتين . الأمر الذى جعل بعض المدنيين المتصلين بهذا التنظيم يجرون اتصالات بالألمان لمعرفة مصير هذه الطائرات .

وقد لعب الحظ دوره فى هذا الاتصال . . فقد هبط ألمانيان بالباراشوت فى الصحراء الغربية ، وأكملا الطريق عن طريق الصحراء . وتخفيا فى زى ضابطين بريطانيين واستأجرا عوامة الراقصة « حكمت فهمى » بقرب ملهى « الكيت كات » فى امبابة . وكان يخفيان فى العوامة جهاز إرسال لاسلكى . وتعطل الجهاز فاتصلا بشخص يدعى « هادرد» يعمل فى السفارة السويسرية بالقاهرة . . وقد كانت سويسرا فى ذلك الوقت ترعى مصالح الألمان فى مصر . . وكان « هادرد » هذا من أصل نمساوى . . وكان يعرف سيدة نمساوية متزوجة من طبيب مصرى وقد لجأ السويسرى إلى هذه السيدة التى اتصلت بالمناضل السياسى « عبد المغنى سعيد » الذى رحب بالاتصال بالألمان .

واجتمع أولا بشخص يدعى « أبلر » . . وسأله عن مصير الطائرتين . . فأفاد بأن الطائرة الأولى ضربتها المدفعية الألمانية المضادة ومات الطيار سعودى . أما الطائرة الثانية فقد هبطت اضطراريا ووضعت تحت الملاحظة . كما عرف من الألمانيين رغبتهما فى إصلاح جهاز اللاسلكى ، فبادر بالاتصال بالضابط حسن عزت الذى أفاد بأن لدى التنظيم العسكرى ضابط بالإشارة . . يمكنه إصلاح هذا الجهاز . . وهو اليوزباشى أنور السادات .

وتم أول لقاء بواسطة « عبد المغنى سعيد » بين الألمانيين وحسن عزت وأنورالسادات فى كازينو فى شارع الهرم . . وتم فيه الاتفاق على نقل جهاز اللاسلكى إلى منزل السادات بكوبرى القبة . ثم حدث أن قبض

الإنجليز على الألمانيين والسيدة التى من أصل نمساوى ومن بعدها تم القبض على حسن عزت والسادات وعبد المغنى سعيد .

وتمت محاكمة كل منهم أمام محكمة عسكرية . . ولما لم تجد أى دليل ضدهما تقرر فصلهما من الجيش . . وكان الألمانيان قد اعترفا أمام السلطات الانجليزية مقابل عدم الحكم عليهما بالإعدام ، ثم عملا فى المخابرات البريطانية بعد ذلك . ولم يتوقف الأمر بالنسبة للسادات عند حد الاستغناء عنه من الجيش بل إنه فى اليوم الذى خلع فيه الرتب امتثالا للأمر السامى الملكى . . تقدم منه رئيس القسم السياسى بالبوليس ، طالبا القبض عليه . . وبالفعل تم ترحيله إلى المحافظة ومنها إلى سجن الأجانب الذى دخله عام ١٩٤٢ . . ثم معتقل ماكوسة بالمنيا . . وأخيرا فى معتقل الزيتون . . الذى قضى به بقية مدة الاعتقال . . وقد سبق لنا وتناولنا قصة السادات مع السجن فى أحد فصول هذا الكتاب .

●● الإنجاز الثانى . . وهو الخاص بقضية مقتل « أمين عثمان » . . بل وبالعديد من حوادث الاغتيالات السياسية الأخرى التى شارك فيها السادات من خلال تنظيمه السرى الذى أعاد تشكيله من جديد . . حتى وهو خارج صفوف الجيش .

وأيضا لاشتراك السادات فى هذا الحادث أكثر من قصة وأكثر من رواية . . سوف نحاول كذلك التوفيق بين كل هذه الروايات . . ونختار أقربها إلى الصدق . تقول إحدى هذه الروايات . . إنه كان هناك وزير للمالية يدعى « أمين عثمان » ، وصلت به الجرأة إلى حد أنه وصف

العلاقة بين مصر وبريطانيا بأنها زواج « كاثوليكى » أى أنها علاقة لا تنفصم قط . ونتيجة لهذا الرأى قامت إحدى الخلايا الوطنية التى تتكون من مدنيين من الذين انضموا إلى تشكيلات الجيش ، باغتياله انتقاما لهذا التصريح الذى تفوه به .

وكان مثل هذا العمل كافياً فى حد ذاته كى تتجه الشبهات إلى السادات لمجرد أن اسمه ورد على لسان بعض المتهمين . وكان ذلك على ما يبدو لما تعرض له هذا الشخص من تعذيب على أيدى البوليس السياسى .

ولقد أعلن السادات نفسه فى المحكمة أنه لا دخل له فى هذه العملية. ولكن ذلك لم يحل دون اعتقاله وتقديمه للمحاكمة فى ١٨ ابريل عام ١٩٤٨ . وقد تابعها الرأى العام آنذاك فى اهتمام شديد ، ونشرت الصحف المصرية صور المتهمين وقد بدت فى مقدمتهم صورة الشاب أنور السادات بينما كان يحتج فى حدة على المدعى العام الذى وجه إليه الاتهام .

وقد اتخذت القضية منذ البداية مساراً لفت الأنظار . إذ أن وكيل النيابة الذى كان ينتظر أن يترافع ضد المتهمين ، دافع عنهم وهاجم الإنجليز ، فاستقبل الحاضرون فى قاعة المحكمة عباراته بالتصفيق . وهكذا تحولت القضية إلى مظاهرة وطنية ، مما بعث القلق فى دوائر الحكومة القائمة فى ذلك الوقت .. التى بادرت بتكليف المدعى العام بنفسه لتولى القضية . وفى اليوم التالى وقف المدعى العام فى المحكمة

وأعلن عزل وكيل النيابة . . وهنا انبرى السادات وصاح فى وجهه . وقد عجز النائب العام عن إقامة الدليل على إدانته ، فصدر الحكم ببراءة السادات .

ولعل الدافع الذى جعلنا نعتبر قضية الاغتيالات هذه واشتراك السادات فى تنفيذها من أهم إنجازاته الثورية فى فترة حياته الأولى . . ما ذكره بنفسه فى أوراقه الخاصة . . فقد اعترف بأنه فى سبتمبر عام ١٩٤٥ ولم يكن قد مضى على خروجه من السجن سوى أيام قليلة حتى واصل الاتصال بزملاء التنظيم القديم . . فتعرف على حسين توفيق . . الذى كان عمله الوطنى الأول يتمثل فى قتل حفنة من الجنود الإنجليز . . فأقنعه السادات بضرورة توسيع نطاق هذه الاغتيالات كى تشمل بعض الشخصيات المصرية التى كانت تساند هؤلاء الإنجليز !

وفى مكان آخر من نفس الأوراق يعترف السادات بأنه كان يدرب أعضاء هذه الجمعية السرية على استعمال القنابل اليدوية . . خاصة ما كان يقوم به حسين توفيق .

وبعد محاولة اغتيال النحاس باشا . . . يقرر السادات أنه فى نفس المقهى الذى اتخذوا فيه قرار اغتيال النحاس قرروا التخلص من أمين عثمان الذى تولى وزارة المالية طوال حكم النحاس باشا .

بل أكثر من ذلك يصور لنا لحظة الاغتيال بقوله : كان ذلك فى يوم السبت ٦ يناير عام ١٩٤٦ وأمين عثمان قد عاد من انجلترا قبل ذلك بيومين وزار المندوب السامى البريطانى لورد كيلرن فى ظهر نفس اليوم .

وفى المساء ذهب إلى مقر « رابطة النهضة » فى شارع عدلى بوسط القاهرة .

وكان حسين توفيق فى انتظاره عند باب العمارة حسب الخطة . . وقبل أن يصل إلى المصعد ناداه حسين « يا أمين باشا . . أمين باشا » . . التفت إليه أمين عثمان فأطلق عليه حسين توفيق رصاص مسدسه . وكنت فى هذه الأثناء جالسا فى مقهى قريب فقمت على إثر سماع انفجار القنبلة التى رماها حسين لتغطية هروبه . كى أتأكد من عدم وجود ضحايا بين الأهالى . . فلما اطمأن بالى أخذت الترام ورجعت إلى بيتى فى كوبرى القبة .

●● وهناك بخلاف ذلك حديث الإنجاز الثالث الذى حققه السادات فى الفترة من عام ١٩٤٢ وحتى عام ١٩٥٢ . . ونقصد به اشتراكه فى أحداث ثورة الجيش ليلة ٢٣ يوليو . . وما قبلها من إعداد . . وما بعدها من أحداث . وقد سبق وتناولنا هذا الإنجاز فى فصل سابق ضمن هذه الأوراق .

●● وأما الإنجازات أو الأعمال المتميزة الثلاثة الأخريات التى حققها السادات فى فترة العشر سنوات الثانية فى حياته من أكتوبر عام ١٩٧١ وحتى أكتوبر عام ١٩٨١ . . فهى بالترتيب :

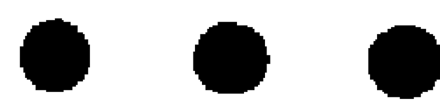
توليه رئاسة مصر خلفا لجمال عبد الناصر ، بعد ما كان يتولى منصب نائب الرئيس لفترة زمنية محدودة بدأت فى منتصف عام ١٩٧٠ . . وقد برهن السادات على أنه رجل سياسى كفء تمكن باقتدار وبراعة من

الفوز بهذا المنصب والانفراد به بعيدا عن بقايا عبد الناصر ورفاقه .

وكان لهذا النجاح الأثر الطيب فى نفوس الجماهير التى استبشرت خيرا بتلك الإجراءات التى بدأ فى تنفيذها سواء فى مجال الحريات العامة أو الحريات الشخصية .

ثم جاء الإنجاز الثانى فى هذه الفترة التى توالت بعد عام ١٩٧١ . . ولعله أعظم إنجاز فى تاريخ السادات . . بل وفى تاريخ المنطقة العربية كلها . . إنه تحقيق أول نصر عسكرى على إسرائيل فى أكتوبر عام ١٩٧٣ . . هذا الانتصار الذى كان بداية قوية لاستكمال مسيرة انسحاب إسرائيل من الأراضى المصرية التى احتلتها منذ عام ١٩٦٧ .

وأخيرا جاء الإنجاز السياسى الضخم الذى غير من خريطة المنطقة العربية التى شهدت الصراعات العسكرية على مدى أربعين عاما . وهو عقد اتفاقية سلام مع إسرائيل . . وكانت بداية لسلسلة طويلة من الإنجازات السياسية المتوالية على المستويين المحلى والعربى والدولى . . وقد أدت كلها بالطبع إلى تحريك القضية الفلسطينية فى طريق الحلول السلمية ونبذ الصراع العسكرى لأول مرة منذ اعتراف العالم بإسرائيل .



وبالبحث والتنقيب فى حياة الكاتب الصحفى محمد حسنين هيكل اكتشفنا أنه قد استطاع منذ بداية حياته العملية التى تبلورت منذ عام

١٩٤٢ . . أن يحقق العديد من الأعمال المتميزة وكذلك الإنجازات التى ارتبطت به شخصيا . .

ودون الدخول فى تفاصيل مناقشة هل هذه الإنجازات مالت أكثر إلى الميزان الشخصى أم إلى الميزان القومى ؟ فعلينا أن نورد هذه الإنجازات وعلى غيرنا أن يناقشها . . ثم يقرر قبولها أو رفضها .

●● وأولى هذه الإنجازات أن الأستاذ هيكل يعتبر من الصحفيين المصريين القلائل الذين لم يحصلوا على مؤهل عال من الجامعات المصرية . . فقد توقف تحصيله العلمى عند الشهادة المتوسطة التجارية ، ثم لحقها بالحصول على سنتين فى الدراسات الحرة بالجامعة الأمريكية . . وقد أدى إتقانه اللغة الإنجليزية فى هذه الجامعة إلى تقدمه بخطوات واسعة داخل بلاط صاحبة الجلالة ، فانتقل من مجرد سكرتير شخصى «للسيدة فاطمة اليوسف » . . إلى العمل فى دار صحفية أجنبية . . ومنها إلى دار أخبار اليوم التى مكث بها عشر سنوات . . حيث التحق بالعمل بها منذ أواخر عام ١٩٤٦ وظل بها حتى عام ١٩٥٦ . . إلى أن انتقل إلى رئاسة تحرير جريدة الأهرام . وفى خلال العشر سنوات الأولى من إنجازات هيكل التى تمكن من تحقيقها منذ أن دخل أخبار اليوم وحتى توليه رئاسة آخر ساعة . . وهو فى سن الثامنة والعشرين من عمره وانتقاله رئيسا لتحرير الأهرام . . قد حقق العديد من الانتصارات المهنية الشخصية فى المجالين الصحفى والسياسى . .

لقد اعتبره العديد من أساتذة الصحافة . . أنه كان أول مراسل حربى مصرى يتمكن من تغطية أحداث الحرب العالمية الثانية التى جرت فى العلمين . . ثم انتقاله بنفس الصفة لتغطية أحداث حرب فلسطين عام ١٩٤٨ . كما استطاع أن يحقق انتصارات مهنية متعددة فى مجال التحقيق الصحفى ساعدت على انتشاره كصحفى لامع بسرعة الصاروخ فى الأوساط السياسية والاجتماعية المصرية .

●● وهذا الحديث يجرنا بالطبع إلى الإنجاز الثانى الذى حققه هيكل فى حياته . . ونقصد به اختياره رئيسا لتحرير مجلة آخر ساعة رغم صغر سنه . . وجاء هذا الاختيار من جانب الأخوين مصطفى وعلى أمين فى يونيو عام ١٩٥٢ . أى قبل قيام حركة الجيش بشهر و٢٣ يوماً .

وبطبيعة الحال لم يكن مثل هذا الاختيار ليتم دون اقتناع الأخوين بمهارة هيكل الصحفية واتساع اتصالاته السياسية والاجتماعية . وقد نجح فى إقناع الكاتب الصحفى الراحل على أمين فى أن يساعده فى فتح باب التحقيق الصحفى له خارج الحدود . . وقد تحمس بالفعل لهذه الخطوة التى أتت بكل الخير على هيكل .

حيث وجد نفسه على حد قوله : يغطى الحوادث الساخنة فى الشرق الأوسط طولا وعرضا وحوله . . من الحرب الأهلية فى اليونان وقد شملت كل بلاد البلقان . . إلى حرب فلسطين من أولها لآخرها . . إلى سلسلة الانقلابات العسكرية فى سوريا ، إلى عمليات الاغتيال الكبرى فى المنطقة من اغتيال الملك عبد الله فى القدس إلى اغتيال رياض الصلح فى

عمان إلى قتل حسنى الزعيم فى دمشق . ثم ثورة مصدق فى إيران . ثم اتسعت المسافات حيث نجح فى تغطية المشاكل الملتهبة فى أفريقيا . . ثم حرب كوريا وحرب الهند الصينية الأولى .

وحين استقر لهيكل المقام فى القاهرة بعد خمس سنوات من التجوال والترحال . . اكتشف أن الكثيرين قد أصبحوا يهتمون بما يكتب . . ثم هو من جانب آخر قد بات على معرفة وثيقة بأحوال الشعوب معرفة شخصية وبكل ساستها وحكامها . كما صار على صلة وثيقة بجيل من الصحفيين فى العالم الواسع . . بل أكثر من ذلك فقد مكنته هذه الشهرة الواسعة من أن يقترب من عالم السياسة المصرية قبل وبعد الثورة . وهذا بالطبع يؤدى بنا إلى حديث الإنجاز الثالث .

●● ويتمثل هذا الإنجاز فى حياة هيكل بأنه قد صار قاب قوسين أو أدنى من صنع القرار السياسى فى مصر . . وقد لعب الحظ دوره فى اقتراب هيكل من صانع هذه القرارات . . ألا وهو جمال عبد الناصر . وقد مر بنا من قبل عبر أوراق الفصول السابقه . . الوضع الذى كان عليه هيكل أيام حكم عبد الناصر . . سواء فى مجال الصحافة أو السياسة . منذ ليلة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ وحتى رحيل عبد الناصر أواخر عام ١٩٧٠ .

وقد سبق وعرفنا كيف تمكن هيكل من أن يتحول إلى كاتب سياسى من الدرجة الممتازة ، مستغلا فى ذلك مصدر معلوماته الأول سواء داخل مؤسسة الرئاسة أو خارجها . للدرجة التى جعلت من مقاله الأسبوعى

« بصراحة » المؤشر الذى يشير بقوة إلى مستقبليات السياسة المصرية الناصرية غداً أو بعد غد . وقد دل بقوة على حرفية هيكل الصحفية وحاسته السياسية المتألقة .

●● أما الإنجاز الرابع فى سلسلة هذه الإنجازات التى حققها بقلمه وباتصالاته . . هو انتقاله رئيسا لتحرير الأهرام . . ثم إقدامه على نقل مبنى الأهرام من حى « باب اللوق » إلى مبناها الجديد بشارع الجلاء على بعد أمتار قليلة من شارع الصحافة . . ولهذا المبنى قصة لابد من سردها لأنها تمثل قمة إنجازات هيكل الإدارية والصحفية على المستويين الشخصى والقومى .

وقبل أن نتطرق لحديث المبنى . . علينا أن نسوق قصة انتقاله إلى جريدة الأهرام رئيسا لتحريرها ثم رئيسا لمجلس الإدارة - بعد ما ترك مؤسسة أخبار اليوم وراء ظهره .

وتبدأ حكاية انتقال هيكل إلى جريدة الأهرام . . منذ أن فكر رجال الثورة فى إصدار جريدة تعبر عن رأيهم فيما وقع من أحداث . . وهى جريدة الجمهورية . . وقد طلب جمال عبد الناصر من هيكل أن يتولى الإشراف على هذا الإصدار الجديد . . إلا أنه اعتذر عن هذا التكليف! . بحجة أنه متمسك بالعمل فى أخبار اليوم .

من ناحية أخرى فقد رأى هيكل أن الثورة لا تحتاج إلى جرائد تعبر عنها ، لأن كل صحافة مصر تفعل هذا الشىء حتى صحف أخبار اليوم .

ولم يستمر رفض هيكل لهذا التغيير طويلا . فقد كانت عينه على جريدة الأهرام . . حيث تمنى فى قرار نفسه أن يتم اختياره رئيسا لتحرير هذه الجريدة العريقة . . وبالفعل جاءته الفرصة. . . ففى عام ١٩٥٥ وفى لقاء له مع على الشمسى باشا رئيس مجلس إدارة البنك الأهلى ورئيس مجلس إدارة الأهرام وقتها . عرض عليه الأخير رئاسة تحرير الأهرام . وعلى حد قول هيكل فإن على الشمسى باشا كان قد عرض من قبل ومنذ عام ١٩٥١ أن ينتقل إلى جريدة الأهرام فى منصب مساعد رئيس التحرير . . واليوم جاء يعرض عليه منصب رئيس التحرير . ثم كرر على الشمسى باشا نفس المحاولة بعد ذلك بعام . . حيث عرض هذا المنصب مرة أخرى على هيكل فى ربيع عام ١٩٥٦ . فقد كان على الشمسى باشا يرى أن الأهرام مؤسسة قومية ولا ينبغى تركها تموت بالشيخوخة أمام منافسات الصحف الشابة الجديدة . . وهى تخسر أموالا طائلة . وقد يفكر أصحابها فى إغلاقها أو فى بيعها .

ويؤكد هيكل أنه لأسباب متعددة قد قبل هذا الاتفاق للدرجة التى جعلته يسارع إلى توقيع عقد بالأحرف الأولى مع عضو مجلس الإدارة المنتدب فى جريدة الأهرام . . تمهيدا لعقد اتفاق نهائى .

وبتاريخ ٦ أبريل عام ١٩٥٧ . . التقى هيكل مرة ثالثة مع على الشمسى باشا لإتمام اتفاق انتقاله إلى الأهرام . . وكان دافع هيكل الحقيقى نحو إقدامه على اتخاذ خطوة نهائية نحو هذا الانتقال أنه علم فى هذه المقابلة أن أسرة « تقلا » تواجه فى شأن جريدتها مشاكل معقدة . .

وأهمها أن الدار خسرت مليون جنيه فى العشر سنوات الأخيرة . . حيث تدنى توزيع هذه الصحيفة إلى ٦٠ ألف نسخة يوميا .

وهكذا خرج هيكل من دار أخبار اليوم بشارع الصحافة . . إلى دار الأهرام بمبناها القديم بباب اللوق . ومن بعدها بسنوات قليلة بدأ هيكل يفكر فى نقلة حضارية للجريدة التى فضلها على صحيفة الثورة وعلى الصحيفة التى بدأ حياته العملية بها .

هذه النقلة الحضارية قد تمثلت فى إقامته المبنى الصحفى الضخم لجريدة الأهرام فى شارع الجلاء الذى لا يبعد سوى أمتار قليلة من شارع الصحافة الذى تقع به دار أخبار اليوم ... ولهذا البناء الصحفى الضخم قصة، حين نرويها نكمل رحلة هيكل داخل قطار الإنجازات الضخمة .

لقد بدأ تفكير هيكل فى هذا التطوير الضخم منذ عام ١٩٦٠ . حين تمكن بحرفية الصحفى الماهر أن يحول خسائر جريدة الأهرام الى أرباح . . كما بدّل هبوط التوزيع إلى ارتفاع . . ففى أول تقرير قدمه لمجلس الإدارة اقترح فيه ضرورة تطوير الأهرام ومنشآته الطباعية . . وكان هيكل ومن ورائه مجلس الإدارة قد رصدوا فى الميزانية المقترحة لعام ١٩٦٠ أول اعتماد لمشروع التطوير هذا .

وهو يؤكد أن قرارات تأميم الصحافة التى صدرت فى نفس العام لم تثنيه عن إتمام هذا المشروع . . رغم تأكيده فى أوراقه الخاصة أنه قد تخوف

فى البداية من تأثير هذه القرارات على مشروعات تطوير الأهرام . . ويضيف بأنه أبلغ جمال عبد الناصر بهذا التخوف .

ولولا إحساس الأخير بأنه سيكون صاحب الفضل الأول فى إتمام هذا المشروع الضخم لما أعطى العديد من التسهيلات فى كل المجالات من أجل إتمامه .

وعلى حد قول الرئيس السادات : إن جمال عبد الناصر هو الذى بنى الأهرام . . وكان السادات كما يروى موسى صبرى يقصد أن عبد الناصر قد استثنى الأهرام من كل قيود الاستيراد والعملة الصعبة .

وحين فكر هيكل فى إقامة مبنى جديد لجريدة الأهرام . . اختار له الموقع والشكل الذى يقال : إنه منقول طبق الأصل من شكل مبنى جريدة « السنداى تايميز » البريطانية . . أما الأرض التى بنى عليها هذا المبنى الضخم . . فكانت ضمن أملاك وقف الأزهرى . . وقد اشتراها هيكل بسعر المتر أربعة جنيهات . . ويقال : إن هيكل قد هدد صاحب هذه الأرض بفرض الحراسة عليه فى حالة رفضه عرض شراء الأرض والخاصة بمبنى الأهرام الجديد . . ويقول موسى صبرى : إن أخبار اليوم فيما بعد كانت فى شديد الحاجة إلى قطعة الأرض الموجودة خلف مؤسسة أخبار اليوم وتقدر مساحتها بحوالى ١٢٠٠ متر مربع . وعندما طلبت أخبار اليوم شراء هذه المساحة من أصحاب وقف الأزهرى تمسكوا بسعر ثلاثة وثلاثين جنيها للمتر . . فى حين وافقوا على بيع مساحة مماثلة

أكثر منها وفى موقع متميز لمبنى الأهرام الجديد بمبلغ أربعة جنيهات للمتر الواحد.

ولاشك أن هيكل قد استطاع ومنذ منتصف الستينيات .. حين انتقل إلى المبنى الصحفى الجديد المطل على شارع الجلاء .. أن يحرز المزيد من الإنجازات الصحفية داخل هذا المبنى الجميل .. ففى فترة وصلت إلى أقل من عشر سنوات تمكن هيكل من الوصول بتوزيع الجريدة إلى قرابة نصف مليون نسخة .. بعد ما كانت توزع أقل من ١٠٠ ألف نسخة عام ١٩٥٧ .

كما ارتفع دخل الأهرام من حصيلة الإعلانات من نصف مليون جنيه سنويا فى ذات الفترة إلى أربعة ملايين جنيه عند خروجه منها .

بالإضافة إلى ذلك استطاع أن ينمى الدخل السنوى للمؤسسة عن طريق الاشتراك فى مشاريع استثمارية وتجارية متنوعة .. الأمر الذى جعل من مؤسسة الأهرام الآن .. قلعة صحفية ضخمة . قدرت ميزانيتها بـ ٤٠ مليون جنيه .

●● أما الانجاز الأخير فى سلسلة الإنجازات المتعددة والمتنوعة التى أحرزها هيكل .. فهو يتمثل فى براعته فى كتابة المقال السياسى والتحليلى .. ليس باللغة العربية وحدها .. بل وأيضا باللغة الإنجليزية، ويكفيه فخرا فى هذا المجال أنه من الصحفيين القلائل ليس على مستوى العالم العربى فقط .. بل على مستوى الصحافة الأجنبية .. الذين ظلوا يكتبون

مقالا أسبوعيا ثابتا وبانتظام غريب حتى عام ١٩٧٤ . ليس هذا فقط . . بل إن هذه المقالات كانت تستمد أهميتها من كونها الرأى السياسى للدولة . . والمعبر بصفة شخصية عن رأى جمال عبد الناصر . .

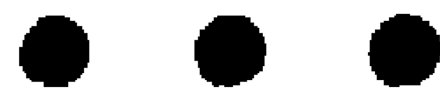
وقد برع هيكل فى كتابة هذه المقالات منذ مؤتمر باندونج للحياد الإيجابى . . وقتها اختاره عبد الناصر كى يرافقه فى هذه الرحلة . . فكان كل الصحفيين يسألون عبد الناصر إلا هيكل كان ينقل للزعيم الأخبار والمعلومات من مصادره الخاصة ومن الوفود المشاركة فى هذا المؤتمر .

وهناك إنجاز آخر قد ارتبط بموهبة الكتابة لدى هيكل . . وهو براعته كذلك فى تأليف الكتب السياسية . ونشرها مسلسلة أولا باللغة الإنجليزية فى الصحف الأجنبية ، ثم ترجمتها إلى اللغة العربية ونشرها فى مصر وفى العالم العربى .

ومثل هذا العمل الضخم كان يتطلب من هيكل استعدادا خاصا سواء داخل بيته المطل على نيل الجيزة أو داخل مؤسسة الأهرام . . ويقال فى إطار هذا السياق إن هيكل لديه مجموعة من الخبراء المتخصصين فى الشئون الخارجية والسياسية والترجمة والسكرتارية ويبلغ عددهم ٦ خبراء . . كما يميل دائما ومن خلال هذا المكتب إلى أن يحتفظ بالرسائل السرية . . ويحاول نشر صور منها مع كل كتاب يصدره . . يرى أنها مناسبة لموضوع الكتاب .

وبشكل عام . . يعتبر الكاتب الصحفى محمد حسنين هيكل من

أبرع الصحفيين المصريين فى العصر الحديث . . وهو بحق ظاهرة صحفية تستحق مئات من الدراسات الأكاديمية . وهو يستمد هذه الظاهرة من عدة نواح أهمها : قدرته الفائقة على الكتابة باللغة الإنجليزية . . وقد تمكن بذلك من نشر كل مقالاته وكتبه فى الصحف الأجنبية . . خاصة فى الفترة التى أعقبت خروجه من جريدة الأهرام فى أوائل عام ١٩٧٤ . واستمر على هذا التقليد حتى يومنا هذا . . أيضا أن جميع ناشرى كتبه من الناشرين الأجانب . . وكل كتاب يصدر له باللغة العربية يتم أخذ إذن كتابى من الناشر خارج مصر وباتفاق خاص معه .



ويأتى فى ترتيب حديث الإنجازات . . ووفقا لأهميتها . . الكاتب الصحفى موسى صبرى . . الذى استطاع طوال أكثر من ٤٠ عاما قضاها جميعا راكبا قطار الصحافة درجة ثانية . . أن يحقق العديد من الإنجازات والأعمال التى ارتبطت بشخصه إلى حد بعيد . .

وقد تمكنا من عمل حصر لأهم هذه الإنجازات . . ورأينا أنها كانت تتأرجح بين طموحات شخصية سرعان ما تحولت إلى إنجازات وأعمال مجيدة سرعان أيضا ما تحولت هى الأخرى إلى إنجازات ولكن من نوع آخر.

لقد تمكن موسى صبرى من إحراز ست نقاط فى سباق الأعمال الشخصية التى ارتبطت بكل فارس من فرسان هذا الكتاب . ولعلنا

نجمل هذه الإنجازات فى سطور قليلة . . ثم نعود من جديد ونفصل الحديث عنهما أكثر . .

●● فموسى صبرى يعد أصغر طالب مصرى تخرج من الجامعة . . ولم تكن هذه ميزة . . بل كانت عقبة . . إذ رفضت نقابة المحامين قيده فى جداولها لهذا السبب . وكما كان صغير السن . . كان كذلك نحيف البنيان . . وقد يرى غيرنا أن هذه صفة مشتركة لآلاف من الشباب المصرى غيره . . ومع تسلمينا بذلك . . إلا أن هذه الخصوصية قد ارتبطت بموسى صبرى بالذات . . لأنها على عكس ما يرى غيرنا . . لم تكن عائقاً فى طريقة انطلاقه بسرعة الصاروخ نحو الشهرة وعالم المجد . . بل كانت سبيله نحو مقابلة الشخصيات الشهيرة فى ذلك الوقت . . كما أدت به هذه الصفة إلى التقدم خطوات سريعة داخل المجتمع المصرى الذى كان غريبا آنذاك على شاب مثله لم يمض عليه فى القاهرة سوى أربعة أعوام قضاها داخل أسوار الجامعة . . وكان من قبل يعيش فى بلاد الصعيد .

●● والإنجاز الثانى فى حياته هو أن موسى صبرى يعد أول شاب جامعى يدخل إلى بلاط صاحبة الجلالة من باب الزنزانة . .

●● أما أهم الإنجازات والأعمال التى ارتبطت باسمه وظلت هكذا حتى وفاته . فهو قصة حبه العنيف مع الفنانة « صباح » لذلك يعتبره غيرنا من أساتذه الصحافة وأكبر عاشق فى تاريخ بلاط صاحبة الجلالة

بعد كامل الشناوى الذى ارتبط اسمه بقصة حب من نوع آخر مع إحدى المطربات الشهيرات .

●● أما رابع الأعمال فى حياة موسى . . أنه كان أول رئيس تحرير مصرى بعد إلغاء الرقابة على الصحف . . يلتزم حرفيا بالرقابة الداخلية على كل ما ينشره . . حيث جعل من قلمه مشرطاً حاداً يحذف به بعض العبارات وبعض المقالات التى يرى أنها كانت تخالف النظام أو تنتقده . . خاصة فى فترة حكم الرئيس السادات .

●● وأخيرا . . لقد توج موسى صبرى نشاطه فى مجال تحقيق الإنجازات بإقامة مبنى صحفى ضخم أطلق عليه « دار أخبار اليوم الجديدة » . وزوده بأحدث الآلات الطباعية .

ومن الإيجاز الى التفصيل . . نقول :

●● بالنسبة للإنجاز الأول فى حياة موسى صبرى . . نجد أنه قد تخرج من كلية الحقوق - جامعة القاهرة وهو فى سن الثامنة عشرة وثمانية شهور وبتفوق كان من الممكن أن يؤهله الى أن يدخل سلك القضاء . . ولم يكن يتصور أن هذه السن الصغيرة ستكون أولى عقبات حياته . . فقد اكتشف أن قانون نقابة المحامين المصرى كان يمنع من الاشتغال بالمحاماة قبل سن الحادية والعشرين . وكان عليه أن يحاول اجتياز هذه العقبة داخل نقابة المحامين ، فتقابل مع محمود بك بسيونى نقيب المحامين فى ذات الوقت ، وقدم له مذكرة بالموضوع . . إلا أنه رفض

فكرة تعديل قانون النقابة . عندئذ فكر موسى صبرى فى إثارة قضيته على الرأى العام .

وكان يؤمن وقتذاك بأهمية الصحافة ودورها المؤثر . . فتوجه من فوره إلى جريدة الأهرام لمقابلة الكاتب الصحفى مصطفى أمين الذى كان يعمل بجانب رئاسة تحرير مجلة الاثنين ، رئيسا لقسم الأخبار بالجريدة . . وبالفعل كتب مصطفى أمين مقالاً عن معاقبة النبوغ فى شخص موسى صبرى ووقعه « بابن البلد » ، ونشره فى مجلة الاثنين على عامود كامل .

ولم يكتف موسى صبرى بهذا الجهد المبكر حتى ينال حقه . . بل توجه إلى مجلة المصور وقابل الكاتب الصحفى الراحل فكرى أباظه الذى انفعل هو الآخر بنفس القضية وكتب عنها مقالاً فى المصور بعنوان «جناية النبوغ » . ثم توجه من فوره أيضا لمقابلة عميد الأدب العربى الدكتور طه حسين فى مبنى وزارة المعارف . . وبعد مقابلة سريعة انتهت بمكالمة تليفونية ، من الدكتور العميد إلى صبرى أبو علم باشا وزير العدل آنذاك بشأن هذا الموضوع . . حصل موسى صبرى على خطاب توصية وزارة العدل من أجل تعيينه فى وظيفة معاون بالنيابة العامة . وعندما كان قاب قوسين أو أدنى من دخول السلك القضائى . طرأ ما حال دون تحقيق ذلك ، فقد صدر الأمر العسكرى باعتقاله . . وأفرج عنه بعد عام ! .

والغريب فى رواية هذا الإنجاز . . أن موسى صبرى قد دبر له القدر

مقابلة ثلاث شخصيات صحفية ضخمة فى هذه السن المبكرة . . ثم عاود القدر تأثيره بخصوص هذه الشخصيات . . حيث ظل موسى مرتبطا بهم طوال أيام حياته . . داخل بلاط صاحبة الجلالة . والسؤال الذى يمكن لغيرنا أن يثيره وهل كان موسى صبرى يتوقع مثل هذه الاستمرارية ؟ . فقد ظل يدور فى فلك الكاتب الصحفى مصطفى أمين حتى رحل عن دنيانا . . وكذلك كان قريبا جدا من قلب وحياة الراحل الكبير فكرى أباظه . . وأيضا الدكتور طه حسين الذى التقى به كثيرا فيما بعد . . خاصة أثناء وجوده فى جريدة الجمهورية .

●● وحديث الإنجاز الأول . . يجرنا إلى حديث الإنجاز الثانى إذ اكتشفنا أن هناك ارتباطا وثيقا بين العملين . . فلولا دخول موسى صبرى الاعتقال وفشله فى تحقيق أمنيته التى حلم بتحقيقها طويلا فى أن يكون محاميا أو قاضيا ، لما أصبح صحفيا وكاتبا لامعا . . ظل يعطى على مدى أكثر من ٤٠ عاما .

لقد دخل موسى صبرى إلى بلاط صاحبة الجلالة من باب زنزانة المعتقل . . حيث قاده القدر للمرة الثانية كى يلتقى بأستاذ الصحافة جلال الدين الحمامصى . . الذى يرجع إليه الفضل فى تحويل مسار حياته من المحاماة إلى الصحافة . وقد سبق أن تناولنا قصة حياة موسى صبرى الصحفية من حيث البداية وأيضا من حيث النهاية .

وقبل أن يصل موسى صبرى إلى سن العشرين من عمره . . كان

محررا فى أكثر من صحيفة حتى استقر به المقام فى دار أخبار اليوم وهو لم يتعد سن الخامسة والعشرين .

●● وعن الإنجاز الثالث حدث ولا حرج . . فقد سمعنا جميعا . . عن قصة الحب العنيفة التى عاشت مع الأيام بين موسى صبرى . . وبين الفنانة اللبنانية المشهورة « صباح » ولا عجب أن تظل هذه القصة حية فى وجدان الناس قبل وجدان موسى صبرى نفسه .

لأنه أصبح فى عداد الصحفيين القلائل الذين ارتبطوا فى حياتهم بقصص حب عنيفه مع الفنانات المشهورات . . أمثال كامل الشناوى وآخرين .

وقصة حب موسى صبرى والفنانة صباح . . قصة متفردة فى تفاصيلها وأيضا فى استمراريتها . لأنه حتى فى معارك الخصام الصحفى بين موسى وبين غيره من الصحفيين خاصة صحف المعارضة التى أنشئت فى مصر أواخر السبعينات . . كانت هذه القصة تطفو إلى السطح من حين لآخر . . وطبعا مع كثير من الإضافات . . حتى تظل القصة حية ومتوهجة .

ولكن ما هى القصة الحقيقية التى جمعت بين قلب كل من موسى صبرى وصباح ؟ لقد بدأت خيوط هذه القصة تتجمع على أرض الواقع منذ منتصف عام ١٩٥٣ . . أى بعد دخول موسى صبرى دار أخبار

اليوم بثلاث سنوات فقط . فقد تعرف على الفنانة صباح وارتبط بعلاقة حب عنيفة معها . . انتهت على حد قوله بتجربة عاطفية قاسية .

لقد تحولت فى هذه السنوات إلى ملهمته الأولى . . حيث طلبت منه تأليف كتاب عن الأجواء السياسية التى عاشها قبل الثورة . . فأنجز بالفعل كتاب « قصة ملك و ٤ وزارات » .

ولعلنا نتركه يحدثنا أكثر عن هذه القصة . . وبلا أدنى تدخل من جانبنا : يقول موسى صبرى : « كنت آراها كل يوم ، وأبيت فى منزلها . . وكنت لا أستطيع أن أمضى يوما دون رؤيتها . . وذات يوم فاجأتنى بعبارة قالتها فى بساطة : سأتزوج غدا ولن ترانى بعد اليوم ! !

وبالفعل تركت شقتها فاقداً البصر والبصيرة . . وأصبحت كالطير الذبيح . وحاول أصدقائى إقناعها بمجرد رؤيتى . . ولكنها رفضت ! وكنت أدور بسيارتى حول عمارتها بعد منتصف الليل ، وأنا فى حالة جنون . . ولم يكن أمامى من مهرب سوى السفر خارج مصر . . فاقترح على أحد أصحاب دار أخبار اليوم الإعداد للسفر إلى إيران فى رحلة عمل صحفية قاسية حتى أنسى » .

وبقية الحكاية تقول : إن الفنانة « صباح » كانت تعتبر موسى صبرى أحد المعجبين بها ليس إلا . . ولم تكن تتصور كما يتصور هو أنه من الممكن أن تصبح زوجة له فى يوم من الأيام . . بدليل أنها تزوجت بعد ذلك من الفنان عازف الكمان المشهور أنور منسى . . ولم تستمر فى الحياة

الزوجية معه سوى ٢٨ شهرا فقط . . بعدها تزوجت من المذيع أحمد فراج بعد قصة حب مماثلة . .

والحق يقال . . إنه فى خلال السنوات الأخيرة فى حياة موسى صبرى كان على علاقة طيبة مع الفنانة « صباح » التى لم تنقطع علاقتها به . . رغم محاولات هروبه الأولى . . حتى ينسي هذا الحب الذى رفضت زمان أن يتحول إلى زواج .

●● ومن الإنجازات الأخرى التى لموسى صبرى . . أنه فور توليه رئاسة تحرير الأخبار . . بعد رحيل عبد الناصر وأثناء فترة حكم السادات قد أخذ عهدا على نفسه بأن يكون هو الرقيب على كل ما تنشره جريدة الأخبار . . رغم رفع الحظر ورفع الرقابة على الصحف .

لقد كان كثيرا ما يتدخل بالحذف أو الإضافة فى كل موضوع وفى كل مقال يتم نشره فى صحيفة الأخبار . . وقد لاحظنا أن رقابته كانت تشتد خاصة على المقالات التى كان يكتبها المرحوم الاستاذ جلال الدين الحمامصى وكذلك عمود فكرة للمرحوم الصحفى على أمين ومن بعده مصطفى أمين .

وهذه الصفة التى أضافها موسى صبرى لنفسه كرئيس للتحرير . . جعلته يقرأ كل سطر من سطور الصحيفة . حتى سطور الاعلانات . . كما كان كثيرا ما يطلب حذف أو شطب موضوع . . بأكمله حتى بعد أن يجيز نشره مدير التحرير . . وبعد أن يتم إعداده للنشر .

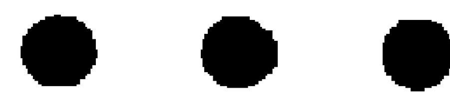
لقد كانت رقابة موسى صبرى الذاتية هدفها الأول والأخير . . منع نشر كل ما كان يتعارض مع ما ينادى به الرئيس السادات فى ذلك الوقت . . وطبعا دون إبداء الأسباب . . المهم لا يتم نشر ما يراه هو غير مناسب أو غير متوافق مع سياسة السادات .

وقد استغل موسى صبرى فى ذلك حرفيته المشهورة فى إخراج الصحف وكتابة العناوين . . واختيار الصور . . للدرجة التى جعلت كل ما فى أخبار اليوم يعترفون بهذه الحرفية . . وكثيرا ما كان يطلق عليه لفظ « الصنايعى » . أى الصحفى المتمرس فى المهنة . . والعارف بخفاياها . . وخفايا وسائل الإبراز فيها .

●● وأخيرا ومن أهم الإنجازات الصحفية . . والأعمال الملموسة فى حياة موسى صبرى . . بل وفى حياة كل العاملين بشارع الصحافة . . هو ذلك المبنى الصحفى الضخم الذى ارتفع بالقرب من مبنى أخبار اليوم القديم . . والذى أصبح يطل عن قرب على المبنى الصحفى لجريدة الأهرام التى بناها محمد حسنين هيكل . . ورغم اختلافنا فى تقييم المبنى من حيث الشكل الهندسى ، إلا أنه قد ضم بداخله أحدث أنظمة الآلات الطباعية فى العالم المتحضر . . ويقال إن موسى صبرى قد تمكن من إنجاز هذا العمل الصحفى الضخم بقرض ميسر ساعده فى الحصول عليه الرئيس السادات .

ويبدو أن موسى صبرى . . بعد أن انتهى بناء المبنى الجديد . . لم يقتنع به شكلا أو موضوعا . . لذلك فضل أن يكون مكتبه بالمبنى

القديم . . وفى الغرفة المتواضعة التى قضى بها أكثر من عشر سنوات رئيسا لتحرير جريدة الأخبار ورئيسا لمجلس إدارتها . . كما فضل بقية كبار الصحفيين أن تظل مكاتبهم فى أماكنهم بالمبنى القديم . . مثلما فعل موسى صبرى من قبل .



وحتى كتابة هذه السطور . . لا يزال الكاتب الصحفى الكبير مصطفى أمين وأحمد رجب ومحسن محمد والفنان مصطفى حسين يقيمون فى المبنى الصحفى القديم ومعهم فى ذلك كل الحق . . إذ أنه بعد مرور عدة سنوات على إقامة مبنى أخبار اليوم الجديد . . اتضح أن المبنى القديم بشكله المخروطى الجميل . . ما يزال يحتفظ بشبابه فى مقابل المبنى الجديد الذى بدأت الشيخوخة تزحف عليه .

خاتمـــة

واخيرا وجها لوجه..
بعد رحيل السادات

فى أحايين كثيرة يلعب الموت الدور الأول فى وضع نهايات غير متوقعة فى العديد من مجالات الحياة .. وأبرز هذه المجالات هو المعارك العسكرية .. كأن يموت القائد أو يموت الجنود .. وفى كلتا الحالتين يتغير ميزان القوة لصالح أحد المتصارعين ..

ونستطيع أن نقول ونحن مستريحو الضمير .. إن ذلك هو ما حدث بالضبط مع الفرسان الثلاثة .. « السادات وهيكل وموسى » .. فقد تدخل الموت لوضع نهاية غير متوقعه فى ذلك الصراع العنيف الذى احتدم بين الثلاثة واستمر لأكثر من ٥٠ عاما . إذ رحل السادات فى عنفوان قوته وبين رجاله من القوات المسلحة فى ظهر يوم السادس من اكتوبر عام ١٩٨١ ، على إثر اغتيال مريع تعرض له وهو جالس فى أمان يشاهد عروضه العسكرية السنوية .

هذه النهاية غير المتوقعة قد حسمت رغما عن الجميع الصراع الطويل بين الفرسان الثلاثة .. والغريب فى الأمر أن الغريم الثالث فى هذه الخلافات وهو موسى صبرى قد حضر لحظة اغتيال صديقه وشريك خلافاته مع هيكل أنور السادات . فى الوقت الذى كان فيه هيكل رهين

الاعتقال فى مزرعة سجن طره على بعد عشرين كيلو مترا من حادث المنصة .

وبعد أكثر من أسبوع واحد . . صدر الأمر بالإفراج عن هيكل وبقية المعتقلين من السياسيين والصحفيين . . وانتقلوا من السجن مباشرة إلى قصر القبة حيث قابلهم حسنى مبارك رئيس مصر الجديد الذى تم انتخابه بعد حادث المنصة .

وقد قيل أثناء اجتماع الرئيس مبارك بهؤلاء المعتقلين المفرج عنهم حديثا . . أن هيكل قد حاول أن يقيم جسور الود ويمد قنوات الاتصال المباشرة أو غير المباشرة مع الرئيس الجديد . . على أمل أن يعود إلى وضعه القديم إن لم يكن كله . . فربما يحصل على جزء منه . . تعويضا عما لاقاه فى صراعه الطويل مع السادات ومع موسى صبرى . . خاصة فى السنوات الأخيرة التى هزت عرشه وجعلت نهايته بين القضبان .

نقول رغم هذا الكلام وغيره والذى تردد فى هذه الآونة . . إلا أن أهم نتيجه خرج بها هيكل على إثر اغتيال السادات . . هو الإفراج عنه وعودته إلى قلمه وأوراقه وأسرته . . وشىء آخر هام جدا هو عودة المواجهة مع غريمه الثانى موسى صبرى .

لقد تغيرت موازين القوة التى كانت تحرك هذه الخلافات . . حيث أصبح موسى صبرى وحده . . فى مواجهه هيكل وحده . . ولعلنا نرى

أن عدالة السماء كانت وراء تحقيق هذه النتيجة . . التى طال تحقيقها . . سواء لموسى أو لهيكل . .

ونعود ونكرر أنه بالفعل لقد طال تحقيق هذه النتيجة . . حيث أصبح الاثنان فى مواجهة واحدة وبدون وسيط . . وبعيداً عن هؤلاء الذين دأبوا على إشعال فتيل هذه الخلافات . .

وما يؤكد لدينا صدق هذه النتيجة . . أنه فى بداية الصراع الذى احتدم بين الاثنين خاصة بعد ثورة يوليو . . كان هيكل ومن خلفه عبد الناصر . . فى مواجهة موسى صبرى وحده . مما عرضه للعديد من المتاعب المهنية والسياسية . . ظلت آثارها تعيش بين ضلوعه طويلا . . ونفس الوضع كان عليه موسى صبرى حيث وقف خلفه السادات فى صراعه مع هيكل بعد رحيل عبد الناصر . . الأمر الذى سبب لهيكل العديد من المتاعب والآلام على المستويين الشخصى والمهنى .

واذا كان هناك نوعٌ من التشابه فيما واجهه كل من هيكل وموسى صبرى . . سواء أيام حكم عبد الناصر أو أيام السادات . . فإن هناك فارقاً بسيطاً فى المواجهة فى كل من هذين العصرين . . هذا الفارق يتمثل فى عدد السنوات التى قضاها كل منهما فى ظل رئيس الدولة . . وهذا الفارق توضحه لنا القاعدة الحسابية التى كثيرا ما نلجأ إليها .

فمن المعروف أن هيكل ظل يطارد موسى صبرى . . ووضع فى طريقه العقبات تلو العقبات . . قرابة ثمانية عشر عاما . وهى الفترة

التى قضاها جمال عبد الناصر فى حكم مصر . . وفى المقابل نجد أن موسى صبرى أخذ يلاعب هيكل ويؤرق قلمه قرابة عشر سنوات . . معنى ذلك ووفقاً لقاعدة الحساب إياها . . نجد أن هيكل ظل يكتم أنفاس غريمه . . أكثر من ثمان سنوات . . بالإضافه إلى سنتين أخريين تفوق خلالها هيكل فى صراعه مع موسى صبرى قبل الثورة . . أى أن مجموع سنوات تفوق هيكل فى هذا الصراع بلغت عشر سنوات . .

ولا شك أن هذه القاعدة الحسابية . . وهذه الفروق الكبيرة التى كانت لهيكل على موسى صبرى فى خلافاتهما . . قد جعلت الأخير يجتهد من أجل تعويض هذه المدة فى فترة الحكم التى تلت رحيل السادات . . وقد استطاع بالفعل أن يحرز بعض الانتصارات فى مجال التفوق على هيكل . وقد ساعده الحظ كثيرا ، لأنه ظل رئيساً لتحرير الأخبار ورئيساً لمجلس إدارة أخبار اليوم قرابة هذه السنوات العشر حتى بعد رحيل السادات . . لأن موسى نجح فيما لا لم يستطع أن ينجح فيه غريمه هيكل . .

هذا النجاح ظهر بوضوح فى إقناعه للقيادة الجديدة بضرورة استمراريته فى موقعه الصحفى الحصين . . حفاظا على نهج السادات ومكاسبه السياسية والعسكرية والاجتماعية وهو ما فشل فى إحرازه هيكل بعد رحيل عبد الناصر . .

بل أكثر من ذلك لقد حافظ موسى صبرى على نفس مكاسبه

الصحفية التى أحرزها فى أحضان السادات ، وحاول زيادة جرعتها أيام الرئيس مبارك . . وهذه كانت تطلب مواهب لم تكن لغير موسى صبرى فى هذه الآونة .

ونحن نعتقد أن السبب الرئيسى وراء تمسك موسى صبرى بضرورة الحفاظ على وضعه الصحفى والسياسى فى ظل السياسية الجديدة . . هو تمكينه من مواصلة صراعه مع هيكل . . من أجل تضييق فارق سنوات التفوق التى تحدثنا عنها من قبل . وهذا ما حدث فعلا . . حيث ظل موسى صبرى يدك قلعة هيكل الصحفية والرد على كل كتاباته بعنف حتى يوم وفاته .

وفى تصورنا أن هيكل نفسه هو المسئول الأول والأخير عن استمرارية موسى صبرى فى هذا الهجوم العنيف . . دون نجاحه فى إيقافه سواء هو أو غيره ممن أحاطوا به من تلاميذه . أو من الذين ناصبوا السادات العداء والذين كانوا قد هربوا من بطشه لوقوفهم فى خندق الخصوم ضد رحلته المذهلة إلى القدس . . وتوقيعه اتفاق سلام مع إسرائيل .

لقد أعطى هيكل لموسى صبرى الفرصة الذهبية كى يحرز المزيد من النجاح لدى القاعدة العريضة من الجماهير التى كانت تنتظر مقالاته . . لأن هيكل أخطأ خطأ فادحا حين نشر كتابه « خريف الغضب » والذى كرس كل أوراقه للسخرية من السادات ومن عائلته ومن انتصاراته السياسية والعسكرية .

وكان نفس الاتجاه تقريبا هو مالدى القيادة السياسية الجديدة . . التى وقفت بكل ثقلها مع موسى صبرى ضد هيكل . . ليس من أجل شخصية موسى ودوره ومكانته . . ولكن من أجل الدفاع عن بطل الحرب والسلام . . الرئيس أنور السادات . وإن كان هذا التأييد لم يعلن صراحة .

وقبل أن نتحدث بتفصيل أكثر عن تلك المعارك الصحفية التى نشبت فى مصر وفى غيرها بسبب كتاب « خريف الغضب » . . نود أن نشير إلى أن هيكل لم يتوان أبداً فى الإفصاح عن خلافاته مع السادات حتى فى أحاديثه الصحفية التى بدأ يدلى بها كثيراً فى الفترة التى أعقبت الإفراج عنه والسماح له بمزاولة نشاطه .

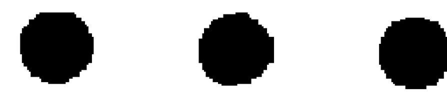
وهذا هو الخطأ الثانى الذى وقع فيه . . لأنه كان حينما يهاجم السادات . . فكان يهاجم كل سياسته المتعلقة بالصلح مع اسرائيل وعقدة اتفاقية كامب ديفيد . . مما كان يحرج القيادة السياسية الجديدة التى كانت فى أمس الحاجة لتأييد شعبى من أجل إتمام انسحاب إسرائيل من بقية الأراضى المصرية . . وهنا أيضا نجده قد أعطى موسى صبرى فرصة ذهبية أخرى . . لأن الأخير قد جند كل نشاطه داخل المؤسسة الصحفية التى كان يشرف عليها . للحديث عن انتصارات السادات السياسية . . وضرورة استكمال القيادة الجديدة لهذه الانتصارات بتحقيق انسحاب آخر جندى إسرائيلى من أرض مصر . . وهو ما تم بالفعل ، ونجح فيه الرئيس الجديد حسنى مبارك . . مما جعل موسى يتقدم

خطوات أخرى داخل مقر القيادة السياسية . فى الوقت الذى تراجع فيه هيكل آلاف الأميال . . وظل عالمه يضيق كما كان فى فترة حكم السادات إلا من كتاب ينشره هنا أو هناك ، محاولا من خلال أوراقه أن يضيف الجديد والمثير . . حتى يظل ماثلا أمام الرأى العام المصرى والعربى والخارجى .

إن أضخم المعارك الصحفية التى شهدتها مصر عقب اغتيال الرئيس السادات . . وبالضبط منذ أواخر عام ١٩٨٢ . . كانت تلك المعارك التى تناولت الرد على كل ما كتبه محمد حسنين هيكل فى كتابه (خريف الغضب) . فقد ظلت صحف مصر المؤيدة والمعارضة تكتب آلاف المقالات والتعليقات ضد كتاب هيكل . . كما صدرت عشرات الكتب السياسية والصحفية التى تتحدث عن نفس القضية . وكان قائد هذه المعارك ومنظمها هو موسى صبرى الذى خصص لنفسه مقالا يوميا فى جريدة الأخبار للرد على هيكل . . بل وحاول استعداء الناس عليه . . فى الوقت الذى كان فيه هيكل يقف وحيدا داخل حلبة الصراع إلا من بعض الصحفيين المعارضين للسادات واتفاقية كامب ديفيد ، والذين كانت تنظر اليهم القيادة السياسية على أنهم أعداء لمصر وليسوا أعداء للسادات . . لأن هذه القيادة قد التزمت بتنفيذ بقية بنود اتفاقية كامب ديفيد لتحقيق انسحاب إسرائيل من بقية شبه جزيرة سيناء . وكانت ردود أفعال هيكل تجاه هذه الحملة المكثفة هو الهروب إلى خارج مصر . . وكتابة المقالات باللغة الإنجليزية فى الصحف الأجنبية

. . وكان يترك لبعض تلاميذه المخلصين الرد على هذه الانتصارات .

كما كان لابد وأن ينضم إلى موسى صبرى وإلى الحملة ضد هيكل فى ظل القيادة الجديدة عشرات من الصحفيين . . الذين اعتبروا أن مهاجمة هيكل هى فى نفس الوقت مهاجمة جمال عبد الناصر .



وبشكل عام . . فإن تلك المعارك التى احتدمت بقوة فى ظل القيادة السياسية المصرية الجديدة . . قد برهنت على أن الشعب المصرى أصبح فى طريقه إلى عهد جديد من حرية الفكر وحرية الكلمة . . لذلك يخطىء من يعتقد أن ذلك الخلاف العنيف الذى كان بين فرساننا الثلاثة - السادات وهيكل وموسى صبرى - لم يؤت ثماره . . وأنه كان خلافاً عقيماً . . بالعكس . . لقد استفادت منه الحياة الثقافية المصرية . . وبرهنت من خلاله على أن هذا الشعب يتمتع بأصالة نادرة . . وحب حقيقى للحياة فى ظل الحرية .

ولم تكتمل مسيرة هذا الحوار ، أو هذا الصراع . . فقد رحل فارس آخر من الفرسان الثلاثة . . إذ مات موسى صبرى عام ١٩٩٢ . . وبقى هيكل وحده فى ساحة الصراع . . ولا أعتقد أنه قد استراح لهذا الرحيل . . لأن من طبيعة الصحفى أن يظل مقاتلا بقلمه حتى آخر أنفاسه ، لذلك نجده بين الحين والحين ينشر الكتب التى تفجر من خلالها قضايا تترك أثراً أخطر وأعنف من بعض النتائج التى خلفها صراعه مع الآخرين .

الفهـــرس

السادات
بين
هيكل
و
موسى

حاول المؤلف فى صفحات هذا الكتاب أن يجمع أكبر قدر من المعلومات الصحيحة والصادقة عن كل من هؤلاء الثلاثة : أنور السادات . . ومحمد حسنين هيكل . . وموسى صبرى .

ما هى الصفات التى جمعتهم . . والتى ميزت كل شخصية منهم من حيث الميلاد والنشأة والتعليم والكفاح . . وما هو موقع كل منهم فى خريطة الحياة العامة والحياة الصحفية والحياة السياسية . . ؟!

وأين كان كل منهم ليلة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ . . وعلاقة كل منهم بأحداث الثورة منذ لحظتها الأولى . . وما هو الدور الذى لعبه كل منهم فى تاريخ هذه الثورة . . وما هى العوامل التى أثّرت فى تحديد العلاقات التبادلية التى ربطت أو فرّقت بينهم . . ؟!

كما يتضمن الكتاب أسراراً كثيرة عن العلاقات الصحفية والسياسية التى ربطت بين هيكل وجمال عبد الناصر . . وبين موسى صبرى وأنور السادات . .

« الناشر »



مكتبة الدار العربية للكتاب
طباعة - نشر - توزيع

Maktbat Al-Dar Al-Arabia Lel-Ketab
Printing - Publishing - Distribution

شارع الطيران - بجوار المخبز الآلى - الحى السابع - مدينة نصر - تليفون : ٢٦٣٩٨٥١ - فاكس ٣٩٠٩٦١٨ - ص.ب : ٢٠٢٢ - القاهرة
7 th District - Madinet Nasr - Tayaran St. Cairo - Tel : 2639851 - Fax : 3909618 - P.O Box : 2022 - Cairo